

الريحانيات

وهي مجموعة مقالات وخطب
وشعر منشور

تأليف
اسمين ريحاني

الجزء الثاني

يحتوي على خطب ومقالات انتقادية وشعر منشور
مترجماً بأمر رسم للمؤلف

طبع في المطبعة العامية ليرسف صادر في بيروت سنة ١٩١٠



احمد رحمانی

ایار سنہ ۱۹۱۰

في الباب

لا الجمد والشهرة امنيتي القصوى . ولا الجاه والثروة . ولا
السيادة والعظمة . امنيتي الجوهرية الاولى هي ان اكون بسيطاً في
اعمالى . صادقاً في اقوالى . مستقيماً في مبادئ وآرائى . فطرياً في
تصرفى وسلوكى . حراً فيما احب وما اكره . وبكلمة أخرى اود ان
اكون دائماً نظيف العقل والقلب والجسم . بعيداً عن التصاف
والزخرف والعجب والمصانعة . بعيداً عن الجبن والخوف والتذبذب .
بعيداً عن الخجل الذي يذل النفس ويميت الحقيقة . بعيداً عن
الكذب والجريزة والمداهنة والرياء . على أن اقبل ما يقابلني من
الصعوبات في مسالك الحياة باشاً جاداً ثابتاً صابراً متجلداً . على أن
اناخص الفساد والضلال في الناس وألا اكره احداً من الناس . اود
أن اعيش دون ان اهنس احداً . واحب دون ان اغار من احد .
وارتفع دون ان اترفع على احد . واتقدم دون ان ادوس من هم دوني
او احسد من هم فوقى . هذى هي سنتى وللغير ان يتخذوا لهم سنة
توافقهم . للغير ان يسلكوا ذات المسالك اذا شاءوا واستطاعوا .
ليس من شأنى ان اتدخل في شؤونهم ولأن ارشدهم منذراً او

اعظم متأمرًا متهددًا . عليّ ان اعيش صادقًا مسالمًا مستقيماً .
 وللناس ان يعيشوا كما يطيب لهم . لا احب ان انصح احداً متى كانت
 نصيحتي بنت فكرة زائلة لابنت حقيقة دائمة . ولا ان انضم الى حزب
 من الاحزاب . او طائفة من الطوائف . او جمعية من الجمعيات مهما
 كانت صبغاتها . ومهما تسامت غاياتها . ولا ان اساعد احداً لا يعمل
 في مساعدة نفسه . واذا كان فيّ ما يلهم الناس الى الخير ويرفعهم
 درجة واحدة في سلم الرقي العقلي الروحي احب ان اظهره بالمثل
 والاشارة والالطف لا بالانذار والوعيد والتأمر . أحب ان تشع
 حياتي ولا احبها ان تفرقع . احب ان تكون كاحد الكواكب السماوية .
 لا كسهم من الاسهم النارية

امين

بيروت في اول ايار سنة ١٩١٠

الخطب

في العزلة^(١)

١

جاء في الامثال ان في الحركة بركة وليس فيكم على ما اظن من
 يجهل ذلك . ليس فيكم من ينكر صحة هذا المثل السائر ولا يعمل به .
 واما هذا الفقير فانه لا يعتقد بصحته ولا يعمل بموجبه . وقد خطرت لي
 منذ سنين ان اعكس الآية واجري على ضدها . فقات ان كان في
 الحركة بركة ففي الفلوات بركات . وفي القعود سعود وفي الهدوء نمو
 وسمو . واشياء اخرى من هذا الباب . ولا يخفى عليكم ان في هذه
 الامثال حكمة تختلف عن حكمة المثل السابق بل تختلف اختلافًا
 جوهرياً يحاكي اختلاف النفس عن الجسد . فالحكمة في هارو حانية معنوية
 وحكمة من يقول ان في الحركة بركة حكمة مادية عملية تجارية .
 لذلك آثرت الاولى على الثانية . فاقفتم عملي وخرجت من الوسط
 المضطرب لا فكر قليلاً في ما انا فيه لارى اين انا من نفسي ومن
 الله . وبقا اني تأملت لما وقفت متأملاً : تأملت لما رأيتني قريباً من
 الناس بعيداً عن نفسي وعن الهي . فتركت الحركة والبركة للعمال
 وابني الاشغال وسألت في نور الحكمة والحقيقة مسلكاً جديداً .
 وهذه حالة لا بد منها لكل من تنهت في الروح . هي طور من اطوار

(١) خطبة القيت في جمعية شمس البر ببيروت في ١٩ اذار سنة ١٩٠٨

الفيلسوف الاولى . هي اول ريشة في جناح الشاعر هي اول حادثة
خطيرة في حياة الاولياء والانبياء . هي اول عقدة روحية عقلية يعجز
عن حلها اكثر المفكرين . وجدت نفسي في هذه الحالة متألماً متحيراً
متردداً . تأملت كثيراً لما رأيتني في الغربة بين شعب لا يعرف معنى
السكينة ولا الراحة ولا الجمال . وجدت نفسي في بلاد فيها الحركة
دائمة متواصلة . واما البركة فيقال فيها ما يقال في بعض الامراض انها
حادة منقطعة . وجدت نفسي بين قوم يأكلون ماشين . ويقرأون
آكلين . ويعبدون النقود راكضين . ويعبدون الاوثان قائمين
قاعدين . بل يقدمون ارواحهم واجسادهم ضحية لآلهة ما سمعت
باسمائها العصور الغابرة . عشت زمناً بين قوم يقال انهم مسيحيون
ولكنهم في الحقيقة وثنيون . وثنيون بترفهم وبطهرهم . وثنيون باخلاقهم
وشعورهم . وثنيون بمطامعهم واستئثارهم . وثنيون بتعدد آلهتهم . واما
هياكل هذه الآلهة واصنامها فانك لا تشاهدها قائمة في الاسواق بل
ينبغي ان تنظر اليها بعين الروح فتراها في كل حي وجماد يتحرك هناك
تعال اذاً معي لاريك آلهة هذا الزمان الجديدة . آلهة هذا التمدن
الحديث . تعال معي لاريك من الهياكل والاصنام الواناً واشكالاً .
فهذا صنم من القطن لآله البورص وذاك صنم من الفحم لآله المعادن .
هذا صنم من السكر لآله الخحول وذاك صنم من الخشب لآله الغابات .
وهنا هياكل من المرمر والرخام لآله التجارة وهناك الهيكل الاكبر

المشيد من حجارة الذهب والفضة لآله الآلهة . آله الامة . آله المال .
والناس هناك يعدّون اموالهم راكضين من هيكل الى آخر ومن آله الى
اخيه . وابدأ تراهم لهذه الآلهة الغريبة ساجدين . فيعبدونها
ويخدمونها ويموتون في سبيلها . يعبدونها في كل حالاتهم . يخدمونها
في حركاتهم وفي سكنتهم . فخرجت من بين هؤلاء المشركين طالباً في
البرية ربي مثل ابراهيم . خرجت من بينهم وانا على اعتقاد ان المرء ان
قرب من العالم الجديد بعد عن الطبيعة وعن الشعر وعن الجمال الروحي
وعن الله . ولذلك حوَّاث وجهي الى مشرق الشمس وعدت في طريقي
الى ارض الانبياء عدت الى وطني لاقترب من جمال الشرق الشعري
وجماله الطبيعي وجماله الروحي بل الالهي . اي الجمال الدائم الابدي
الذي لا تشينه الحالة السياسية المختلة ولا الحالة الاجتماعية المعتلة .

عدت الى مسقط رأسي باحثاً عما اضعته هناك ايام الصبا . افلتُ
من اشراك التمدن والحمد لله وفرت هارباً الى الفريكة . على كتف
الوادي وبالقرب من كروم اجدادي نصبت خيامي . فوق نهر الكلب
وقباله جبل صنين رفعت رايتي البيضاء عوضاً عن العلم الاحمر الذي
وضعتُه في يدي احدى بنات الحرية في البلاد الاميركية . رفعت
علم السلم فوق فاسفتي الاجتماعية بعد ان كان علي علم القتال وكتبت
على بابي — في اصلاح الفرد اصلاح الامة وفي تهذيب الشعب اصلاح
الرؤساء والحكام — . نعم سادتي ان التهذيب خير من التحزيب

والتخريب . على ان ذلك ليس من موضوعي هذه الليلة فالجمال ضيق
لمثل هذا البحث واضيق منه منبر هذه الجمعية .

عدت الى وطني طالباً فيه راحة العقل وراحة النفس وراحة
الجسد . بل طالباً فيه شيئاً اشرف من كل ذلك واسمى - طالباً في الطبيعة
ومنها ما ينسي المرء عقله ونفسه وجسده . عدت ياسادتي لا كما عاد
يوليوس قيصر الى رومية او هوجو الى باريس . عدت قانعاً شاكراً
راضياً وتذكرت السندباد لما عاد من سفراته وابا العلاء لما عاد الى معرفته .
فشكرت الله كالسندباد على سلامتي في الغربة . ولجئت كابي العلاء
الى العزلة في قريتي هرباً من الحضارة ومتاعبها . وشغفاً بالطبيعة
وجمالها . وحباً بالتأمل ولذاته . ونقرباً من الله وبركاته . فدخلت
هذه المدينة كما يدخل الكهان الهيكل او اللص البيت . دخلتها من
باب السرفلم يدر بي من الاخوان احد . وصعدت الى الجبل ولم
يدر بي احد . واقمت هناك زمناً في ظلال الصنوبر ولم يدر بي احد .
فاضطجعت على العشب ورأسي في ظل وزالة زاهرة — انا للطبيعة وانا
اليها راجعون — وشكرت الله شكراً جزيلاً ووددت لو كان بيني وبين
المدن اضعاف ما بيني وبينها من الوهاد والجبال والبحار .

واظنني اخطأت مرة فرددت بصوت عالٍ صدى صوت نفسي .
وما علمت ان للاشجار عيوناً وللصخور آذاناً . بل ما علمت ان النهر
يحمل الى المدينة صدى صوت الوادي وصدى ساكنيه . ففي صباح

يوم من فصل الشتاء سمعت حديثاً دار بين شجرة كبيرة من الصنوبر
 واخرى صغيرة او بين ام الغابة واحدى بناتها قالت الابنة : من
 هذا الغريب الذي لا يخاف السكنى معنا في هذا الشتاء فاجابت الام :
 ما هو بغريب يا بنيتي . وانما هو من نبات هذه الارض ومن سنديان
 هذه الجبال . هو من ابنائنا يابنية . وقد طالما حملته وحماته من
 ثاري لما كان صغيراً . قد طالما فرشت له من ريشي وظلي ما يزيل
 تعب الجسد وهم الفؤاد وبعثت اليه من ارج نسيمي ما ينعش النفس
 ويحييها ومع ذلك فقد شجرنا زمناً طويلاً وعاد اليوم ليكفر عن ذنوبه
 امامنا وفي ظلمنا . حبيه يا بنيتي فانه يحبنا .

وبمثل هذا كانت الاشجار نفسي اسراري الى النهر والنهر يحملها
 الى البحر والبحر ياقمها بلا اكتراث على شواطئ هذه المدينة . وقيل ان
 الصيادين سمعوا ذات يوم في هدبر الامواج اصواتاً غريبة مطربة
 فظنوا ان احداً من الجن يكلمهم بلساننا العربي الشريف . وقيل انهم
 فهموا من الغاز الامواج شيئاً يسيراً واشاعوا في البلد اشاعات تحولت
 بعد ايام خرافات وخزعבלات تشير كلها الى ان في وادي الفريكة
 ناسكاً تسجد له الصخور وتخاطبه الاشجار وتكلمه السواقي وتستشيرهُ
 الطيور . فاستغربت الخبر كما استغربهُ الناس وبعد ان فتشت في
 الوادي عن الناسك واعيان النفثيش كتبت الى احد الاصدقاء كتاباً
 هزأت فيه من هذه الخرافات التي قصها البحر على الصيادين واذا بها

الصيادون في المدينة فزاد الكتاب الطين بلة لأنّ الأدباء الذين سخرُوا مثلي بهذه الخرافات اعتقدوا بعدئذٍ صحتها وطفقوا ينشرونها في اندية الأدب فتجسّمت الاشاعة حتى استحوّلت خرافة واصبحت في اعتقاد الناس حقيقة راهنة . وكذلك تنشأ الخرافات وتستولي على الناس . فاهتمّ بعض اعضاء هذه الجمعية بالامر وكتب احدهم اليّ لاصدقته الخبر . ثم جاءني من الجمعية نفسها كتاب تسألني به ان اتحفها بشيء من اخبار الناسك واسفاره . وبعبارة اوضح دعّني الى الخطابة في حفلتها السنوية منذ سنتين فلبّيت الدعوة وبعثت الى الجمعية بشيء من ثمار نفس الناسك المذكور^(١) ولبّثت انتظر جوابها وبينما انا اتوقع منها كتاب شكرٍ جاءني الرسول بعد اسبوع ومعه الثمار التي بعثتها . ثماري اعيدت اليّ . ردّت الجمعية هديتي بلا عذر ولا شبه عذر . ارجعت الثمار واغفلت الاعتذار وبعثت مع الرسول نقول قد فحص الطبيب ثمارك فوجدها مضرّة بصحة هذه الامة . وجد فيها مكروبات غريبة خبيثة عديدة فكانت هذه منها اهانة فوق اهانة لكنني قبلتها شاكراً وحسبتها من جملة ما ينبغي ان يعرض عنه المرء في عزالته . حسبتها مما ينبغي ان نترك وراءنا اذا حولنا وجهنا نحو شمس النفس الشارقة من وراء جبال الحقيقة المرسلّة ما فاض من نورها فوق مروج الشعر وبحيرات الخيال . فظالّ الناسك والحال هذه هائماً في واديه . ولم

(١) وهي خطبة « هنا وهناك وهناك » التالية .

يدير ان الجمعية لم تنزل تناديه . على انه لم يكدر يرفع طرفه الى سماء
الروح ولبس يده ما تجسم امامه من السعادة الروحية الحقيقية حتى
جاء هذا الشتاء وفيه ما كتب له بل عليه من الشدة والبلاء . فهجرت
صومعته في الجبل مضطراً واعتاض عن شذا الاودية بروائح
الادوية وعن الاولياء بالاطباء . مع ان الفرق بين الاولياء والاطباء
قليل لا يستحق الذكر . فكم من طبيب فاضل يستحق ان يطوب
قدسياً او يدعى ولياً بعد موته . فقد تعرفت بفضل آلام العصبية بعدد
وافر من هوءلاء الافاضل و بان لي بالاختبار ما كنت اجهله .
تحققت ان الفرق بين الطبيب والكاهن كالفرق بين الكاهن والمحامي .
كلهم نفعنا الله بعلمهم وبرهم يتعاطون الجرزة . كلهم يتاجرون بشيء
من الحقيقة وبكثير من الخزعبلات والاهوام . على ان الطبيب ارفع
درجة من الكاهن والكاهن ارفع درجة من المحامي . والثلاثة
يا سادتي من سلالة واحدة ومن بطن واحد . نعم ان الطبيب والكاهن
والمحامي ثلاثة عقبان من بيضة واحدة . ومن الشرور ما كان لازماً
للشعر . من الشرور ما هو نافع للانسان . وقد كنت اسيراً لشيء منها
في هذه المدينة لما جاءني رئيس هذه الجمعية فأسرفني ايضاً باطفه وجميل
ادبه وكنتي مرة اخرى في امر الخطابة . الح علي الرئيس وعدد من
الادباء باسلوب جعلني اظن ان الجمعية تنوي ان تحاصرني في الفريكة
وتعقد جلستها هناك اذا كنت لا اكلم في حفلتها هنا . تخفت من

المضايقة في عزلي ونتيجة خوفي ايها الكرام وقوفي امامكم الآن خطيباً .
 عفواً سادتي ما جئكم خطيباً الليلة بل محدثاً . وسأحدثكم في
 موضوع العزلة ومنافعها ومضارها .

٣

العزلة اما داءٌ واما دواءٌ . هي داءٌ لمن لا يجد في نفسه ما
 يغنيه عن معاشرۃ الناس ولو زمناً قصيراً . وهي دواءٌ لمن سئمت نفسه من
 ملاذ هذا المجتمع ومو بقاته من سروره وشروحه فيعود الى امه الطبيعة
 لتداويه بنور شمسها وعليل هوائها وشذا رياحها . وهي غذاءٌ لمن
 يخرج من الهيئة الاجتماعية والنفس نافرة من محيط هي غريبة فيه .
 يعتزل الناس طالباً في الطبيعة اراحة التي لا يعرفها الناس . واللذات
 التي لا يشعر بها الناس . والتعزبة التي قلما تعزي عامة الناس . نفس
 الاول خادمة جامدة . ونفس الثاني سقيمة عقيمة . ونفس الثالث من
 الانفس السامية الكبيرة التي قلما تنام . فهي نفيق من هجمتها قبل
 صياح الديك فتفتح عينيها في ظلمة الليل الحالكة ونقاسي قيل بزوغ
 الفجر من العذاب والحيرة اشدهما . تبدى هذه النفس بالمقاومة والتمرد
 فتقاوم القوات التي تعترضها في طريقها وتمرد على كل من يحاول ابقائها
 في الظلمات الدامسة . تسير بنور مصباحها الداخلي الى ان يخرج من
 الظلمات بفضل ما فيها من الشجاعة والاقدام والثبات فتتدرج من

الظلمة متمردة الى العزلة هادئة وتعاني فيها بادی بدءاً نوعاً جديداً من العذاب . تعاني هناك عذاباً هو اساس كل لذاتها الروحية بل هو العذاب الذي يقاسيه من تعودت اعصابه المخدرات والمسكنات اذ ينقطع عنها دفعة واحدة . ومن العزلة تعود هذه النفس المحررة المستنيرة المتمردة الى المجتمع لتتم فيه ارادتها لتثير ولو زاوية صغيرة فيه بما فاض من نورها .

شبهت الانقطاع عن الناس بالانقطاع دفعة واحدة عن المسكنات التي يعتادها المريض . فهل خطر لاحد منكم ان يستشير ربه بواسطة الطبيعة في امر روحه المريضة كما يستشير الطبيب في امر جسده . ايد هشكم قولي لكم اننا كنا مرضى بوجه ما . وفي هذا المجتمع كما هو اليوم بالخاص بما فيه من دواعي الامراض والهموم والاحزان تنسينا الحركة الدائمة آلامنا . ولا اذكر الآن اي علماء الالمات قسم الناس ثلاثه اقسام فقال : قسم منهم يولد للمستشفى وقسم للمارستان والقسم الثالث للبادية . اي ان ذلك العالم الالماني يقول ان الناس اما مرضى واما مجانين واما برابرة ومع ما في هذا القول من القلق والضلال والكفر — فقد كفر العالم بالنفس واساء فهم نوااميس الطبيعة وغالى في تقبيح الانسان — مع ما في قوله مما ذكرت فهو لا يخلو من الحقيقة . غير انها حقيقة ناقصة متجزئة . واما الحقيقة كلها الحقيقة الشاملة الابدية هي ان الناس كلهم سواء من وجهة الفلاسوف . ومن هذه الوجهة ايضاً

يمكننا ان نقسم البشر الى قسمين اوليين . قسم الاحياء روحياً وقسم
 الاموات . وهاتان الطبقتان نشاهدهما في كل شعب حضرياً كان
 او بدوياً . ففي البداوة اناس تثبته فيهم الروح وتنهض من سباتها
 كما في الحضارة . بل في البدو تبلغ الروح المنفردة الكبيرة اعلى درجة
 من السمو والقوة والجمال . فيخرج من البادية رجال كما يظهر في
 المدن رجال . وان نبغ في نويرك المخترعون وفي لندرا العلماء
 وفي برلين الفلاسفة وفي باريس الشعراء وفي فلورنسة المصورون
 والمخاتون ففي البادية ينشأ الانبياء . لكل بلاد مزية طبيعية ثابتة دائمة .
 وفي كل نفس بشرية شيء من سماء البلاد التي نشأت فيها ومن
 رضاها . فيها شيء من تربة وطنها ومن ترابه . من خير هوائها ومن
 شره . من فتوره ومن نشاطه . من هدوه ومن هياجه . فالناس
 اذاً كلهم سوانه من وجهة الفيلسوف . الانسان واحد من بلاد الزولو
 الى شطوط الزوج ومن ثلوج السكا الى اطراف اليابان . الناس كلهم
 سوانه من حيث ان الامراض والجنون والتوحش كلها تنساب كلاً
 منا في اوقات مختلفة وبدرجات متفاوتة . ولا يفوتنا ان نذكر مع
 هذه الشدائد كلها نعمة واحدة شاملة . فانا ممن لا يأسون ولا
 يقطعون الرجاء مهما توغل الانسان في الجهل والجنون والتوحش لانني
 على يقين ان النفس في كل منا نفيق ولو مرة واحدة من سباتها في
 سياحتها هذه العالمية . تنهض النفس من غفاتها فتحي ولو بعمل واحد

شريف خالص لوجه الله . ترينا من الشهامة والمعروف والاحسان
ما يزيل عن وجه الحياة شيئاً من ثقله وعبوسه . تنهض النفس من
ظلماتها . من تحت اثقالها المادية . من بين اغلالها الاجتماعية . من
تحت اهوائها وشهواتها واغراضها الذميمة لتقول للناس : - انني لم
ازل حية واعرف معنى الحب والتساهل والحنان . انني لم ازل حية
واعرف معنى الحق والعدل والحرية . فيمكنني ان اتسامى الى ما
فوق الشرف المتعارف بين الناس . الى ما فوق الفضيلة المصطلح
عليها . الى ما فوق القوانين والشرائع . الى ما فوق قداسة الاديان
وخزعبلات بدعها . اي لا بداً لكل امرئ من ساعة ولو في حياته
كلها يظهر فيها بمظهر الفضيلة الصادقة الفضيلة المجردة النامية الحقيقية
فيخضع للنفس الأمارة بالخير لا بالسوء لتظهر فيه محاسنها الجليلة .
ولذلك ينبغي ان نقول ان الامراض والجنون والتوحش وحسنات
النفس او يقظاتها تتاب كلاً منا على الاطلاق . تتاب كلاً منا
في اوقات مختلفة كما قلت و بدرجات متفاوتة . ومن هذه الوجهة
المرافعة وجهة الفيلسوف العمومية كلنا لاشك متساوون . اي اذا
كلنا مرضى بنوع ما وكلنا نتخذ الاشغال نلهو بها . نسكن بها آلامنا .
نخدر بها همومنا . نضمد بها جروح صبرنا ورجائنا . ننعش بها آمالنا .
وعندما يقف الواحد منا للتنفس قليلاً ليتنشق نسيم السحر
الجميل او بالحري ليدع عمله هنيئة ويستريح تعاوده آلامه مضاعفة

كما تعاود الاوجاع المريض عند انتهاء فعل المرفين . وما هي هذه الآلام ياسادتي ؟ اروحانية هي ام جسمانية ؟ فالطبيب يقول لنا انها جسمانية والكاهن يقول انها روحانية . والحقيقة ههنا اقرب الى جانب الكاهن منها الى جانب الطبيب . آلامنا روحية اكثر منها جسدية . يعود الرجل من اشغاله في المساء او من ملاحيه بعد نصف الليل فيستلقي على سريره متكرهاً متأففاً متذمراً . فيشكو وقد خارت قواه من ألم في اعصابه او في معدته او في رأسه . ويظن ان اوجاعه موضعية . يظنها جسدية . والحقيقة على ما ارى هي خلاف ذلك . فالجسد لا يمرض من العمل واعضاؤه تزداد قوة ومرونة ونشاطاً بالممارسة والتمرين وهذا ناموس طبيعي . من اين اذاً آلامنا واوجاعنا . ما هي اسبابها اين مصدرها . يمكن ان يكون لها مسبب غير مادي . يمكن ان تكون آلامنا الجسدية ناتجة عن ألم اصلي اساسي جوهرى روحي ؟ سؤال اجيبكم عنه حالاً بلا تردد وبلا يحاب . نعم سادتي وسيداتي ان مصدر هذه الآلام الروح فالروح منا ثن وتأوه وصدى انينها يظهر في كل جوارحنا وفي كل حواسنا . الروح تتألم من الضغط عليها . من احتقار الانسان اياها . من اهماله شؤونها . من اهتضامه حقوقها . الروح تتأوه من قيود السلطة كما انها تتألم من قيود العبودية . فالرئيس والمروؤس سواء من هذا القبيل . الظالم والمظلوم يشكيان من مرض واحد فالروح في كل

منهما تألم من حيوانية الانسان الخبيثة . من اهوائه من ظلمه من
استثارة من بغضه من توحشه من ذله من جهله من جنونه . فاذا
كانت الاشغال تسكن آلام النفس فالعزلة تضعف شوكتها .
ويستأصلها العود الى الطبيعة .

ورب قائل يقول اتريد ان يكون الناس كلهم نساكاً وزهاداً
وكيف يتسنى ذلك . فالجواب ان ذلك غير ممكن وغير مطلوب .
فالعزلة انواع . وربما امتهنت حرمة القاموس وتوسعت قليلاً بمعناها
المحدود . فقد تكون شوقاً في النفس اسهر غور النفس . لادراك كنه
قواها . لكشف الحجاب عن بعض اسرارها . وهذي هي عزلة
الفيلسوف . او قد تكون اعتصام النفس بعالي الخيال والجمال فراراً من
مسؤولية الحياة الاجتماعية وواجباتها الصناعية . وهذي هي عزلة
الشاعر . وهي ممكنة في المدينة وبين الجموع كما في الصحراء او في
الجال لان الشاعر وان خالط الناس وحدثهم فهو دائماً فوقهم وبعيد
منهم . ثم قد تكون العزلة طمعاً في النفس لفتح ممالك عالم النفس . لرفع
اعلام الحقيقة والحب والحق فوق صروحها . وهذه عزلة الانبياء .
وهناك انواع اخرى من العزلة لا يهمنا ذكرها لانها تغيرت عما كانت
عليه حين قال المتنبي بيته المشهور في وصف الاسد

في وحدة الرهبان الا انه لا يعرف التحريم والتحليلا

قد اتضح لكم ان الميل الى الوحدة والاعتزال ينشأ في النفس
وعنها . وكما ان النفس تتطلب المعرفة فهي تبتغي شيئاً من العزلة لتغذى
اثنائها من المعرفة . يقول الافرنج في السياحة تكملة التهذيب . اي
ان المرء مهما درس وطالع وتعمق في العلوم وتغلغل فتهذيبه يظل ناقصاً
اذا كان لا يعرف من العلم الاً مسقط رأسه او عاصمة بلاده . فاذا
كان في السياحة نعمة التهذيب ففي العزلة نعمة السياحة . لان المرء
لا يكون قد ساح قط اذا كان لا يعتزل قليلاً بعد سياحته في العالم
ليحاسب نفسه . ليفحص بتأن وهدوء ما في مخادعها . ليغربل ما فيها
من الحقائق والخرافات والآراء السديدة المختلطة مع الخزعبلات .
وبكلمة اخرى يسقي النفس من ماء الفكرة الذي يتقطر ويتكرر في العزلة .
ولا تظنوا ان كل من التجأ من المفكرين الى هذه الطريقة انتفع بها
والذي لا ينتفع منها لا يستطيع نفع الناس .

لما كنت في نو يرك قصدت يوماً مدينة كننكرد بالقرب من
بُسْطَان (وهي المدينة الصغيرة التي اعطت العالم الجديد اكبر شعرائه
وفلاسفته) لازور فيها بيت الفيلسوف إمرسن والخرج الذي بنى
فيه الشاعر طورو مسكنه او بالحري كوخه للعزلة فماش فيه متنسكا
سنتين وألف هناك كتابه النفيس في فلسفة العمران وفلسفة الانفراد .
والكاتب الذي كان رفيقي ودليلي في هذه الحجة - وهو شيخ جليل
في الصحافة وفي السن - كان رفيقاً وصديقاً ايضاً لأكثر شعراء كننكرد

وفلاسفتها الغابرين فسأته عما اذا كان في المدينة اليوم من يعدُّ من طبقة هؤلاء الرجال العظام فقال ان الطبيعة يا صديقي لا تجود علينا بالنوابغ كل سنة فهي لا تعطي العالم الا افراداً قلائل كل عصر وما كل من اعتصم بالعزلة يصل الى ذروة التفرد والذكاء فمذ سنين جاء هذه الاصقاع شاب انكليزي واختار بيت طورو هذا مقراً لعزله وعاش فيه كما عاش طورو وستين ولكنه يئس بعد ذلك وشعر كنكرد ومن ذلك الحين لم نسمع عنه شيئاً .

فعزلة طورو اذاً او عزلة النابغة اثمرت من الادب والشعر والفلسفة ما يعد من طبقة ما كتبه اكبر نوابغ العالم . وعزلة الثاني العقيمة اضرّت بصاحبها لانه لم يتدارك الخطر قبل حلوله وفاته ان الوحدة الطويلة الامد ما عدت لمثله وان نفسه لا تطالب مثل هذا الغذاء . لذلك لا اعمم في قولي ولا اغالي بحاسن العزلة ومنافعها اذ ما كل من اعتزل تفرد ولا كل من تفرد افاد الانسانية . على ان العزلة لنفع الكل اذا اخذ منها كل بقدر ما تطلبه نفسه او بالحري اذا عرف كل انسان كمية الجرعة التي ينبغي ان يأخذها . فمن نفس متجمدة لا تطيق العزلة اكثر من اسبوع الى نفس متوقدة لا ترضى باقل من سنة او اكثر وبينهما تفاوت المدد كما تفاوت العقول . هذي هي القاعدة . فمن جرّب العزلة بحكمة واعتدال انتفع لا شك منها فهو ينتفع عقلياً وجسدياً وروحياً اذا احسن استعمال الدواء .

وأفضل ما في العزلة للمفكرين انها تقرب الفرد من نفسه . فالحياة الاجتماعية كما اتضح لكم مما ذكرته تبعدنا عن انفسنا حتى نجعلها جهلاً فاضحاً . لان معرفة المرء نفسه غير ممكنة في اي حال من احوال هذا المجتمع المضطرب . واذا جهل المرء نفسه بعد عنها بعداً شاسعاً . وان حاول خدمة الانسانية وهو بعيد عن نفسه اي جاهلها لا يستطيع الى ذلك سبيلاً . مهما اجاد بديانه وفصاحته ومهما بالغ في آرائه واكبر الناس دعواه . لاخير في مثل هذاهما صاح ونادى ودعى القوم وادعى . وان صياح المصلحين ليذكرني دائماً بهدوء الفلاسفة . بل يذكروني بما جاء في التلمود من حديث دار بين اشجار الغابة واشجار البستان قالت اشجار الغابة لأشجار البستان : لماذا لا نسمع لاغصانك صوتاً ولا صدًى فاجابت اشجار البستان : لانني مشغلة عن الولة بانماء ثماري . ثم سألت اشجار البستان اشجار الغابة قائلة . ولماذا نسمع لاغصانك هذا الدوي وهذه الجلبة فاجابت اشجار الغابة : لكي يشعر الناس بوجودي .

لذلك قلت ان كان في الحركة بركة ففي الفلوات بركات وفي الهدوء ونمو ونمو . فالنور يأسدني ينبثق على العالم هادئاً ساكناً . وان شمس الحكمة لتحتجب غالباً عند هبوب العواصف والزوابع . فمن الانفس السامية المتفردة الهادئة ينبثق نور الحب ونور الحكمة ونور الحقيقة . وفي الانفس السامية المتفردة الهادئة يذابح الجمال كلها . جمال

الفنون وجمال الروح وجمال الحياة السعيدة . والى الانفس
المتفردة السامية الهادئة تعود بنا حسنات التمدن الحديث لترينا
فيها اسبابها . لذلك كتبت فوق بابي -

في اصلاح الفرد اصلاح الامة
وفي تهذيب الشعب اصلاح الرؤساء والحكام



هنا وهناك وهناك^(١)

ايها السادة والسيدات •

دعي مرة اديب للخطابة في حفلة مثل هذه فلي الدعوة فرحاً
مسروراً لأنها كانت اول ما جاءه من القوم وكان الخطاب باكورة
عمله فسودّ الاوراق وببضها واستعد لخطابه استعداداً يليق بوقفته
الاولى على المنبر • ولكن لما وقف امام القوم خاتته الحافظة وجمحت
القريحة فاعتذر قائلاً : لما دخلت هذا المنتدى لم يكن احد يعرف من
خطابي شيئاً سوى الله والداعي واما الآن فبأسف اخبركم ان لا احد
يعرفه سوى الله • فاستحسن الحاضرون النكتة وعفوه من الخطابة •
ولا تظنوا رعاكم الله أن الكلام الذي اعدته انا لهذه الحفلة لم يطلع
عليه قبل هذه الساعة سوى العالم بذات الصدور • كلا • فقد اضطرني
اصدقائي الى مراعاة اصطلاحات البلاد وقالوا ابعث ابنك هذا الى
المستشفى بلا عناد • فبعثته بعد ان دسمته من العين • وقرأت عليه
المعوذتين • وهناك استامه مولانا الطيب • وكفى بذلك تلميحاً
للبيب • وعاد اليّ بعد ايام حسبته سنين • وعلى بدنه آثار المبضع
والمشرب والسكين • فتصافحنا وكلانا يقول الحمد لله رب العالمين •

(١) وهي الخطبة التي اعدتها حفلة جمعية شمس البر السنوية في السنة
الاخيرة من عهد عبد الحميد فرفضتها اللجنة خوفاً من المراقبة •

ويجب ان اقف عند هذا الحد في التسجيع والكنايات خوفاً من ان
 تحسبوني اتلو عليكم شيئاً من سجع الكهان . او مقامة من مقامات
 بديع الزمان . وقد يتبادر لذهنكم أني اوردت القصة ليكون حظي
 منكم حظ ذاك الخطيب من قومه ولكنني لا اطلب كل هذا . انا
 ادفع الآن نصف ما عليّ من الدين لهذه الجمعية بشرط ان تعفوني من
 النصف الآخر ولكنني اعدكم بدفعه مع الفائدة متى تحسنت الاحوال
 على اني اود لو كنت مطلق الحرية لادفع كل ما عليّ الان . ان قوتي
 ياسادتي في حريتي لا في شعري . اود لو كانت وقفتي هذه الاولى امام
 قومي في وطني غير مقيدة بقيود التقية والاحوال . ولكن لسان الحال
 افصح من لسان البيان وقد تكون الكلمة المحفوظة في الصدر اشد تأثيراً
 في النفس من الكلمة المقلولة

لقيت على شاطئ البحر وانا قادم ذات يوم الى المدينة شيئاً
 ذكرني بما يليق ان افتتح به هذه الكلمات القليلة التي تحوم
 حوماً حول موضوع يتعوذ من ذكره الناس . ذكرني ما لقيته على
 ساحل هذه البلاد السورية وساخبركم عما نقيته بعدئذٍ او لكم ان
 تنبهوني اذا فاتني ذلك . ذكرني بمدينة في البلاد الاميركية قضيت فيها
 خمس عشرة سنة متراوحاً بين قومي والاعجام فلم امل كل الميل الى اولئك
 الاميركيين ولم اهجر كل الهجر اخواني السوريين . لم يكن جفاء قومي
 ليقر بني من الاعجام ولا اكرام الاعجام ليبعدني عن قومي . ولقد سمعت

من اصدقائي الشعراء الاميركيين من الكلام ما يضعف الشعائر
الوطنية لو كان في مثل هذا الضعف استعداد . وقد قال لي احدهم
مرة بعد ان قرأ في احدى الجرائد الاميركية خبر قيام النزالة السورية
عليّ بسبب كتابي الاخير دع ذكر الوطن والامة والزم الشعر .
الشاعر الحقيقي هو ابن العالم على الاطلاق وكل وطن صالح هو وطنه .
فرنت هذه الكلمات في اذني ولا سيما الناصح شيخ في السن وفي
صناعته . وهجرت اذ ذاك قومي الى حين ونفصت عن اوراق
ودفاتري غبار لغتنا هذه الشريفة واخذت انظم في اللغة الانكليزية
وانقل الى الاعجام ما عثرت عليه من كنوز العربية . وثبت عندي اذ
ذاك ان الشاعر الحقيقي يخلص الخدمة لوطنه اولاً ومن ثم يتدرج
الى خدمة الانسانية . او يخدم الوطن والانسانية معاً اذا كان من
النوابغ الحقيقيين النادرين في كل امة وبلاد . وبعد ان فكرت في
امري هذا وسمعت المباحثة التي جرت بين ذاتي السوري وذاتي
الاميركي حكمت للاول على الثاني ورضيت ان اكون من الطبقة
الاولى في الوطنية ولو جعلني ذلك في الطبقة الوسطى من الشعر . وهكذا
عدت الى الكتابة من اليمين الى الشمال ولكنني حفظت في قلبي
زاوية للغة التي اكتسبتها في العالم الجديد . ولو اصبح الى قول صديقي
الشاعر الاميركي ما اکت حظيت بمشاهدتكم هذه الليلة ولكم ان
تعكسوا . نعم ان ولعي بلغتي وبوطني لقوي شديد ولو سألتوني ايراد

الاسباب التي توجب هذا الروع اقلت لكم احب لغتي لانني احب
نفسي واحب وطني لانني احب قومي . وقد يحماني هذا الروع والحب
الى الغلو احياناً . فقد قرأت مرة ان غالينوس كان يقول اجود هواء
في الدنيا هواء بلاد اليونان . وقال ابن رشد ان اجود هواء
لهواء قرطبه (بلده) وقال ملتن ان الهواء البقي المنعش لا يهجر قط
لندره . واقول انا واطنكم كلكم نقولون معي ان هواء لبنان هو نفس
الآلهة بالذات . وكنا لا شك مصيبون . وما غلوي انا الا جزء من
غلو اولئك الفلاسفة الكرام . هذه الثمرة من تلك الشجرة . ولكن
حبذا هواء لبنان وبئس المتشققون . حبذا ماء الجبل وبئس الشاربون .
لا والله هذا كثير . لا يجب ان الوم اللبنانيين ولا ان اواخذهم بما هم
عليه من الخمول والانحطاط والاستكانة والضعفة . فالأكليروس وشيوخ
القرى راضون عن مثل هذا الانحطاط والخمول ويجب ان يرضى
المقلقون بما يرضى شيوخ القرى والأكليروس . يجب ان نرضى
ونسكت . ولكن اذا نحن سكتنا فالمهاجرون لا يسكتون . اذا نحن
رضينا فالمهاجرون المقلقون لا يرضون . نعم لا بد ان تشرق علينا
شمس العلم والنزقى من المغرب كما تشرق علينا شمس الله من وراء
جبل صنين . لا بد ان يشرق على سوريا قمر الاصلاح من وراء
البحار مثلاً يشرق عليها قمر السماء من وراء جبل الشيخ . لا بد من
اللقاء الشمسين واجتماع القمرين وقد يتأخر قمر المغرب الى الهزيع

الآخر من الليل . فلتنم الامة مطمئنة اذاً . ولكن اذكروا كلامي .
لا بد من ان تعينه ذات ليلة من ليالي تموز وهو شهر جليل الذكر عند
اعظم جمهوريتين في العالم .^(١)

واني لا ذكر يوم وقفت امام قومي في اميركا فذكرت قومي في
الوطن وها انا الآن امام نخبة من قومي في الوطن العزيز اذكر قومي
في اميركا فتحلولي الموازنة بين الشعبين اذا لم اقل بين البلادين ولكن
الوقت قصير والحبل اقصر . فمتى ياترى يعود المهاجرون المنورون الى
الوطن . وافطنوا انني لا اريد سوى المنورين واما ما بقي من المهاجرين
فسواء على الوطن ان عادوا او لم يعودوا فهم لا ينفعون . الامة بافرادها
لا يجزأها . ولكن حتى مَ هذا الانقسام وهذا التشتيت
وكيف تصان وتُعزز الوطنية والمنورون من السوريين
ضاربون في اربعة اقطار العالم تائهون في فيافي النزاع والجدال - فتراهم
قائمين بعضهم على بعض في كل صقع وفي كل قطر وفي كل بلاد .
الشعب السوري في المهاجر جاهل ولكنه ناهض عامل . والشعب
السوري في الوطن منور الى درجة ولكنه متعاس متغافل . هناك
ترى السوريين في هرج ومرج وشغب ونزاع وجدال وقتال . تراهم
ابداً قائمين قاعدين ضاربين شاكين . وهنا تراهم الى السكينة

(١) ليطمئن انبياء اليوم بالآ فان صدق نبوءتي هذه لا بطمئني في ان
انافسهم وقلما يدعي النبوءة من تصدق نبوءاته

والاستكانة مخلدین . هناك تضعف الوطنية ويقوى التعصب الديني
من عوامل خارجية . وهنا قد ينتج ذلك عن عوامل داخلية .
هناك نهاميون ووزارزة من الاكليروس عاكفون على جمع المال
عاملون على اثاره الفتن . وهنا — ولكن قد فاتني ان البحث في شؤون
ذوي الرئاسة محظور في هذه الجمعية بل في هذه البلاد . هناك صحافة
عربية نمت في ظل الحرية فوافقها الهواء الى حد ان صارت صحتها فيه
بليّة . وهنا — ولكن الصحافة بنت الزارزة والنهاميين فكما راعينا
خاطرهم يجب ان نراعي ايضاً خاطر ابنهم هذه العانس الفضفاضة
الوهنات . الصحافة السورية في اميركا وما ادراك ما هي . سطور نلغ
من خلالها الخناجر والحراب واعمدت تطفح بالحامض الكبريتيك .
واما هنا فغندنا زنايل من القش ملوؤها قطن منفوش وبخور يحرق
في مجامر التدليس حول الاراتك والعروش . ولكن قد فاتني ان
الخوض في امور السياسة محظور في هذه الجمعية بل في هذه البلاد .
هناك قوم يقدمون على غير هداية . وبخبطون خبط العشواء في
البداية . وهنا كرام يرون البقاء في الخيام . خير من الهيام في الظلام
والجمود خير من التطواف خارج الحدود . هناك حرية يرافقتها
بطر وشر وحماسة . وهنا تهذيب ناقص يتراوح بين المراعاة واللياقة .
ويسير مستسلماً مكتئباً من الخمول الى الذبول . هناك قيل لا يتبعه
عمل وهنا لا قول ولا عمل . ولعمري هذا الاخير احسن من ذلك .

هناك ضجة وقعقة وضوضاء وهنا هدوء وقناعة ورخاء . هناك صحافي يقارع كاهناً وكاهن يصارم صحافياً وهنا . — كاد يطيش السهم ثانية او بالحري كاد يصيب كبد الحقيقة لو لم ترده هذه الجمعية الزاهرة بمن التحذير : هنا وهناك وهناك — وهل ينطق من في فمه ماء ؟ نعم كدت انسى ما وعدتكم به . ماذا تظنون لقيت على شاطئ البحر ؟ سمكة من ذهب او صدفة من الندى المتجمد على الصخور او لؤلؤة صفراء او مرجانة بيضاء او بنت من بنات الامواج الزرقاء اللائي يحلم ويهيم بهن الشعراء اوشياً اندر من كل نادر تحت السماء ؟ لا لا . ما لقيت شيئاً من هذا . ما لقيت على شاطئ البحر سوى الامواج ثم الامواج ثم الامواج . وهذا من مثل كلام المتصوف الذي يختلي بنفسه ويقول : قد وجدت روعي قد لقيت ذاتي ولك ان تسأل هل كانت روحه قدس الله سره ضائعة ام كان هو محجوب عن نفسه . ولكنني اعجز عن الجواب لان الله يفتح علي في مثل هذه الامور . ولهؤلاء المتصوفين ضروب من الكلام لا نلحنها نحن العوام . غير اني اهديك الى القشيري والسهروزي اذا كنت لا تخاف ان تضع في براري شطحاتهم وسر ادب اسرارهم . واذا اغلق عليك هناك فاليك بفلسفة الالمان الروحيين او ببراهمة الهند القانونيين . واما كلامي فكلام شاعر مغنون . لا كلام متصوف مغبون . نعم ما لقيت على شاطئ البحر سوى الامواج القائمة القاعدة الراعية

الزائدة الهاجمة الهائجة . سوى الامواج تلاعب الرمل فنترك عليه اثر
حنين البحر الى ما خرج من بطنه من سواحل وسهول وجبال . لقيت
هذه الامواج او بالحري لقيت فكراً صغيراً في موجة صغيرة منها جاءت
تلثم قدمي ضاحكة وعادة الى حجر امها راغبة راضية . ففكرت في
نفسي اذ ذاك وقلت . اليس هذه الامواج من ذات البحر الذي
تتلاطم امواجه حول جبل طارق ؟ اولا لنقل امواج البحر الواحد
من مكان الى آخر في مدار الليالي والايام فتسافر الموجة الواحدة الى
سواحل سوريا كما تسافر بواخر الميساجري ماريتم . اولا تمتزج امواج
البحر المتوسط بامواج البحر الاثنتينيكي عند مجتمع البحرين . اولا
تسافر الامواج من مرفاء نويرك الى جبل طارق ومن ثم الى سواحل
اسيا الصغرى ؟ اذن - وها قد وصلت الى بيت القصيدة - ما الموجة
التي لثمت قدمي الا رسول خير من بلاد العلماء الى بلاد الانبياء .
ما هي الاموجة واحدة صغيرة من بحر النور والهدى يقذفها المغرب
الى المشرق . ان هي الا موجة من امواج العقل والحجى يسوقها الله
الى بلد ميت فيحييها بعد موتها . ان هي الا موجة من امواج النفس
البشرية النبيلة تحملها الرياح والاعاصير الى المستضعفين المستذلين
من العباد في كل بلاد . ان هي الا موجة من امواج الحب والحنان
يشحن بها الاصفياء الاحرار عزم اولئك المنقادين للهوان المسلمين
الامتهان . ان هي الا موجة من الامواج التي تغسل قدمي الهة الحرية

الرافعة نهراسها في مدينة نو يرك العظمى واني لاقول لكم الآن لا بد
ان يرى المستقبل مثل هذا التمثال الجليل الجميل في كل مدينة كبرى
من مدن الشرق الاقرب والاقصى . واذا لم يكن تمثالا من نحاس
اصفر أو رخام ثمين . فتمثال من نور في قلوب ارضيين . وهذه
شبه نبوة بيد اني قصير الباع في هذه الصناعة ولكن قد جاء في
الحديث الشاعر جزءان من ستة واربعين جزءاً من نبي . ولعل
احدكم يقول قد جاء ايضاً والشعراء يتبعهم الغاؤون وهم في كل واد
يهيمون . نعم قد سمعت هذا الحديث ولكنني لا اسألكم ان تتبعوني .
اذكروا فقط كلامي . ودعوني واحلامي .



الحرية والتهديب^(١)

ونريدُ أنْ نمُنَّ عَلَى الَّذِينَ أَسْتَضعفُوا فِي الْأَرْضِ
ونجعلهم أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (سورة القصص ٤)

أيها الوطنيون

انتم المستضعفون في الأرض وانتم ان شاء الله الوارثون
ويشهد على ذلك نير ماضيكم وحرية حاضركم . يشهد على ذلك
ظلام امسكم ونور يومكم . فانتم المفلحون والمحررون بفضل زعماء الاراء
الحرّة وبفضل الجند العثماني الذي سيبرهن لاوربا اليوم بان الشرق
لم يزل منبت المعجزات . ففي الماضي كانت معجزاته دينية واليوم
معجزاته سياسية . بالامس دهشت دول اوربا بالمعجزة التي اتتها
اليابان واليوم تدهشها المعجزات السياسية والاجتماعية في دولة بني
عثمان . فاوربا لا تعرف حتى الآن معنى الثورة السلمية وما رأت
بين شعوبها المتباينة عناصرها السياسية والمتضاربة مذاهبها الاجتماعية
مثلا يسود اليوم في امتنا من التساهل والمساواة والاخاء^(٢) . وهذا
هو النور الذي ينشق من الظلام . هذه وردة الوثام التي نبتت على
ضريح الشقاق والخضام . هذي هي الحرية التي تشيد الامة هيكلها

(١) التيت في حفلة من حفلات الدستور

(٢) واذا ماراني القانطون من الحال الحاضرة اردتهم الى — المستقبل

في روضة الالفة والسلام .

جاء في بعض الاسفار أن الاطباء الاقدمين اكتشفوا العقاقير القتالة قبل العقاقير الشافية . وكذلك يصح ان يقال في حكومات العالم باسرها فالقتالة منها وجدت قبل الشافية . ولا فرق ان كانت الحكومة أبوية كما في الصين او اميرية كما في الهند او استبدادية كدول اشور ومادي وفارس او كحكومة الروس بالامس فكها من الادوية القتالة التي يستقيها الحاكم المحكوم ليقفل فيه الروح ويتمكن من ارهاب الجسد وتسخير واستعباده . فالظالم مجرم ايأ كان . والحكومة الاستبدادية ذاهبة الى البوار في كل مكان . ولنا في حكومتنا على هذا اشد واقطع برهان . فبالامس كانت الامة العثمانية تثقل دلي فراش الموت واليوم ترح فرحة تحت سماء الحياة وفي ظل الحرية والدستور . لنهني انفسنا اذاً لاننا عشنا والحمد لله لنرى الظلم مدرجاً بكفنه الدائم . والاستبداد هاوياً الى الجحيم .

بالامس كان خطيبكم يتسنم على المنبر فيججم الكلام ويوريه . ويلغز ويرمز . ويعقد مقاله ويلويه . لتخفى على جواسيس الحكومة معانيه . واليوم نراه كما لو كان في باريس او في نويرك يصدع بالحق ويجاهر مصرحاً بآرائه ومبادئه . والفضل في ذلك عائد الى زعماء النهضة الاصلاحية النظارين . والى زعمائها العاملين . والى الرئيس الاكبر الذي انتهت اليه مطالب هؤلاء العثمانيين . بل الفضل عائد

الى كل من حرك قلما لبث روح الحرية والدستور . والى جلالة
السلطان الذي كلل النهضة بالفوز فصان الدولة من الخطوب والمحن .
وخلص الامة من الهزاهز والفتن . فالامة التي كانت امس اسيرة
ظلمه اصبحت اليوم اسيرة فضله . وقد يكون الأسر اكبر من الاسير
ولكن العائق ياسادتي اكبر من الاثنين فالسلام اليوم على عبد الحميد .
والسلام على عهده الجديد . سلام على عصر الحرية الحميد .^(١)

* * *

وجد ربنا بعد هذا التشيب الذي لا بد منه للخطيب البحث
في ماهية الحرية واصولها باختصار يوجهه الوقت والمقام . فالحرية
اليوم كلمة تملأ افواه القوم . الحرية جمال يزدهي في اعمدة الصحافة
واندية الامة . الحرية مجد انسى التجار اشغالهم . والاثقياء فروضهم
وانفالهم . الحرية آلهة هجرت الامة معابدها لتعبدتها . كل ذلك جائز .
كل ذلك حسن ان لم يكن مفيداً . ولكنني في كل ما قرأته في
الجرائد ان كتبوا وخطبوا ما اطلعت على كلام في الموضوع حري
بالنظر والاعتبار . وقد يكون فاتني في عزلتي كثير مما كتب وفات
الشعب في ابتهاجه وهوسه اكثر من ذلك . لان المعقولات في مثل

(١) وذنب صغير بالنسبة الى ذنوب الشعراء في هذا المقام . ثلاث
تسليمات يغفرها الله ولكن الثلاث مائة قصيدة سبحان من لا تخدعه
الحوادث سبحان العالم بذات الصدور وبخفايا الدستور

هذه الايام قلما تسنفت انظار الناس والبحث الفلسفي في الموضوع لا يروق الشعب ولا يلائم الزينة في المدينة . على اني دعيت الى الخطابة في هذه الحفلة الشائقة فينبغي لي ان اقول الكلمة التي يوجبها العلم ويقنضها الضمير ويؤيدها الاختبار . ولكم ان تبذوها بعد ان تسمعوها او تزرعوها فتستثمروها

كل انقلاب في الحكومات لا يسبقه انقلاب في الافكار والآراء لا يرجى منه كبير فائدة . فالحرية السياسية جميلة واما وحدها فمنافعها قليلة . ومن الواجب ان يتحرر عقل الامة وضميرها ليتعزّز شأنها وشأن حكومتها . واعلموا ان ثورة روحية في بلاد الافرنج هي اصل هذه الحرية السياسية التي نتمتع بها اليوم فرحين مبتهجين . يقال ان للجند يداً في هذه النهضة الاصلاحية ولا ريب عندي في ذلك . ولكن الجند في الحكومات الاستبدادية اذا امتنت حقوقه وحبس زمناً معاشه يقيم السيف في امره حجة قاطعة . وكثيراً ما حدث من مثل هذا الحادث في الحكومات الاستبدادية في سالف الزمان . واما الآن فنرى ان الجند العثماني ينصر النهضة الفكرية الاصلاحية ويثق تمام الثقة بمواعيد زعمائها . والفضل في تغلب الفكر على القوة والعقل على السيف حتى في الجند عائد الى شيء جميل في مدينتنا ينتشر في العالم انتشاراً سريعاً . وهذا الشيء الجميل يتجسد احياناً في دعاة الاصلاح الصادقين وغالباً في الفلاسفة والشعراء الحقيقيين . فالشورى

عَلَى وجهها البسيط قديمة في العالم . وطريقها من المشرق الى المغرب
يكاد يختفي في ظلمة التاريخ واما من المغرب الى المشرق فمسلكها واضح
وأثارها جليلة . فمن المصلحين العثمانيين الى المصلحين الروسيين مرحلة
قصيرة . وتكاد اسباب مجلس المبعوثين لتصل باسباب مجلس الدوما .
وفي الدوما نتجلى لنا ارواح باكونين وتورغانيف وتولتسوي وغوركي .
وهؤلاء منبثقون من قولتير وروسو وديدارو وهوغو . وروسو وفولتير
وهوغو . مديونون لكالفين وجون 'نكس ولوثيروس بكثير من الحرية
التي تنبعث اشعتها من اقوالهم . فالثورة الروسية اذاً هي ابنة الثورة
الافرنسية وكلكم عَلَى ما اظن تعلمون ذلك . والثورة الافرنسية وهذا
ما لا اظنكم تعلمون هي احدى نتائج الثورة الروحية التي اطلقت ضمير
الانسان من قيود الخرافة السوداء . وعقله من قيود الساطلة الصماء .
وقلبه من قيود الطاعة العمياء . فتدبروا هذا واعلموا ان الحرية الروحية
هي رسول الحرية السياسية واذا جاءت هذه قبل تلك يعد مجيئها
نقصاً لا بد ان نحاسبنا عليه الايام .^(١)

* * *

ورب قائل يقول وما معنى الحرية الروحية . فقبل ان اجيب
على هذا السؤال اوجه اليكم سؤالاً آخر اتظنون ان كل من عاش
في ظل الدستور صار حراً . اتظنون ان كل من تمتع بحقوقه المدنية

(١) وما كنت اظن انها تسرع بالحساب هذا الاسراع .

اصبح حراً . اتحسبون الفقراء والعمال في الجمهوريات من الاحرار
انقوم الحرية بهذا الوهم الذي يدعونه في الحكومات الدستورية حق
الاقتراع . انعجبون اذا قلت لكم ان نصف سكان الولايات المتحدة لا
يزالون مكبلين بسلاسل العبودية . فما الفائدة للخادم من الحرية التي
تتوقف على ارادة سيده الخبيثة الجائرة . ما الفائدة من الحرية السياسية
التي يكفلها له القانون اذا كان القانون في قبضة الاغنياء . افمثل هذا
يعد حراً وهو لا يستطيع ان يبدي رأياً مخالفاً رأي سيده . ايعد حراً
من لا يملك نفسه من لا رأي ولا روح له . يحسب حراً من كان
وجدانه مقيداً بوجودان من يتوقف عليه معاشه . فالتسكسك في
الولايات المتحدة اي بذل ماء الوجه امام ارباب المال هو مشفق من
التسكسك في الشرق اي تغيير الوجه امام ارباب السلطة والسيادة .
والتسكسك ياسادتي وان ملأ ماضيه فخراً بالحرية والاستقلال
والمساواة فما هو الا عبد تكللة . لا رأي ولا نفس له .

الحرية الروحية اذا هي ان يكون الفرد مالكاً نفسه اي مطابقاً
من القيود التي تضغط على روحه وعقله ان كانت هذه القيود عائلية
او اجتماعية او دينية او سياسية . الحرية الروحية هي ان تكون روح
كل امرئ بيده وتصرفه لا محجوزة ولا موقوفة ولا مبيعة ولا مزهونة .
وطالب هذه الحرية يتدرج فيها من بيته الى دائرة اشغاله ومنها الى
معبده وحكومته . فيعتقد اولاً من الواجب الكاذب الذي يفسد

الحب في الاسرة ومن المصادقة التي تدعى لطفاً وصادقة ومن الخرافات التي تشوه وجه الدين . ومن التقاليد التي تفسد الحكومة . فواضح اذاً ان الحرية السياسية هي فرع من الحرية الجوهرية الاصلية الروحية او هي نتيجة من نتائجها . وهذه الحرية يحدها ويقيدها الناموس من جهة والتهديب من الجهة الاخرى فبدون الناموس يستبد الحاكم ويوغل في الطغيان . وبدون التهديب يستبد الشعب ويمعن في العصيان . بدون الناموس يسود الظلم في الحكومة . وبدون التهديب تسود الفوضى في الامة . فالناموس القويم الحي والتهديب القويم الحي انما هما حصنا الحرية المنيعان . واما الناموس فتمثله الحكومة في الدستور ويمثله الدين في الايمان وتمثله الانسانية في الضمير . فالضمير الحي والايمان الحي والدستور الحي انما هي الدعائم الثلاث التي تقوم عليها الحرية الحقيقية المعنوية الجوهرية . الحرية الثالوثية التي هي واحدة اي الحرية الروحية والحرية الادبية والحرية المدنية . وان كان المرء حراً سياسياً ومقيداً دينياً وادبياً فحرية ناقصة . والحرية الجوهرية الروحية الكاملة لا تسود وتنتشر في الامم الا بواسطة العلم الصحيح والتهديب الصحيح فعلياً اذاً ان ننادي باصلاح المدارس بعد ان فتح لنا باب اصلاح الحكومة . فان اصلحنا الحكومة وظل التعليم تحت سيطرة من يقتلون في الناشئة العثمانية عزة النفس وروح الاستقلال وعاطفة حب الوطن ويعطونهم بدلاً من ذلك قليلاً من العلم الذي

قلما يفيد نعود الى الحال التي كنا فيها وتسمي حريتنا كجواد الامبراطور
الروماني كاليغولا^(١) ودستورنا كطيلسان ابن حرب او كجبة ديوجن^(٢) .
علينا اذاً ان نبث الروح الجديدة في مدارسنا . علينا ان نشيد لحريتنا
حصناً من التهذيب كما شيدت لها الحكومة حصناً من الدستور .
علينا بالجهاد والثبات . بالتيقظ والتحذر . تحذروا ايها العثمانيون ونبهوا
تحذروا من انقلاب الاحوال ونقلب الرجال فان للوزارة في
الدولة مقاصد تخفى على ممثلي الامة وعمال الحكومة .

تحذروا من رجعات الظلم . انبهوا الى عودات الاستبداد فان
في السياسة من الاحايل والاشراك مالا يعرفها الا من اشرف في
السياسة مراراً على الهلاك . احذروا من كان في عهد الظلم حراً فاصبح
اليوم مقيداً . فبدل الجاسوسية القديمة قد يتألف اليوم من حزب
التقهر جاسوسية جديدة .

احذروا حيل المشعوذين والمخترقين كحذركم دسائس المعزولين
والساقطين . ولا تغضوا الطرف عنهم قائلين ان لسممهم درياقماً
بالدستور . لا تأمنوا السم باصفهان . ان كان درياقه بخراسان .
احذروا الخونة والمرائين الذين ينادون معكم اليوم « فلتحي الحرية »
وهم في قلوبهم ياعنونها .

(١) حصان قيل ان الامبراطور منحه لقباً وكان يعيده

(٢) طيلسان ابن حرب مثل جبة ديوجين كان كثير الفتوق والرقع

احذروا من المأمورين من يتهيج ويفرح معكم بالدستور وكان
الظلم من طبعه والاستبداد وراثته فيه . فان العوسج لا ينبت تيناً .
والصخر لا يستحيل ماءً معيناً .

احذروا من اتخذ السياسة حرفة والسيادة باباً للارتزاق فان
المعدة والاهواء والمطامع تنسيهم الشعب والدستور والحرية .
احذروا المصلحين الكاذبين الذين يتزلفون من الشعب اليوم كما
كانوا امس يتزلفون من السلطان ووزرائه فان طالب الوظيفة واحد
ان احرق بخوره امام الباشاوات او امام الجماعات .

تحذروا من جهل الشعب العاتي كما كنتم لتحذرون البارح من
ظلم الحكومة العاتية . فالتاريخ شاهد على ما ارتكبه الشعب باسم
الحرية من المظالم والفظائع . احذروا في انتخاب المبعوثين نفوذ رجال
الدين فالعضو الذي ينتخبونه يؤثر في المابين مصالحهم على مصلحة الامة .

احذروا ايضاً نفوذ الاغنياء الذين لا يهمهم من الحرية والدستور
سوى ارتفاع الاسعار في البورص وهبوطها . اذا شبع الزنجي بال على الثمر
احذروا من ينتهي اليكم اليوم ممن يأكلون اموال الناس بالباطل
ويصدون عن الحق . اولئك الذين يكتزون الذهب والفضة ولا
ينفقون منها في سبيل الامة والوطن والخير العام .

وبكلمة اعم احذروا الحرية التي لا ينيرها التهذيب والتهذيب الذي
لا تنيره الحرية .

الشعرية الادبية^(١)

سادتي وسيداتي

قبل ان ابدأ بالكلام اطمننكم الا اكلمكم هذه الليلة بالرموز
والالغاز . بل في نيتي ان اجرد الاشياء من زيناتها واسميتها باسمائها .
فان ذكرت العقاب مثلاً لا تظنوني اشير الى شيء خفي تحته او فوقه
او وراءه او فيه بل اريد العقاب بعينه . وان قلت هبت الشرقية .
فلا تقولوا ما اجمل هذه الصور الخيالية . فاني اقصد النار الحقيقية
تلك التي لو مرَّ العقاب فوقها لوقع فيها مشوياً . قد حان لنا ان ندعو
المعول معولاً على حد قول اخواننا الاميركيين وبناءً على ذلك سنبقى
على الارض هذه الليلة بعيدين عن القمر والجوزاء وعن تبرقش
الشعراء

لما وقفت امامكم في السنة الماضية شعرت بوجودي معكم في غور
الحياة بل في اردن الموت . واما الآن فاراني والحمد لله اخاطبكم وانتم
في سهول الصحة تستنشقون هواء الحرية . فمن اردن الموت الى سهول
الحياة وحقول الحرية — انها لخطوة خطيرة . ولكنها صغيرة . هي
خطوة الى الامام ولكنها لا تقني عن رحلتنا الطويلة شيئاً من الاقدام

(١) انيت في حفلة جمعية تهذيب الشبيبة السورية في المدرسة الكلية

فان حوَّانا وجهنا الى مشرق الشمس نرى الجبال قائمة في طريقنا لا
لتعترضنا في سيرنا بل للشخذ منا الهمة وتوقظ فينا النشاط .

وكما صعدنا في جبل نشاهد فوقنا روح ما تجسد من الامال وهي
تدعونا الى ما فوقها من الجبال . وان الامة التي تستيقظ من سباتها
وتنفض عنها غبار فتور الاجيال ينبغي لها ان تواصل السير بالسرى
والأثقل فستقتط ثانية في الوهدة التي قامت منها . ولا يخفى
عليكم ان الطريق وعرة . والزاد قليل . والنفس مضناة من
إقامتها طويلاً في الغور . والاحمال ثقيلة . والادلاء كثيرون .
ولكننا سنتوفق ان شاء الله في مسيرنا على رغم هذه الصعوبات
والعقبات اذا اتخذنا شمس العلم دليانا . والاداب والفنون زادنا .

ان الشمس المشرقة علينا من المغرب اليوم هي والحق يقال شمسنا .
هي شمس ادابنا . هي شمس ادياننا . هي شمس مجدها الغابر . فان
نظرتم الى خارطة العالم تروا أن من البلاد ثلاثاً آخذة منه مركز
القلب . وهذه البلاد هي سوريا وفلسطين وجزيرة العرب وما بين
النهرين . هذه البلاد وطننا . هذه البلاد قلب العالم . وفي هذا
القلب ظهرت الانبياء وفيه نشأت الاديان . ومن هذا القلب اشرقت
على اوروبا في الاجيال الوسطى شمس العلم والفلسفة والادب . فانارت
ظلمات الاوروبيين وخرجت بهم من مهامه الجهل والتوحش الى
واحات الرقي والعمران . اجل ان وطننا لقلب العالم ولكن اوروبا

رأسه . وان كان القلب منشأ الخيال والنبوة فالرأس منشأ العلوم والفنون على ان النور المنبثق من الرأس فقط هو كالنور الاصطناعي الذي يضيئون به المراسح في اوروبا . هو نور بارد جامد خاسئ وان لم يشترك مع نور القلب وحرارته فلا خير فيه للانسان مهما عظمت نتائجه في دوائر العمران والفنون ان لم يكن الضمير اساسها والاخلاص لبها ونفع البشر غايتها الاولى هي أفيون لا فنون . فانها تخدر الحواس وتذهب بشيء من الهموم ولكنها تقتل النفس وتفسد الحياة .

ان سكان هذه البلاد التي هي قلب العالم لشبيهون بشجرة ذكرها النبي شجرة مباركة لا غربية ولا شرقية . نحن اليوم واقفون بين مدينتين متناقضتين معاديتين الواحدة منهما الاخرى . مدينة جديدة ومدينة قديمة . مدينة اوروية ترفع اعلامها في البلاد كلها . ومدينة شرقية لم يزل لها المقام الرفيع بين فئة راقية من نخبة الادباء والفلاسفة في اوروبا . فان كان هؤلاء الاوروبيين يجدون في مدينتنا ما لا يجب تركه ما لا يجوز اضمحلاله كم بالحري نحن . ولي كلام طويل في هاتين المدينتين اقول الوجيز منه الآن لست بجاهل ما في مدينة اليوم لمن اكثر ماله فقط من دواعي الراحة في المعيشة المادية والسهولة والسفر والمواصلات . ولا اظنكم تجهلون ما في التهادي والتكالب في سبيل هذه الاشياء من الشقاء ايضا والبلاء . فان المدينة التي يدعى التكالب فيها نشاطاً والخداع براعة والقوة حقاً هي عندي شر المدينيات . وهذه مدينة

اوروبا اليوم مدينة كهر باء هي وبخار . مدينة تجارة وكسب واستغرار
مدينة حروب وفتوحات واستعمار . ليس فيها للضمير والذمة اثر من
الاثار . مدينة جذورها حب الذات والاستئثار . وثمارها اليأس والانحمار
لا تقولوا بالغت فان كلامي من الاختبار . لا من المجلات والاسفار .
واما مدينة الشرق فلست بناكر انها مدينة فتور وجمود واستسلام .
مدينة اصولها القضاء والقدر وابها محض اوهام . ولكن فيها من
جميل العادات والتقاليد من جميل العواطف والشعور من شهامة النفس
وكرم الاخلاق من الاعتدال في العيش والبساطة ما نفنقر اليه مدينة
اوروبا . وهذه الخلال الشريفة تبعث الحرارة من الحقيقة الباردة
القاسية فتمسي الحياة خفيفة الاحمال مرضية الآمال .

ناميك عن انه لم يزل في هذه المدينة القديمة شيء من الضمير
الحى والتجرد في الولاء مما يزيد النفس الشرقية جمالا . والضمير الحى
ايها السادة هو ملح العلوم والفنون والاداب ومن هذه كلها تتغذى
المدينة الحقمة .

نحن اليوم واقفون بين هاتين المدينتين — بين مدينة غازية
منتصرة واخرى مدبرة فعلينا ان لا نخضع على الاطلاق لهذا الفاتح القوي .
وان تمسك بما في مدينتنا من الخير الروحي . ولا نجينا من استبداد
هذه المدينة الفاتحة القاهرة ويحفظ لنا حسنات تلك المدبره سوى
الاداب . ولا ار يد بالاداب الكتب فقط بل ار يد منها اداب النفس

اولاً والاخلاق . ان الدين وهو اب مدينة الشرق يرفض بتاتا مدينة الغرب والعلم المادي وهو اله مدينة الغرب يرفض بتاتا مدينة الشرق . فالدين والعلم في هذا الموقف متغرضان كل لقومه ولا ينفعنا الواحد منهما دون الآخر . واني لا اجد في كل قوى الفكر والنفس وثمارها اصلح وانجع من الاداب تجمع بين الاثنين فينشأ عن ذلك مدينة جديدة قوامها الصنائع والفنون وشعارها الاخاء العام . واعلموا ان الفنون السامية الجميلة هي التي تتغذى من العلم والدين معاً . والامة التي تجعل مثل هذه الفنون اساس حياتها الاجتماعية تكون ولا غرو مجد المستقبل وأم الامم . على شطوط البحرين وفي اودية الرافدين احب ان اشاهد مثل هذه المدينة الجامعة بين محاسن المدينتين . أحب أن ارى في قلب العالم جمال روح العالم وكلها . احب ان ارى في بلاد الشام وبلاد العرب ثمار الانبياء وثمار العلماء على شجرة واحدة . احب ان تزرع بساكن هذه الارض المقدسة من تلك الشجرة المباركة . شجرة لا غريبة ولا شرقية . واحب ان ارى الادباء والشعراء يعيدون عن السياسة واوحالها منصرفين الى حراثة هذه البساتين الجميلة .

ايها السادة — لا تظنوا ان الانقلاب السياسي يجدي نفعا ان لم يتبعه انقلاب ادبي . لا تظنوا ان في الحكومة الدستورية دواء شافيا لكل امراضنا . لا تظنوا ان الدستور وحده يخاطب الامة من الاخطار المحدقة بها النامية في قلبها وان الصحافة الحرة تقف دائما من اجل الامة

في وجه المشعوذين والمضالين والمفسدين . وهل الدستور والصحافة
 الحرة رقيتان من رقيات السحرة حتى اذا قلنا مثلاً شولم صحافة ! صرنا
 شعباً حراً . شولم دستور ! صرنا امة راقية ؟ لا يا اخواني لا . فان
 طلبتم الحرية اطلبوا المعنوي منها قبل الحرفي . الجوهرى قبل السياسى .
 اطلبوا الحرية الروحية التي تحصنها الادب قبل الحرية المدنية التي
 نتاجر بها الاحزاب . وان خفي عليكم الفرق بين الاثنين اذكروا أن
 حرية الجسد لا تجدي المرء نفعاً اذا كانت النفس مقيدة . وان
 حرية الفكر والقول لا تغني فتية اذا ظلت الروح اسيرة ما اعتاده
 الجسد من الراحة والترف والرخاء او الذلة وتعفير الوجه والعياء .

اخواني - ان الفرق بين الحرية الادبية الروحية والحرية المدنية
 المادية هو كالفرق بين حرية السياسى في مراوغاته وحرية البدوي في
 خيمته او الرجل الصالح الجريء في معاملاته . اجل ان الحرية
 الحقيقية هي التي تنشأ في النفس لا التي يمنحها الملك الرعية . فان هذه
 تنزعها الاهواء ويتاجر بها الزعماء وتثقلها رجعات التقهقر الشعواء
 وتلك كنز من كنوز النفس الخالدة . والذين لا يناضلون عن مثل
 هذه الحرية ولا يفادون من اجلها بشيء مما ألفوه من رخاء العيش
 او بشيء مما نالوه من المال او الرفعة والوجاهة فما ضرهم لو دعوا كلابهم
 احراراً وذكروا عزت في صلواتهم مراراً . الذين ينازلون عن
 حريتهم ويتاجرون بها كما لو كانت ثوباً من الخام او سهماً من اسهم

البورص فان هم الاقبور متحركة اذ ما الجسد الا كاقبر لنفس باعت
حريتها . ولكنني خرجت عن الموضوع .

قلت أن الاداب التي تجمع بين العلم والدين تكون قوام المدنية
الجديدة التي يقرن فيها بين مدينة المغرب المادية ومدنية المشرق
الروحية . ولكن ادابنا لم تنزل تحت سيطرة المتدينين والمتنطعين
وانفسنا لم تنزل في ربة رجال الدين . وان لم نتجرد من هذا الاستبداد
الديني او بالحري السفسطي كما تجردنا من الاستبداد السياسي تظل
ادابنا مبتذلة جامدة خاسئة ونعود بعد حين الى ما كنا فيه من الفتور
والخمول والانحطاط .

خذوني بحمامكم فاقتص عليكم بوجيز الكلام قصة الكهان ، ونشوء
العبادة في قلب الانسان . لنعد الى الكواخ اذا فتحني هناك شيئاً
من حكاية اجدادنا الاولين . من المعقولات التي لا تنفيها الالهيات او
الالهيات التي لا تنفيها المعقولات .

ان اول دعوة لبها الانسان دعوة بطنه وشهواته . وماذا يهمنا وقد
علمنا هذا فيما اذا كان يمشي على الاربع في تلك الايام او على الاثنين
فان في العالم حتى اليوم كثيراً من الحيوانات التي لا تمشي على الاربع .
هذا الحيوان الناطق اذا لم يكن يفهم في بادئ امره الا حديث معدته
وحديث كبده . فكان لا يحسن غير الصيد والحرب والاكل والسفاح
وبعد فترة من الزمن مقدارها الفان قرناً او الفان عاماً - لا فرق عندي

بدأ يسمع صوتاً آخر من فوق المعدة والكبد . بدأ يشعر بدعوة القلب
 فصار يعطف قليلاً على أولاده ان لم نقل ايضاً على شريكته بل جاريته
 بل بعلته . وعلى هذه الحال عاش سنين - وللعلماء ان يجمعوا الالوف
 منها فوق الالوف فان عدّها لا يستحق تعب الفكر - عاش سنين
 وهو لا يرى ولا يسمع سوى ما زينته له الغريزة وحدثه عنه المعدة .
 اولاً ترون ان بعض الشعوب اليوم فضلاً عن القبائل المتوحشة
 لم تزل في هاته الحالة المنحطة من الحياة . فان القوى المدركة لم تظهر
 فيهم بعد . وفي هذه الفترة الطويلة الامد نشأت على ما اظن
 العبادات والمعبودات التي كانت في بادئ امرها مادية مضمّة . لان
 هذا الحيوان الناطق بل هذا الصياد الغازي المسافح ما رأى في
 الاشياء الا ما ظهر منها . ما رأى في الشمس الا النور . ما رأى
 في الشجرة الا ثمارها واغصانها وقشورها . ما رأى في النار سوى
 لهيبها ودخانها ورمادها . ما رأى في الحيوانات سوى ما بدا منها
 وما ظهر من حركاتها . في تلك الايام السعيدة كان كل حيوان
 ناطق يعبد طاغوته ويحب مرمورته على طريقته الخاصة بمقتضى
 شعوره وهواه عملاً بداعي القلب والغريزة . وبعد مضي احقاب
 وهو في هذا الغور من الحب والعبادة ارتقى قليلاً الى ما فوق السهول
 وبدأ يشغل الخيلة منه حتى صار يرى في الاشياء شيئاً تحت القشور
 وتحت الرماد . وبما انه لم يدرك اسرارها راح يسلي نفسه بالاشعار

ويعملها بالخيالات . وبمقتضى هذا طفق كل انسان يمثل الخالق في الشكل الذي انطبع في قلبه اكثر من سواه . ولا حاجة لتعداد هذه المعبودات كلها . فلو جئت اعدد منها لا ان اعددتها لاقتضى ذلك من الوقت ما لا يسمح به المقام . ولكن اذا ذكرنا منها الجعل والشمس فقط نكون قد اتينا على ذكر اولها وآخرها اوطاها واعلاها . اصغرها واكبرها . وحالة الفرد تجاه معبوده في تلك الايام لم تزل سائرة اليوم في شعوب الارض كلها وما ارتقى في الامم سوى الافراد . ولكن لنعد الى اجدادنا اصحاب الاكواخ . لما ظهر في الجماعات اناس ارتقى نوعاً من اخوانهم وبدأ لهم أن الانسان يرتاح الى كل غريب عجيب — والزنجي والباريزي اليوم سواء من هذا القبيل — لما علم هؤلاء الدهاة ما للخيال والوهم من السطوة على الانفس والقلوب قاموا يؤسسون من هذه العبادات ديانات رسمية . فبنوا الهياكل وحاكوا من اوهام الناس طقوساً وطرائق واقاموا انفسهم رؤساء في الهيكل وبدأوا يتكهنون ويمثلون الله — استغفر الله — يمثلون الطاغوت على الارض . وهذا في رأيي اول ما كان من امر الوثنية والكهان . واذكروا ان الوثنية لم تزل سائدة في بلادنا والكهان يتعاطون التجارة اليوم في دكانهم القديم . وقد اوضحت كيف كان كل امرئ يعبد طاغوته على هوى قلبه قبل ان يولد الكاهن . ولكن هذا المرميت — اللفظة وحشية ولكنها في محلها — اول من

ألف من هذه العبادات ديانة رسمية فشيدت من اجلها الهياكل ونحتت الاصنام وقدمت الذبائح والقرايين وتسربت الى بيت صاحبنا المتكهن العطايا والاموال . وذلك قبل ان يظهر في الارض الانبياء الذين هم اعداء الملوك والكهان . فاذكروا هذا ولا تنسوه . ان الانبياء لأعداء الظلم في الملك والرجاسة في الهيكل والفساد في الجماعات .

واما الكهان ياسادتي فهم اول من عاثوا في الارض فساداً . هم اول من قيدوا الانفس البشرية واستعبدوها . هم اول من تاجروا بالخداع والتغدير . هم اول من استولوا على الامراء والملوك وأيدوا سلطانهم بانبياء من السماء مكذوبة . والكهان اليوم او رؤساء الاديان كلها هم اعداء الحرية الروحية الادبية . ولا يغرنكم ما بدا منهم من الارتياح الى هذه الحرية التي منحنا اياها الدستور . فان العنان لم يزل في ايديهم والارواح لم تزل في ربقتهم . الكهان هم اعداء الاداب الراقية . اعداء اشتياقات الانفس السامية الى الكمالات الفكرية . على الكهان وآلهة الكهان امتشق نبي العرب حسامه في الكعبة وصب اشعيا نار غضبه في اورشليم . على الكهان ومذابجهم وتزاويقهم واصنامهم ورجاساتهم انقضت صواعق حزقيال في اسرائيل وزمزمتم رعود دانيال في بابل . على تغريبات رجال الدين وخزعبلات العبادات قام عبد الوهاب في نجد ولوثيروس في

وتنبورغ وجون نكس في انكلترا وغيرهم في البلاد كثيرون . فما علينا
لو استغنينا عن المتكهنين المدلسين ونفقتنا من ربقتهم واعتصمنا بالله
وبدين الله وبانبياء الله . تدبروا كلامي ولا تسيئوا افتهامي . اني
احترم العاطفة الدينية التي تكاد تكون فطرية في الانسان ولكني لا
اجد في خزعبلات هؤلاء الناس وفي تنطعهم - وقد قيل هلك
المنتطعون - ما يساوي ذرة من نفس امرئ راقية . ولكن اذا
لبس الكاهن او الامام لغايته ثوباً من التغيرير والخذاع ولبس
المتعبدون ثوباً من الجهل والخرافة فذلك لان الانسان لا يسير في
الارض عرياناً ينبغي له ان يستر سوءته ولو بسوءة أسوأ منها .
وقد قال احد المسلمين - ان من آفات الدين فسق المتكلمين وجهل
المتعبدين - ايها السادة - المرء يحتاج دائماً الى من يذكره بانه من
ابناء اليوم لا من بقايا الامس . يحتاج دائماً الى من يريه الربرة والقيود
على روحه يحتاج دائماً الى من يهمس في اذنه او يصرخ في وجهه -
انك انسان حر لا آلة في يد هذا او ذاك يتصرف بها ساعة يشاء كيف شاء
فياليها الشرقيون ان تحت خريف نفسك الدائم ربيعاً جميلاً - لا اذا
كنتم نعقلون . ان تحت رهوكم موجات عظيمة لو ناهضتم العاصفة
ولو مرة في الحياة . فان مثل هذه النهضات الروحية مثل هذه
الثورات الاديوية وان كانت عاقبتها اليوم غير مرضية فهي غداً للنفس
منعشة محيية . مثل هذه النهضات تعود المرء الفكرة وتروض منه

الارادة وتكسبه المنعة والاستقلال . ان الماضي اثرأ قويا في
العروق . ان فتور النرقي وخموله لفي الدم . فان كان لا يمرن نفسه
وارادته على ما يحرك الدم — دم الجسد ودم الروح معاً — يظل ما
دام حياً كظلم من اطلال الزمان ولا ينهض الشرقيين من هذا
الغور المظلم سوى الثورة الادبية التي يتبعها انقلاب عظيم في الاخلاق
فها اننا صرنا امة حرة ذات حكومة دستورية . ولكن ذلك لا
ينافي ما في العائلة وما في الطائفة وما في المدرسة من الجور والحيث
والاستبداد . من العمارة والجهل والفساد . ذلك لا ينافي ما في
اصطلاحاتنا الاجتماعية — واكثرها من فضول هذه التمدن الافرنجية
— من الضيم والشقاء ما لا يماثله ظلم اظلم حكومة مطابقة . الاترون ان
التاجر لم يزل محني الظاهر تحت امواله وصكوكه ، وان الصانع لم
يزل اسير هذا العبد سيده ، والتلميذ في المدرسة اسير جهل استاذه ،
والاستاذ اسير استبداد رئيسه ، الاترون ان المصلح السياسي مرهونة
حريته لحطة حزبه ، والكاتب حريته عند قرائه او في قبضة رزقه ،
والصحافي حريته في جلده واستقلاله في كيسه ، — لا تؤاخذوني
فقد وعدتكم في البداية بان اسمي المعول معولا والعقاب عقابا - الاترون
ان المرأة في البيت مقيدة بارادة زوجها عادلة كانت او جائرة . وان
الأب لم يزل يعتقد ان اصول التربية في تأييد سلطته ، وان المأمور
في الحكومة يتألم من ضغط ذاك الجالس فوق رأسه ، والجندي من

استئثار ضباطه ، والكاهن من ظلم اسقفه ، والاسقف من استبداد بطريقه ، والراهب يحترق في نذره ويئن من عنف رئيسه ، والفلاح يتأوّه من جور اميره ، بل يصرخ في بعض الاماكن تحت سوطه ، شولم صحافة ؟ صرنا شعباً حراً . شولم دستور ؟ صرنا امة راقية .

اي اخواني اسمعوا التقية تهمس في أذن هذا الشيخ - حافظ على مركزك . اسمعوا الخوف يقول لذاك الصحافي - حافظ على مصلحتك اسمعوا الذلة ترشد اخينا الفلاح قائلة - اتق بطش سيدك . اسمعوا الجبانة تهمس في قلب الراهب - اتق الفضيحة وحافظ على ثوبك . فالتقية والخوف والذلة والجبانة هي اعداء حرية الانسان الحقيقية . وان لم يحرر نفسه منها بنفسه فمائة قانون ومائة دستور لا تحرره . واعلموا ان الارادة المستولية على ارواحنا لا يخلصنا من ظلمها الا ارادة اشد واقوى منها .

لذلك ادعوكم الى ثورة ادبية . اناشدكم بالحرية التي بعثت من غور ماضينا حياة جديدة الا تدعوا الخوف والتقية والذلة والجبن تستولي عليكم متى شعرتكم بيد تضغط جوراً تلي انفسكم . متى رأيتم حريتم الادبية مقيدة امامكم . ارفعوا اعلام الاداب في البلاد شيدوا صروح التهذيب اسسوا معاهد للفنون . فان الاداب والتهذيب والفنون هي القوى الادبية الروحية التي يتآلف فيها العلم والدين ويقرن فيها بين بديهيات الانبياء ومعقولات العلماء وتمتزج فيها روح الحقيقة وروح

الجمال . وننبثق منها اشعة السلم والحب والاخاء . اجل هي القوى التي
يتوقف عليها تحرير الانسان وتحرير الشعوب والامم . لنعزز الاداب
اذاً والفنون . لنؤيد بالقول والعمل التعاليم السامية . لننصر الاراء
الحرّة السديدة . ومتى رأينا أن الحزب الذي ننتمي اليه او الطائفة التي
نحن منها والجريدة التي نكتب فيها تحاول تقييد افكارنا او الضغط
على عقولنا او المتاجرة بارواحنا فعلينا ان نخرج منها سريعاً وننفذ عن
نعلنا غبارها . ان شرف المرء في حرية عقله ونفسه وشرف الاحزاب
في حرية رجالها . وشرف الطوائف في حرية ابناءها .

اخواني — ما الناس الا امة واحدة وستجمعهم في المستقبل ان شاء
الله جامعة واحدة هي جامعة الاداب والفنون . ودين واحد شامل
قوامه الابوية الالهية والاخاء العام .



المدينة العظمى^(١)

سادتي وسيداتي

قص ارستو الشاعر اليوناني قصة عرافة نترأى للناس اثناء الربيع والصيف في صورة ملك سماوي واثناء الخريف والشتاء في شكل حية رائعة هائلة . وكانت هذه الساحرة تغمر بفضلها والائها اولئك الذين احسنوا اليها وعاملوها بالمعروف في فصلي الشتاء والخريف . واما الذين اساؤوا معاملتها وحاولوا قتلها وهي في تلك الصورة المخيفة فكانت تحرمهم هذه النعم والبركات . وقد شبت الحرية بهذه العرافة العجباء التي تبدو تارة كالملك وطوراً كالحيّة الرقطاء . فالحرية في بادئ امرها لتخذ هذا الشكل المزدوج الغريب الذي يتخوف منه بعض الناس ويغالي في مدحه الآخرون . في الامم التي الفت العبودية تظهر الحرية اولاً كالحية فتتحول رويداً رويداً الى ملك سماوي . وما من منكر ان حرية العثمانيين لم تنزل في فصل الشتاء حريتنا لم تنزل كعرافة ارستو في شكلها الهائل المخيف . ومع ذلك علينا ان نصبر عليها ونحسن استقبالها حتى اذا استحات ملكاً

(١) خطبت في الحفلة التي أقامتها جمعية طلبة العلم العثمانيين في

٧ ايار سنة ١٩٠٩ في المسرح الجديد ببيروت

قر رباً لا نحرم فضلها والاها .

سادتي . ان الحرية مهما قيل فيها هي ضالة الانسان المنشودة .
هي غايته القصوى في الحياة . هي قوام النفس والعقول . وغذاء
الفنون والعلوم . واساس كل مظاهر الرقي والعمران . واود لو
دعيت المدينة العظمى التي هي موضوعي الليلة مدينة الحرية واطقت
على شوارعها اسماء رسل الحرية وابطالها في كل زمان ومكان

من الحقائق التي لا ريب فيها هو ان الانسان مهما ارتقى في
في سلم الحياة يظل في مكان يرى منه من تقدمه الى العلاء ومهما
انحط المرء وثقهقر لا يصل الى القعر الذي لا يكشف على احد دونه .
فالسلم والهاوية لا نهاية لهما في الحياة . لان الدرجة الاولى
منهما في المهد والدرجة الاخيرة في القبر . اينما كان المرء اذاً يرس
كثيرين من الناس فوقه وكثيرين تحته وكما ارتقى درجة في معارج الفوز
والفلاح يسمع اصواتاً بعيدة تدعوه الى ما هو فوقها . وهذه من
حقائق الحياة التي فيها لجميع الناس كثير من التنشيط
والتعزية علينا اذاً ان لا نكون عبيداً لمن هم فوقنا والا نستعبد من
هم دوننا . علينا الا نتصاغر امام الكبار والا نتكابر امام الصغار .

وكما في الناس كذلك في المدن . فلا يحق للوندرا مثلاً ان
تصغر خدها للقاهرة ولا القاهرة ان تشمخ انفها على بيروت
لان حسنات المدينة العظمى قد تكثرت في هذه وثقل في تلك . قد

تكبر في المدينة الصغيرة وتصغر في الكبيرة . والمدينة هذه التي صورّها العقل بريشة الخيال ما هي من مدن هذا الزمان ولا من مدن الماضي . ليس في نيتي ان اكلّمكم لا عن نينوى او بابل ولا عن نو برك او بارس فان بارس من امهات المدن العظيمة ولكنها لا تستحق في نظري صيغة التفضيل لان هناك مدينة اعظم منها مجداً واسمى منها شأناً وابعد منها جمالاً وارقى منها فضلاً وعلماً

ومن يتجاسر ان يتكهن في هذه الايام . من يدري ما في المستقبل لشعوب آسيا الصغرى . فقد تزهر المدينة العظمى فوق اطلال بابل . قد يشيدها الزمان على ضريح نينوى . قد ترتفع صروحها واعلامها وابراجها وقبابها تحت هذه السماء الجميلة على هذه الشطوط التاريخية المقدسة امام هذه الامواج التي شاهدت جنازة مجد آسيا وستشاهد ان شاء الله موكب بعثه

وبأي تمتاز المدينة العظمى عن سائر المدن ؟

ابراسيها البحرية . محطات السكك الحديدية . ابركباتها الكهربائية . ابسلاكها البرقية . ابانبائها اللاسلكية . ابقصورها الشاهقة . ابصروحها الفخيمة . بانفاقها وجسورها وملاهيها ؟ بأي تفاخر المدينة العظمى سائر المدن ؟ ابشوارعها الواسعة النظيفة . ابساحاتها الكبيرة الجميلة . ابخازنها الحاوية ما تدر وعز من مصنوعات الطبيعة والانسان . ابمدارسها العمومية . ابمستشفياتها المجانية .

ابجادهها العلمية • ابتاحفها الادبية والتاريخية • ابصارفها وبورصاتها
واغنيائها • ابكثرة سكانها • ابتعدد معابدها • لا ياسادتي •

المدينة العظمى تمتاز عن سائر المدن بنوابغها • بشعرائها وعلمائها
وارباب الفنون والصنائع فيها • المدينة العظمى هي التي يمكنها ان
تفاخر سائر المدن لا بكثرة سكانها بل بكثرة الاصحاء فيها • اذما هو
الخير في مدينة تسعون في المائة من ابنائها مرضى ؟ المدينة العظمى اذاً
هي التي يخلو هواؤها من جرائم الامراض المعدية وتشرق شمسها على
عقول سليمة في اجسام سليمة • المدينة العظمى هي التي تكرم ابطالها
ونوابغها لا باقامة النماثيل ونصب الانصاب فقط بل بالاقضاء بهم
وبالعمل بتعاليمهم • هي المدينة التي يقرن فيها بين البساطة والجمال في
امنياتها وفي ازيائها وفي فنونها • وبين الرحمة والعدل في احكام
قضاتها • وبين العلم والدين في تعاليم علمائها • هي التي يحترم المرء
فيها جسده وروحه ويعتني على السواء في نظافة الاثنين • هي التي
ينبذ رجالها ونساؤها الشرائع التي يسنها الخائنون لتعزيز شوؤن
افراد من الناس ولا فرق ان كان الافراد من الاغنياء والامراء او
السلاطين • هي التي لا يوجد فيها ارقاء ولا تباح فيها النخاسة •
هي التي ينهض فيها الشعب نهضة واحدة على ظلم الاحكام وفساد
المسيطرين • هي التي يكون شعار كل امرء فيها
لا تسقني كأس الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

المدينة العظمى هي التي لا يتداخل في شؤونها سلطة اجنبية .
هي التي يكون كل امرئ فيها سلطاناً بنفسه بل مثلاً حياً للحرية
والاخاء . هي التي يعتبر الحكم فيها كخدّام يخدمون بالاجرة . هي
التي يتعلم الاولاد الاستقلال وعزة النفس في مدارسها قبل سائر
العلوم . هي التي تطلق فيها حرية القول والعمل ويكثر فيها التنقيب
والبحث وتثمر فيها الفنون وتُعزز فيها الاداب . هي التي تكون الصداقة
فيها امراً مقدساً والاخلاص محترماً كسر من الاسرار الالهية . هي
التي لا تكره المرأة فيها على الاقامة مع رجل لا تحبه ولا الرجل
مع امرأة لا يحبها . هي التي يكون الابوان فيها صحيحي الجسم والعقل
قويين نشيطين مدرّكين فيوجدان نسلًا قوياً مدرّكاً نشيطاً — ان
لم تصلح صحة هذا الجيل لا رجاء لنا في المستقبل . المدينة العظمى
هي التي تكثر فيها الامهات لحزيمات العزومات المدرّكات ما سما
من مقاصد الحياة فلا يعلم اولادهنّ الخرافة والكذب والمراوغة ولا
يعودنهم الطاعة العمياء والجبانة والخوف — الشرق يحتاج الى
الام التي تعلم اولادها الاعتماد على النفس فوق كل شيء — المدينة
العظمى هي التي تسير النساء في اسواقها مكشوفات القناع ويحضرن
الاحفالات العمومية كالرجال ويشاركن في البحث والارشاد
كالرجال . هي المدينة التي يستغني فيها اهل الادب والفنون عن
اهل المال . بل هي التي يتأسس فيها دائرة اوقاف لا لخدمة المعابد

واعاشة رجال الدين بل لخدمة العلوم والفنون . لخدمة النوايا والعلماء
سادتي — عبثاً تسن الحكومات الحرة شرائع حرة ان لم
تطلق انفس العلماء وارباب الفنون من قيود المصلحة ومن هموم
الارتفاق .

قيل لبعض العرب ومن سيدكم ؟ فقالوا فلان فقيل بم ؟ فقالوا
احتجنا الى علمه واستغنى عن دنيانا . فثله تكون العلماء والامراء وبمثله
ان شاء الله ستفاخر المدينة العظمى سائر مدن العالم . وقال اعرابي
اخر — احب ان اتمثل بابناء هذه اللغة لنتأكدوا ان مثل هذه المدينة
العظيمة لا يستحيل وجودها في بلادنا . قال سيد من العرب لقومه — اعلموا
انني حاسدت عليكم حتى صرت عبداً لكم اغدق على سائلكم واصفع
عن جاهلكم واحوط حريمكم وادفع غريمكم فمن فعل مثل فعلي فهو
مثلي ومن فعل فوق فعلي فهو فوقي ومن فعل دون فعلي فهو دوني .
فهل ياترى يوجد بين المتدنين اليوم من يجتمع فيه هذه الخلال
الشريفة كلها . افلا يحق لمدينة المستقبل ان تفاخر سائر المدن بمثل
هذا الامير .

وبين رجال العرب من كان اعظم منه . دخل ابن العباس على
علي بن ابي طالب خارج الكوفة وهو يقطب نعله فقال له ما قيمة هذه
النعل فقال ابن العباس لا قيمة لها فقال علي لهي احب الي من امرتك
الا ان اقيم حقاً وادفع باطلا . فالمدينة العظمى هي التي يكثر فيها

مثل هؤلاء الرجال العظام الصالحين . هي التي يتعوّد كل امرئ فيها محاسبة نفسه فاذا كان ممن لهم شيء من الشهرة او المجد او القوة او النفوذ او السلطة او المال يسأل نفسه كل يوم وما قيمة هذه الاشياء كلها الا ان اقيم حقاً او ادفع باطلاً . ما الفائدة من هذه السيادة او من هذه الشهرة او من هذه الاموال اذا كانت لا تساعدني على نصرة الحقيقة واقامة الحق ودفع الباطيل والاضاليل . ما الفائدة منها اذا كانت لا تبعدني في الاقل عن هذه الظلمات وسكانها عن اسيادها وعبيدها . وقد قيل شر من الجمل نصرة الجهال واسوأ من الضلالة الاحتجاج للضلال

سادتي — ان المدينة العظمى هي التي تنتصر فيها الحقيقة قولاً وفعلاً . هي التي يروج فيها الصدق كما هو الكذب رائج في العالم اليوم . هي التي يعيش فيها الادباء والعلماء لا للشهرة والمجد ولا للكسب والمال فقط بل لخدمة الحقيقة فكراً وقولاً وفعلاً . ان فروسية الاسان غير فروسية الجنان وما كل من هز لسانه نفراً ومباهاة يستل حسامه في الغارات . فالنفس الراقية التي تعيش لهواها وشهواتها رباطيل المجد والسيادة فقط هي كالكلب الافرنجي الجميل الذي يقضي حياته كلها تحت قدمي سيده او تحت رداء سيدته . والعجب في امر هذه النفس انها كلما امعت في اللذات كلما اكفهرت في وجهها افاق الحياة . وقد قال احد المتصوفين

ان المرائي لا تريك عيوب وجهك في صداها
 وكذاك نفسك لا تريك عيوب نفسك في هواها
 وها اني ذكرت من المحاسن والاماني ما ستنفرد فيه المدينة
 العظمى عن سائر المدن وهناك امنية اخرى بل نبوة لاحد الانبياء
 ترددت في ذكرها . ليلة كنت افكر في هذا الموضوع طرق بيتي
 طارق ففتحت فاذا بالباب شيخ جليل عاري الرأس حافٍ لابس
 قميصاً بيضاء فوقها رداء اسود مسدولٌ على كتفيه . وقف في
 الباب ورأسه منحني فوق يديه المضمومتين على هراوته ولما فتحت
 دخل دون استئذان وسار تَوّاً الى مكنتي وجلس هناك على كرسي
 امامي . فاخذني من امره العجب ولكن قبل ان بادرت به بالحديث
 قال : — جئت احقق امنيتك وامدك باخر من ارائي . فقلت
 والدهشة قملاء نفسي — ومن انت ياسيدي . فقال — انا هو
 — هو ؟ من ؟

— هو الذي يخطر الآن في بالك وتحير نبوته قلبك

— بالله : انت اشعيا بن آموص

— نعم انا اشعيا

فنهضت على الفور عن كرسي وقبلت يد النبي ولما رأيت قد تبسم
 تشجعت وقبلت ايضاً شفتيه اللتين لم تزالا ملتهبتين حتى اليوم . ثم
 تجاسرت فقلت — جئتنا يامولاي وقت العشاء فهلا باركت الخوان

وأكلت معنا من عدس لبنان ليصير بيننا كما تقول العامة خبز وملح .
 فلوماً برأسه مبتسماً وتقدمني الى غرفة الطعام وبينما نحن في
 طبخة يعقوب بادرته بالحديث فقلت - ألم تتبأ يا مولاي منذ
 الوف من السنين بجيل يرعى الذئب والحمل فيه معاً والاسد يأكل
 التبن كالبقر والناس يطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل ؟
 فاحنى النبي رأسه محبباً بالايجاب .

اولم تقل في رؤساء اورشليم انهم عصاة وشركاء اللصوص
 وانهم يحبون الرشوة ويتبعون الاجور وان الرب سيقطعهم من
 اسرائيل ؟ فاحنى النبي رأسه ثانية . فقلت -

وها قد مضى على ذلك يا صاحب النبوة الوف من السنين والعالم لم
 يزل كما كان يوم صيبت عليه شآبيب غضبك . فاجاب اشعيا قائلاً -
 ان الوف السنين التي مرت على نبؤاتي هي كالدقائق في عين الله .
 والاجيال بالنسبة الى الابدية هي كالساعات بالنسبة الى الاجيال فلا
 يربك كلامي . ردد نبؤاتي ولا تخف . بشر بالمدينة العظمى في
 بلادي وبلادك ولا تيأس . قال هذا وهمم بالانصراف . فاستأذنه
 بسؤال آخر فقلت - وكيف كان يكلمك الله يا صاحب النبوة ويطلمعك
 على غيب الامور ؟ فقال النبي - مثلاً انا اكلمك الآن . وقبل ان
 فتحت الباب استحال شعلة نار . وتوارى عن الابصار

لا تظنوني مازحاً ايها السادة . فان للانبياء المقام الرفيع في

العالم الروحي . لم تزل لهم تلك السطوة الصالحة عَلَى النفس السامية .
وانك اذا حككت نفس اكبر نابغة في العالم تجد في ابها شيئاً من روح
النبوة . المدينة العظمى اذاً هي التي نتم فيها نبوة اشعيا . هي
التي يسير الذئب والحمل والنمر والجدي فيها معاً . هي التي يرتاح فيها
الناس من شرور اصحاب السيادة الدينية . هي التي نقطع فيها
سلسلة اولئك المفترين عَلَى الله وانبيائه الجالسين عَلَى عروش القداسة
الكاذبة القابضين عَلَى صولجان الخرافة المتوجين بتيجان الجهل والتعصب
والطغيان . ان مصيبة الشرق في رجال الدين والكهان لا في
الانبياء والاديان . المدينة العظمى هي التي يسود فيها العلم والحرية
والاخاء والوفاء هي التي تنتصر فيها القوى الروحية على القوى المادية
والقوى العقلية عَلَى القوى المادية . هي التي تطبع فيها آلات الحرب
معاول ومحارث ومناجل . هي التي تشيد فيها الصروح والمعاهد
لارباب الموسيقى والشعر والتصوير ولربات الفنون والجمال . هي
التي يكثر فيها من امثال علي بن ابي طالب واشعيا بن آموص وذلك
الامير العربي الذي ساد قومه لانهم احتاجوا الى علمه واستغنى عن
دنياه . اي سادتي . ان المدينة التي ينبغ فيها اعظم الرجال واعظم
النساء هي اعظم مدن العالم وان كان سكانها لا يتجاوزون عدد سكان
الفريكة

قيمة الحياة ^(١)

أيها السادة والسيدات .

عندما وصلتني دعوة جمعيتكم لاخطب في حفلتها السنوية هذه كنت مهتماً بانجاز تأليف جئت في بعض فصوله على ذكر اجدادنا الفينيقيين . فسرتني ان ارى شيئاً من علوهمتهم ونشاطهم في ابناءهم الصيغونيين . سرتني ان ارى مصابيح العلم والعرفان تضيء على هذه الشطوط القديمة التي نشأت في ربوعها اللغة وكبرت فيها هممة الفينيقي التجارية والعقلية فجاء بما يدهش الافرنج حتى اليوم من آيات الفكر الباهرات ومن غرائب الاكتشافات والاختراعات . سرتني ان ارى روح اولئك الاجداد الكرام تنبعث اليوم فينا فتنهض بنا الى العلياء . وعجبت بصدف ترينا في صدف الحوادث لوئلوا الاماني فليت الدعوة على ما كنت فيه من شغل شاغل وتأهب للسفر مزعج حباً بزيارة مدينتكم وبمساعدة هذه الجمعية الوطنية في مشروعها — اذا كان في حضوري ما ينفع وفي كلماتي ما يفيد . على اني في قراءتي كتاب الجمعية وقفت عند عبارة مذهشة . والظاهر ان كاتبه الكريم طویل الباع في طرق الاطراء

(١) خطبة القيت في حفلة جمعية الخدمة الوطنية بصيدا في

واساليه . فبعد ان غلاني بالغلو واغرقني بالاغراق . رغب الي ان
 اتحكم بخطبة « لم نفتق رتق سمع ، ولا خطب مثلها في جمع »
 — السجعة له لا لي — فقلت في نفسي وماذا يبتغي الصيدونيون مني وما
 انا بصاحب معجزات او كرامات . ان خطبة مثل هذه ايها السادة في زمن
 كثرت فيه المنابر والمطابع لا يستطيع ان يأتي بها بشر مثلي . لا جديد
 تحت الشمس ولا فوقها . فالمذنبات التي لا نراها نحن الا مرة في حياتنا مثلاً
 مرت لا شك في فلك الارض بمراى من اسلافنا مرات عديدة في ما
 مضى من الزمان . لا جديد فوق الشمس وصوت الحقيقة الذي أحب ان
 اسمعكم اياه هذه الالية طالما رددته قبلي العلماء والانبياء لا جديد تحت الشمس
 على انني استطيع ان احدثكم باغة لم تسمعوها بعد اذا كانت بغيتم تنحصر
 في مجرد رؤيتي واستماعي خطيباً . يمكنني ان احدثكم في عضارطة^(١)
 السياسة ودهاقينها^(٢) ، الذين ياهوجون^(٣) اعمالهم ويلموقونها^(٤) ، او في
 زرازة^(٥) يمشون في الارض سهلاً^(٦) ، ولا يحسبون سواهم للمجد
 أهلاً ، او في سباهة^(٧) يجمشون^(٨) العجنجرات^(٩) ، ويعدون ترهات

- (١) العضارط الخادم على طعام بطنه والاجير والشم (٢) الدهقان
 « معربة » رئيس الاقليم (٣) لهوج الامر لم يبرمه والشواء لم ينضجه
 (٤) لمهوق العمل لم يحسنه (٥) الزراز البطر « العجمية » (٦) جاء
 الرجل سهلاً اي مختصلاً وغير مكثرت (٧) سهل بقال كسل (٨) جمش
 غازل (٩) العجنجيره من اللحاء الخفيفة الروح

العصر ايات منزلات، او في رعايب^(١) يسمدن^(٢) في المركبات، او
يتبهنسن^(٣) في العرصات، ويحسن الخشب^(٤) على صدورهن درراً
وريش الطيور على رؤوسهن تيجانا. او في صفاريت^(٥) من الادباء يطوفون
حول القصور المشمخرات^(٦)، علمهم يفوزون بشيء من اعلاق^(٧) السراة،
او في خريت^(٨) من ولاة الامر خيدع^(٩) اذا استذريت^(١٠) به قاذك
الى محطمة سجيل^(١١). او في غطريف^(١٢) كبير، ترفته الدنانير،
وحسدته على اذنيه الحير، او في متنطع مخزنيق^(١٣) دفطس^(١٤) وقته
في حشو جوؤجوه^(١٥) بما لا يفيد من العلوم. او في - ولكن البساطة
اولى واشفى. ماننا وخطبة «لم تفتق رتق سمع. ولا خطب مثلها
في جمع» فما قد اسمعتكم ما يفتق الاسماع حقاً بل يفلق الصخور.
ساحدثكم الليلة في موضوع قريب منا كلنا بلغة تسمعونها كل

- (١) الجارية الرعوب الحسنة الرطبة الحلوة الناعمة (٢) سمد الرجل رفع
رأسه تكبراً (٣) تبهنسن تبختر (٤) مخشب خرز من الزجاج (٥) الصفريت
الانقير (٦) اشخر طال والمشمخر من الجبال العالي (٧) العلق الفيس
من كل شيء (٨) الخريت الدليل الخاذق الذي يهتدي الى آخرات اي ضايق
المفاوز وطرقها الخفية (٩) الخيدع من يوثق بمودته (١٠) استذري بفلان
التجاء اليه وصار في كنفه (١١) سجيل واد في جهنم والمحطمة باب فيها
(١٢) الغطريف السيد الشريف (١٣) تنطع في الكلام تعمق وغالى وتأنق
(١٤) المخزنيق الطرق الرصين (١٥) دفطس اضاع (١٦) الجوؤجوه الصدر
وهذه عشرون وخمس فعلات لغويات استغفر الله منها.

يوم وبعبارة نفهمونها وانتم الى اشغالكم سائرون . موضوعي قيمة الحياة
 واريد بادىء بدء ان اسدل ستاراً على الماضي وآخر على المستقبل
 فاحصر الحياة في الحاضر واسألكم سوءاً : لو علمتم حق العلم ان
 الحياة صدفة من صدف الطبيعة وان لا سابق قصد لها ولا
 لاحق لا قوة مدركة وراء المهد ولا وراء اللحد . فترسلها وتبعثها عقلاً
 وروحاً - وبكلمة اخرى لو تأكدتم ان الحياة مادية محض والموت
 ضجعة ابدية كيف تعيشون ياترى وكيف تعملون لترفعوا من قيمتها وتجنوا
 الناصح اللذيد من ثمارها ؟ تجعلون قاعدتها الاساسية قاعدة التجار
 والمتمولين ان لا حقيقة في العالم الا المال ؟ انقولون قول السياسيين
 والمسيطرين ان لا حق في العالم الا القوة ! اتذهبون مذهب فلاسفة
 اليونان الكليبيين ان لا حقيقة في العالم الا اللذات . أو نقولون قول
 حشاشي الزمان القديم ان لا حقيقة في العالم على الاطلاق وكل شيء
 مباح ؟ لو تأكدنا ان المكون مركب من المادة والقوة فقط وان
 الحياة كذلك اينبغي ان نعيش كالحوانات ؟ وان نحن فعلنا انا من
 شر انفسنا ان لم اقل شر الاقوياء فينا . اذا احب احد الناس ان يعيش
 كما لو كان هو العالم وبيته الدنيا واستطاع الى ذلك سبيلاً ايستطيع
 ان يذهب على هواه دون ان تذهب حياته ضحية الاطاع والاهواء . ولو
 ضياني هذا السيد العظيم الاثيم وضحاكم على عرفات قدسه ومجده واهوائه
 ايا من ياترى صولة الجماعات حين يستيقظون فينهضون ؟ أأمن هو

و يد فوق يده تأخذ بناصيته يوم يثار الحق باعدائه ؟
 حكم عبد الحميد ثلاثاً وثلاثين سنة وهو لا يحسب ان في العالم من
 ينبغي ان تراعى حقوقهم وحياتهم سواء . فماذا كانت عاقبة بغيه وجوره
 واثرتة .

لا انكر ان نظرة عمومية سطحية في احوال الانسان الاجتماعية
 ترينا الشرير يسعد بشره والصالح يشقى بصلاحه . ولكن ذلك لا
 يكون الى الابد . وانما يظهر كذلك لمن لا ينظر في الامور الى ما وراءها
 لمن لا يرى في الحياة غير ظواهر الحوادث . مات كثيرون ممن
 قاسوا اليم العذاب من الدور الماضي دون ان يشاهدوا نكبة سلطانه
 واعوانه . ماتوا يائسين من الحياة التي ينتصر فيها مثل هؤلاء الاشرار
 الكبار . ولكن قصر نظرهم فيئسوا . ولو تشوفوا الى المستقبل وكان
 ايمانهم شديداً بالعناية التي لا تترك الاثيم عزيزاً الى الابد لما ماتوا
 يائسين . ان ما نراه نحن اليوم مثلاً ونقر منه ساخطين حائقين يراه
 غداً آخرون فيستجلون فيه اليقين . ان شر الامس لينتج اليوم خيراً
 وخير اليوم قد ينتج غداً شراً . اجل سادتي ان في الاشياء والاكوان
 عناية لا يعقلها الانسان ولا يدركها ارباب العرفان . ان في الحياة اسراراً
 تدك العروش وتزعزع الجبال لو تجلت كلها دفعة واحدة في آن واحد .
 ولكنه تعالى علیم رحيم فهو لا يمكننا الا مما نحتاج اليه من القوت
 الخفية في الحياة فنستخدمها لخيرنا لو عقلنا لمنفعتنا . ونقف صابرين

هادئين ثابتين امام مفظعات الوجود ومبهجاته . وعندى ان هذه الاسرار تتجلى للانسان تدريجاً على حسب ارتقائه العقلي والروحي ذلك لان الحياة سلم اوله الحيوان ووسطه الانسان وآخرة الملاك . وقد يأتى يوم يشاهد فيه ابناء الارض رجل المستقبل العظيم وقد ترقى فيه القوى الحيوية كلها اى القوى الحيوانية والبشرية والالهية الى منتهى الدرجات . الانسان مركب من هذه كلها وقواها كامنة فيه الى الابد . فان رعى احداها دون الاخرى يقف في سلم الارتقاء وطبائع الحياة فيه ناقصة فاسدة نعم انى ممن يعتقدون بالنشوء والارتقاء ولا حاجة الى ان يؤيد العلماء اعتقادي . فاني لمؤيده بما اعرفه وبما اجله من لوح هذا الوجود . من الحياة ومن الاكوان . ان في نشوء الانواع وارتقائها عناية الهية عظيمة . والناموس الطبيعي الذي يكثر من ذكره العلماء انما هو مشيئة الله في الاشياء . انى لارى يد الله في كل مظهر من مظاهر الحياة . واؤمل ان ارى ولو بعد موتى بليون من السنين روح الانسان متجلية في كل مظهر من مظاهر الله .

اراني تجاوزت الحدود الوهمية الى حصرت هذا الوجود ضمنها فاصبحت والماضي والمستقبل يتجاذبان في المعقول والمحسوس . وكيف نستطيع ان ننظر في الحياة نظرة بعيدة صائبة دون ان نتلفت الى الماضي ونتشوف الى المستقبل . كيف يمكننا ان نقيسها لنعلم قيمتها وكل شيء . فينا وحولنا ينطق بما مضى وبما هو آتٍ مما هو قسم

جوهري من الحياة البشرية . احببت ان احصر الموضوع في الحاضر
لا ريمكم ان الحياة وان كانت مادية محض لا يستطيع الانسان ان
يذهب فيها حسبما يشاء ويسترسل الى ملاذ هوائيه دون ان تخثر
نفسه ، فيغلظ شعوره ، فيكثر عثاره ، فيشتد بلاؤه ، وان شقاء
الناس اليوم ناتج عن هذه الحياة المادية الحيوانية التي يكبرونها
ويعززونها ويعرقون دماً في سبيلها . ألا اننا نعيش اليوم كما لو كانت
الحياة منحصرة في البورص والمخزن وغرفتي الطعام والنوم نعيش
كما لو كانت قوام الحياة في جمع المال وفي تربية دود الاهواء
والشهوات . ويالها من دود تحوكت للنفس وللجسد اكفاناً من الحرير .
نعيش كما لو كنا آلات هضم واكثرها في هذا الزمان مصدئة
وانصاب مجد واكثرها متهدمة . فالسياسي لا يرى في الحق قوة
تستحق الاعتبار ان كان الحق لا يؤيده في ضلاله وفساده . ورجال
الدين يصممون اذانهم عما جاء في كتب الدين من سديد التعاليم
ويستخرجون من بعض الايات والعقائد قواعد تمكّنهم من الضغط على
الانفس والعقول لتكون لهم في ذلك سلطة ما انزلها الله على احد من
الناس . والصحافيون يزفون ثناءهم لهذا الخاطب ويبذلون شهادتهم
لذلك الطالب حياً باعلان او اشتراك يحرزونه . او انهم يوقفون
الحق على رأسه غواية ونكابة . او انهم يتحاملون على الناس ويشيرون
المفاسد والفتن حياً بالظهور والاشتهار . والغني فينا يعيش كما لو كانت

الاموال ثقيه الموت وتكسبه الخلود . والتاجر يضرب اخماساً لاسداس
 ليل نهار فيستنبط طرقاً بل حياً جديدة للكسب والاثراء . والوجيه
 الفاضل الواقف على شفير الافلاس يكتد الفلاحين الفقراء ويعرقهم
 ليؤيد فيهم منزلته العالية ومقامه الرفيع الشأن . ترانا نعيش كأن
 الحياة بنت يومها منحصرة بين شارقة وغاربة . مركبة من امشاج
 لا اثر فيها للعقلبات والروحيات . بلى . نعيش كما لو كنا مركبين
 من السنة ومعد واكباد فقط فنحسن اللقطة والكبكة والشر الثالث
 الذي ذكره النبي في حديثه الشريف ولا نحسن سواها . نعيش
 لاهوائنا واطماءنا وملاذنا . . نعيش لمجد في العالم باطل . نعيش
 لوجاهة فينا فارغة . نعيش لازياء تستعبدنا . لعادات واصطلاحات
 تسوقنا الى المذلات . وفوق ذلك نعيش في الخداع والجريزة
 والتليس . نخادع لحوف فينا يسودنا . نلبس على الله والناس لغايات
 في النفس خبيثة ذميمة . نتأخى طمعاً بربح من هذا الاخاء . نتصادق
 حياً بما في الصداقة من عائدة مادية بائدة . وقال المتنبي :

ولما صار ود الناس خبا جزيت على ابتسام بابتسام
 وصرت أشك فيمن اصطفيه لعلي أنه بعض الانام

* * *

كانت لامرئ كرمه يأوي الثعالب اليها ويفسدون فيها .
 فنصب هناك مفرعة او خيال صحراء ليردعهم عنها . فجازت الحيلة

على الثعالب وعجبوا لصاحب كرمة يحرسها ليل نهار ليقطع نصيبهم منها . الا ان احدهم وكان اشجعهم وادهاهم بادره الريب من ذلك فجاء الكرمة ذات يوم ووقف ساعة امام المفزعة دون ان يفزع منها . ثم تقدم اليها قليلاً قليلاً وضربها بيد، فوقعت الى الارض . فضحك ثم ضحك ورفع فوقها جنبه وراح يدعو اخوانه الى اجتماع وطني سيامي . وخطب فيهم قائلاً : ان الانسان لخداع مكار فقد حرمانا نصيبنا من الكرمة بخيال نصبه فيها . ومن رأيي ان نخذو حذوه لنفوز عليه . فاقترح عليكم نصب خيال اسد هناك لننال قسمتنا من الكرمة . فصفق الثعالب الجياع له ونصبوا في كرمة الانسان مفزعة بهيئة الاسد . ولما جاء الانسان في اليوم التالي ورأى الاسد واقفاً هناك ينظر اليه وقف شعر رأسه وهول راجعاً الى بيته . وكذلك نال الثعالب الجياع قسمتهم من الكرمة . خدعهم الانسان بخيال نخذوه بمثله .

وكم من خيالات وبعبات تحفظ اليوم كيائنا وتدفع عن شرفنا الوهمي عاراً وهمياً . كم في حقول الدين وصحاري السياسة وكروم التجارة من مفزعات لو ضربت مرة لاصبحت مفضحات . اجل ان الحياة اليوم سواء كانت في ارقى مظاهرها الاوروبية او في انغم مظاهرها الشرقية انما هي حياة خاسئة فاسدة ناقصة . هي عند الغربيين محض مادية تجارية . وامست عندنا لا مادية تعرف ولا روحية . حياتنا

ايها السادة وان كنا لم نزل نوّم الكنائس والجوامع كاجدادنا ان هي
 الا العوبة في روحياتها واضحوكة في مادياتها . هي مزيج فاسد من
 الاثنين . وهذا سبب الشقاء والبلاء والفساد في طبقات المجتمع
 كلها . بل هذا من وجهة خصوصية السبب الاصلي في انحطاط
 الشرق والشرقيين . ولكنني اقول وحق ما اقول ان سيادة الاوربيين
 في الشرق لا تدوم طويلاً اذا كان اساسها القوة المادية فقط . وان
 نهضة الشرق لا تنجح ان كانت اساسها الروحيات فقط . الكتب
 المقدسة تصلح الحياة . ولكنها لا تعمر البلاد . والعلوم المادية تعمر
 البلاد ولكنها لا تصلح الحياة . اذن كتبكم المقدسة احفظوها
 وكتب العلم عززوها . وكل كتاب ايها السادة يساعد على حفظ
 الحياة وتحسينها وارتقاءها هو عندي كتاب كريم مقدس . والحياة
 الصحيحة القوية الجميلة السابعة هي التي نتغذى من كل كتاب
 مقدس روحياً كان موضوعه او مادياً . ذلك لانها مركبة من
 الاضداد . ذلك لانها مادية روحية عقلية . ومن النواميس الطبيعية
 المعروفة ان قوى الانسان تنمو وتشتد في التمرين والممارسة . فاذا كنا
 لا نمارس الا قوانا الحيوانية وفيها قوى اخرى عقلية روحية نظل لا
 شك في درجة واطئة من سلم الحياة . بل نظل والجهل والبلاء اكبر
 ما في حياتنا . ذلك لان القسمين الكبيرين فيها اعتراهما الفساد من
 الاهمال . ولو مرّ المرء قواه العقلية والجسدية فقط اظلمت الروح

فيه • هملة مغبونة • وكثيراً ما تكون تشوقات النفس المظلومة سبباً
لعوارض وامراض شتى • كثيراً ما يكون شقاؤنا ناتجاً عن فساد
احدى قوانا العقلية او الروحية •

وها اني وصلت الى الحد الذي ينبغي ان نعرف عنده الحياة
لنعرف كيف نقيس قيمتها • مما تقدم يوضح لكم ان الحياة اصلاً انما هي
قوات عقلية روحية مادية تظهر في الناس بمقادير متباينة ناقصة ولكنها
كامنة بالقوة وذير محدودة في كل نفس بشرية • قلت « انها كامنة
بالقوة » والعبارة فلسفية وضعية لا احب ان ارددها واكثر من مثلها •
على انني اورد الفكر بعبارة بسيطة • ان في كل منا قوى غير محدودة
من هذه الينابيع الثلاثة تظهر فينا او في نسلنا بمظاهر شتى طوعاً
لاحوال نعقلها اذا اعتبرنا ولاسرار لا نستطيع اليوم ادراكها هذي
هي الحياة نظرياً • مبدئياً • واما عملاً • آه لو كانت حياتنا الدنيا
ابتسامة دائمة تبتدى بالسرور وتنتهي بالابتهاج • آه لو كانت حلماً
من احلام الشعراء او لحناً مطرباً مفرحاً من الحان الموسيقيين ! ولكن
الحياة في نظر أحد القديسين انما هي عقاب الانسان في هذا العالم • وفي
نظر الفيلسوف هي سلسلة من حديد المصائب فيها حلقات قايلة
من ذهب العزاء والهناء • وفي نظر الشاعر هي هيئات هيوية محزنة
لاسرار سامية غامضة • هي خيال زائل لحقيقة ازلية دائمة • وفي
رأي سيدنا سليمان كل شيء باطل وقبض الريح • وفي رأي جمهور

الناس انما الارض وادي الدموع . فالتقديس اذاً والفيلسوف والشاعر
والحكيم والناس كلهم مجمعون على ان حياتنا الدنيا لا تساوي الغناء
الذي نقاسيه من اجلها . بل لا تساوي العرق الذي يتصبب من
جباهنا في سبيلها . ولكني ارفع على هذه الاراء كلها رأياً آخر اود
لو سمعتموه وحفظتموه وتمثلتم به في كل موقف وفي كل آن . ألا
ان الحياة صالحة اذا كان المرء صالحاً . وجميلة اذا كانت نفس
المرء جميلة . والانسان لا يكون صالحاً ونفسه لا تكون جميلة اذا
كان لا يربي ويرقي فيه قواه الروحية والعقلية والمادية كلها على
السواء ومن النادر ان نجد في العالم اليوم حياة تامة الاجزاء
ارتقاءً ونشاطاً وادراكاً في شخص واحد . فاذا كانت القوة العقلية
عظيمة في احد الناس راقية تكون القوة الروحية او الجسدية فيه
منحطة

والعكس بالعكس . ودفعاً لما قد يكون في كلامي من الابهام
ازيدكم ايضاحاً بما اريد به بالحياة التامة الاجزاء ارتقاءً وفهماً ونشاطاً .
فالقوة الحيوانية التي ينبغي للانسان ان يرعاها ويتعدها بالتربية تظهر
نتائجها في صحته وصحة نسله . والقوة الروحية تظهر في شعوره الراقى
وحبه . والقوة العقلية في ادراكه ونباهته وحكمته . واعلموا ان العالم
مثلاً يكون غالباً قوي الادراك ضعيف الشعور . والشاعر شديد
الشعور ضعيف الادراك . والفلاح او البدوي يكون غالباً شديد الجسم

ضعيف الشعور قليل الادراك اما قيمة الحياة في كل من هؤلاء وان كانت ناقصة فتختلف بالنسبة الى ما يأتون به من الصالحات الباقيات .
 فقد تكون قيمة حياة البدوي في نسله اعظم منها في نسل العالم وقد تكون في الشاعر اعظم منها في العالم العلامة والخبر الفهامة
 قد لا ينتبه ارقى الشعوب حتى في هذا العصر الى ما في الوجود من دواعي الارتقاء كلها والصحة والسعادة . ففي الشرق نظن الوسخ عرضاً والخمول نعمة والخبل مصدراً للتجليات الروحية . وعن هذه الاوهام ينشأ النقشف والزهد وما يصحبهما من اذلال الجسد واماتته .
 وفي الغرب بدأنا نرفع من اسباب النظافة والصحة الى حد لا تملوه اقصى الغايات . وقد قال الفلاسفة هناك ان واجبات الانسان الاولى ان يكون حيواناً نشيطاً قوياً . ولكن اذا نحن اهملنا ترويض الاجسام فهناك بدأوا يهملون ترويض الارواح . وفي الامرين نقص ظاهر .
 على الانسان ان يعاني على السواء في تربية وترقية قواه العقلية والجسدية والروحية كلها . ساضرب لكم مثلاً من هذا النقص في التربية حتى في مشاهير الرجال . في الفيلسوف سبنسر كانت قوة الادراك راقية الى حد نادر المشال عجيب . واما قوة الاحساس والانعطاف - اي القوة الروحية - فكانت فيه اضعف مما قد تكون في احد سكان اواسط افريقيا وفي الشاعر دنته نجد القوة الروحية عظيمة في شعره كما كانت في حياته . واما القوة العقلية اية قوة

الادراك فما هي كذلك . ومثل هذه الموازنة تصح بين ابن الفارض وابن
 رشد . او بين البهاء زهير وابي العلاء . وعندني ان في رجل المستقبل
 العظيم يتجسد الفيلسوف سبنسر والشاعر دنته او العالم باستور والقديس
 او غسطينوس او ابن الفارض وابن رشد . سيجبل الله انساناً جديداً
 كاملاً من الطينتين . من النصفين . وهو على كل شيء قدير .

من هذا يوضح لكم رأيي في ماهية الحياة واقصى غاياتها . اجل
 ان الحياة الحقّة هي التي تجمع بين محاسن فلسفة الروحانيين وفلسفة
 الماديين . هي التي يشارك صاحبها ابيكوروس في لذاته وافلاطون
 في روحياته وسقراط في ادراكه وحكمته . هي التي تعظم فيها قوة
 الجسد وقوة العقل وقوة الروح . التي تؤلف بين اول درجات سلم
 الحياة وآخرها . بين الحيوان مصدرها والملاك محبتها . مثل هذه
 الحياة كنز من كنوز الدنيا وقيمتها لا تقدر ولا تحد .

اما حياتنا اليوم — حياة عالمنا او تاجرنا او كاهننا او فلاحنا —
 فهي ناقصة خبيثة خاسئة فاسدة وكذلك نتائجها . فكم من عمل فيه
 اخلاص وما فيه شيء من العقل من عمل فيه عقل وما فيه شيء من
 الاخلاص . ومن عمل فيه اقدام وشجاعة بل فتحة وسلطنة وما فيه
 ذرة من العقل والاخلاص . ومع ذلك نستطيع ان نجعل حياتنا اليوم
 ذات قيمة تذكر اذا سرنا الى غرضنا بجزم وعزم ونشاط وثبات واقتطفنا
 من الاعمال الناقصة . ما هو صحيح ناضج من ثمارها . اذا كنا حقاً

أحراراً — اذا كنا صادقين مخلصين محبين مدركين فنعرف أين
تنتهي حريتنا وأين تبتدي حرية جارنا . — نمهد بشيء من العلم
والصلاح سبيل الحياة الحقّة التي وصفتها . الحياة البشرية المستقبلية
التامة الاجزاء ارتقاءً وصحةً وفهماً نعم ان قيمة مثل حياتنا اليوم
لهي ناقصة تافهة ولكنها بالنسبة الى ما هو دونها تستحق الاعتبار .
حسبنا ان تنقص فينا اليوم الجريرة والتلبس والخداع فتعلو بالنسبة
قيمة الحياة . حسبنا ان يتقدم في كل بلد احد الناس الاقوياء بصلاحيهم
الجرئين بفكرهم فيضرب احدى مفزعات الناس ويحطمها . الخيالات
والبهجات والاهام والخزعبلات — كلما زال شيء من هذه ترتفع
بالنسبة قيمة الحياة .

قل لي اذاً ايها المحترم ما هو اعتقادك الحقيقي فاقول لك ما هي قيمة
حياتك . قل لي يا صاحب السعادة والعزة ما هي امالك في اعمالك
فاقول لك ما هي قيمة حياتك . قل لي ايها الصحفي الحر ما هي
غايته الكبرى في تسويد الصحف فاقول لك ما هي قيمة حياتك .
قل لي ايها الغني ما هو قصدك الاول في جمع المال فاقول لك ما
هي قيمة حياتك . قل لي ايها الانسان ما هي اسرار قلبك اقل لك ما
هي قيمة حياتك . قولي لي ايها المرأة ما هي غايتك القصوى في
الدنيا اقل لك ما هي قيمة حياتك .

اخواني . اخواني .

ان قيمة حياتنا اليوم ما نزرعه في القلوب من البر والصلاح .
وفي العقول من العلم والحكمة . قيمة الحياة ما يعود اليها من ثمار الحب
الذي نزرعه في صدور الناس . قيمة الحياة ما يأتي به كل منا من
الصالحات الباقيات مادية كانت او عقلية او روحية . فالغني الذي
يقدر حياته بما عنده من المال يرفع من قيمتها اذا بذل من ثروته للنشر
المعارف واستئصال الامراض وتخفيف وطأة البوس والظلم في
العالم . والعالم الذي يقدر حياته بما عنده من العلم يرفع من قيمتها اذا
محص علمه من الغش والخداع من السفساف والاهام وبثه في الناس صافياً
لوجه الله . والمتقشف الذي يقدر حياته بما عنده من الزهد والتقوى
يصنع خيراً اذا كان نقشفه يفيد في الاقل افادة سلبية فيخفف فينا
وطأة زخرف هذه الحياة المادية . على ان العالم والغني والزاهد قلما
تنفع حياتهم وقلما تكون ارفع قيمة من حياة احقر الناس واجهلهم
اذا كانوا لا يعملون لغير انفسهم . وشر الحياة حياة لا انعطاف فيها
ولا اخلاص ولا حب ولا حماسة .

واما رجل المستقبل ذاك الذي تتم فيه اجزاء الحياة كلها وتتساوى
صحة ونشاطاً وفهماً ورقياً فسيتمكن ان شاء الله من الجمع بين حسنات
العالم والغني والمتقشف . بين محاسن العقل والجسد والروح . بين
الخيال والحقيقة . بين جمال الشعر وجمال الحكمة وجمال الصحة .

مثل هذا الرجل الذي يعيش في الحاضر كما لو كان الحاضر الابدية
 كلها فلا يعمل عملاً لا يشترك فيه عقله وروحه وقلبه . هو يشغل
 رأس ماله في اسواق الحياة الثلاثة فلا يكون عالماً عاجزاً لا يحسن
 التصرف في غير منزلته ولا غنياً جاهلاً ولا زاهداً أخبل . هو الذي
 يحبي قواه كلها ويرعاها فيغذي العقل والروح دائماً كما يغذي الجسد .
 هو الذي يروض نفسه للشدائد كما لو كانت من ضروريات الحياة .
 هو الذي لا يعول في اموره على احد من الناس . هو الذي لا يحترم
 في البشر الا العلم والذكاء والصلاح . هو الذي لا يحابي في سبيل
 العدل احداً ولا يخشى في سبيل الحق انساناً . هو الذي يعيش لنفسه
 ولربه وللانسانية في وقت واحد . ان حياة مثل هذا الرجل ككنز
 من كنوز الدنيا وقيمتها لا تقدر ولا تحد .



هملت وشكسبير^(١)

يتوقع مني بعض الناس توجيه كلمة الى اولئك الذين اساءوا
فهم خطابي الاخير في الكلية الاميركية . ونشروا على صفحات الجرائد
مثالاً من تسرعهم في النقد و بطئهم في الافتهام ، ولكنني آيت
على نفسي الا اوضح لاحد والا اجادل وناقش احداً . فان الذين
يعرفوني ويفهموني بغنى عن الايضاح والذين لا يحبون ان
يعرفوني ويفهموني وان صرفت ما بقي من حياتي شارحاً مفسراً موضحاً
فانهم لا يقتنعون ولا يفهمون . لذلك لا اضيع وقتي فيما لا طائل
تحته لا لكم ولا لي . لذلك لا اجادل احداً ولا اناقش بشراً . بل
جعلت مبدائي وخطة حياتي هذه الكلمات الثلاث « قل كلمتك
وامش » . فاننا اذا وقفنا لسمع المداحين والهجائين الناطقين بالحجارة
والناطقين بالازهار ننصرف عما وجدنا من اجهل من بث المبادئ الحرة
والتعاليم السديدة في الناس الى ما يعرقل سعينا ويقعد بهمتنا ويكدر
صفاء افكارنا ويعودنا مقاتلة الناس لا تهذيبهم ولذلك جعلت شعاري
« قل كلمتك وامش » .

هذا هو مبدأي هذه خطة حياتي الكتابية . وهذه نصيحتي

(١) خطبة القيت في مسرح زهرة سوريا ببيروت اول ليلة فيها مثلت

لاخواني الادباء اجمعين . وبناء على ذلك ساقول كلمة في رواية هذه الليلة كي لا أخرجكم من الموضوع الجميل الذي انتم فيه . واني لا استحسن قطعاً الخطابة في المواضيع السياسية والاجتماعية في مثل هذه المواقف الادبية . فانها تصرف افكاركم عما جئتم من اجله هذه الليلة ونقطع سلسلة الخيال التي لنقلكم من المكان الذي انتم فيه الى مكان الرواية وزمانها . وهذه من شروط الاثقان في التمثيل . فان الممثل الذي لا ينسيني وانا جالس في تلك الكرسي امام هذا المسرح كوني في بيروت وفي الجيل العشرين ، الممثل الذي لا ينقلني بمخاطبته الى الدانيمارك في هذه الرواية مثلاً — لا شاهد هناك ملكها واميرها ورجالها واشبايحها يقطعون الحياة ويذهبونها — لا يكون قد احسن اوليات هذه الفن .

يسرني جداً ان ارى روايات نابغة المراسح بل نابغة العالم تمثل في سوريا . فان شكسبير من سائر الشعراء كجبل الارز من سائر جبال لبنان . ورواية هممت من روايات شكسبير كضهر القضيبي من جبل الارز . بل شكسبير هو امير شعراء العالم ورواية هممت هي اميرة روايات شكسبير . وكم قام بعده من المقلدين من الانكليز والالمان والافرنسيس فاجادوا في طريقتهم ولكنهم لم يشقوا غيوم مؤلف هذه الرواية الفريدة ومن مميزات هذا الشاعر العظيم انه ما ترك عاطفة من العواطف البشرية كلها دقيقة كانت او غليظة واطئة او سامية

راقية او وحشية ظاهرة او غامضة حتى البسها من شعره سر بالاً شفافاً
 جميلاً واستخرج منها حكمة سامية جلية . فان ذكرنا الحب نرى في
 « روميو وجوليت » ارقه واشرفه واسماه وفي « ترولس وكريسيدا »
 احطه واكرهه وادناه . وان ذكرنا الغيرة يدهشنا بل ينجنا تمثيله اياها
 في رواية « قصة من قصص الشتاء » بصورة خبيثة صفراء خالية
 من الوان الانعطاف والسماحة والحشمة . ويعجبنا بل يسحرنا في
 رواية « أوتلو » الشهيرة تلك الرواية التي تستنشق الغيرة فيها انقى
 هواء البحار والجبال . وانما لى ان ذاك الشهم الزنجي « أوتلو »
 ما فادى « بدرية اتن من قبيلة كلها » الاكرها وفي سبيل عرضه
 وشرفه . وذلك بعد ان افرغ الخائن يعقوب كل سمه في قلب من
 اخاص له الوداد . وان ذكرنا الانتقام نشاهده في افطع واوحش
 هيئاته في « تيتوس اندرانيكوس » وفي اشرف واسمى مظاهره في
 رواية الليلة . وفي هذه المقارنة تظهر عظمة الشاعر الذي يسقط الى
 اعماق اغوار الحياة فيستخرج منها درر الشعر والفلسفة ويرتقي الى
 اعلى السماكين فيحيئنا بكواكب من الحكمة السامية والحقيقة الالهية .

هذه ست روايات ذكرتها موجزاً لا مثل مقدرة الشاعر واتساع
 نطاق افكاره وتصوراته وفلسفته وشعوره . فن « كريسيدا » الى
 « جوليت » ومن « اندوانيكوس » الى « هملت » ومن « بوليكسين »
 الى « أوتلو » ننقل دفعة واحدة من جحيم الحب الى سمائه ومن

ادخال الانتقام الى ذرواته ومن اكواخ الغيرة الى قصورها . وقد تجتمع
اسمى مظاهر هذه العواطف كلها في دور هملت لذلك هي اعظم
الروايات التي تمثل على مراحح اليوم . هي رواية منقطعة النظير فريدة
في بابها وجابابها . ففيها الضمير والفلسفة يمتزجان فيمتاوجان بين
التردد والاقدام . وفيها الدقائق والحقايق تسيل حبا فتتلون غضباً
فتتهيج انتقاماً وفيها من الشعر والتصور والفصاحة ما لا يجتمع مثله
في رواية واحدة لغيره من الشعراء . وفيها وهذا اهم ما فيها للمثليين ،
غوامض اطوار هملت وشذوذاته . فان دور هملت للمثليين هو كالنور
للفراشة . وندر في اوروبا واميركا من لم يحرق جنحيه من المثليين
الشهيرين في بادئ امره مع هملت . ولتأكدوا اهمية هذه الرواية
في عالمي الشعر والتمثيل اقول ان من مائة ممثل في انكلترا واميركا لا
يحسن تمثيل هذا الدور العظيم اكثر من عشرة ممثلين . وكل واحد
من هؤلاء يمثل الدور بطريقة تختلف عن طريقة سواه . وذلك لان
المؤلف اكثر فيه من اوابد الفاسفة وغوامض الحكمة واسرار المعاني
البديعة ما يحتمل التخريجات والتأويلات العديدة . لا اقول هذا
لانه من عزم هؤلاء الشبان النشيطين فاني اكبر همتهم واثني على
اقدامهم وارجو الا يقفوا في درس هذه الصناعة الجليلة وانقائها عند
حد تصفيق الناس واستحسانهم فقد يضر المديح بالشاعر والممثل اكثر
من نقد الناقدين وتحامل المتعنتين .

لا شك ان بينكم كثيرين ممن سافروا الى اوروبا وشاهدوا فيها تمثيل الروايات ولكنني لا اظن ان احداً منكم دخل العالم الكائن وراء الستار هناك فان المسرح بادواته وعجلاته وانواره واخشابه واسراره ومثليه وجدران الورق والقماش فيه لعالم آخر لمن يتسنى له الدخول اليه .

اذكر لما كنت امثل دوراً صغيراً في هذه الرواية مع احد الممثلين الكبار في الولايات المتحدة انني دهشت اول ليلة من امر الشبح في الرواية وكيفية ظهوره . فلما قال « برناردو » (ها هو ها هو) رأيت من كان يمثل هذا الدور يتخطى تحت الارض اي تحت المسرح فسألت احد الممثلين وهلاً يخرج لتشاهده الناس فقال بل هم يشاهدونه الان فقلت وكيف ذلك ؟ فاشار اذ ذاك الى امرأة طويلة في مؤخر المسرح وقال — ترى الذي يمثل دور الروح واقفاً تحت المسرح امام المرأة فينعكس خياله فيها فيخيل للناظرين انه شبح حقيقي واقف بين الارض والسماء واذا تكلم فصوته من تحت المسرح اقرب الى حقيقة حاله فانه اشبه بصوت خارج من القبر . وعند ما ينتهي من كلامه لا يخرج كالاحياء ماشياً بل يتحول المثل من امام المرأة فيخيل للناس انه طار في الفضاء كما لو كان شبحاً حقيقياً . الى هذا الحد من الايقان والتفنن والى ما فوقه ترقى هذه الصناعة هناك .

وقد جاءني منذ اسابيع مجلة انكليزية موضوعة للتمثيل

والممثلين قرأت فيها ان ابن السيدة إلن تررى وهي كسارا برنار عند الانكايز طبع رواية هممت على حدة في خمس مجلدات ضخمة طبعة فريدة في بابها فنشر فيها صور اشهر من اجاد في تمثيل هذا الدور من الممثلين من ايام شكسبير حتى يومنا . ورسوم الثياب ووصفها في زمن هممت مع المواعين والاشياء التي تستخدم على المسرح اثناء التمثيل . وفيها ايضاً وصف المشاهد والمناظر وحركات الممثلين وسكناتهم كلها وكيفية القاءهم مسنودة الى تقاليد تكاد تكون مقدسة عند عشاق هذا الفن واربابه وتباع النسخة من هذه الطبعة من رواية هممت بخمسة عشر ذهباً انكايزياً فتأملوا !

اذكر هذه لتقدروا هذه الرواية حق قدرها فانكم لوجئتم هذا المكان فسمعتموها تمثل اربعين وخمسين مرة لتجلى لكم كل مرة شيء جديد من رائع حكمتها وبديع معانيها وجميل التصور فيها .

وقد يخطر في بال البعض منكم ان كيف تكون يا ترى تاثيرات مثل هذا المسرح ومثل هؤلاء الممثلين في نفس من مثل على مسرح اميركا وشاهد هذا الفن في ارق مظاهره وعرف شيئاً من اسرار المسرح وخباياه . اما الممثلون فاني وان كنت لا استصوب هجومهم دفعة واحدة على روايات شكسبير وبالاخص اعظمها أكبر همتهم لما قلت واثني على نشاطهم وارجو ان يتفوقوا في سعيهم واجتهادهم ودرسهم المتواصل الى شيء راق من هذا الفن . واما المسرح او الملهى او الملعب او التياترو

او بالحري هذه الاخشاب المسندة التي تدعى تياترو فانها تذكرني بايام
شكسبير لما كان يمثل بنفسه ادواراً في رواياته .

فان فن التمثيل هناك ولد في مثل هذا المهذ الحقيير فلا عيب ولا
عار في ذلك .

ولا بأس في ذكر شيء من سيرة نشوء هذا النابغة العظيم فان فيها
عبرة لمن اعتبر . في ايامه اي منذ ثلاثماية سنة كانت لوندرا شبيهة
ببيروت اليوم من حيث اسواقها وابنياتها وملاهيها .

ولم يكن فيها عربات ومركبات بل كانت شوارعها دائماً كشوارع
مدينتنا يوم الاعتصاب فكان الناس يجيئون التياترو راكين الخيل
فاقتضى لذلك وجود اولاد امام الباب يستلمون هذه الجياد فيحفظونها
لاصحابها الى ان تنتهي الرواية . ووليم شكسبير ايها السادة كان من
هؤلاء الغلمان . ولكنه عمل عمله بنباهة وامانة واخلاص حتى اصبح
بعد قليل زعيم الساسة وسيدهم . فكان الناس عند وصولهم الى
التياترو لا ينادون الا شكسبير فيجيئهم هذا ويجيئهم ذاك قائلاً انا
ياسيدي من رجال شكسبير . وكذلك ترى الرجل العظيم ناجحاً فائزاً
مقدماً في اول عمل باشره . نراه ناجحاً لانه اتقن عمله وثابر على الصدق
والامانة فيه . ومن دور السائس ارتقى الى البرسخ فاخذ يمثل الادوار
الصغيرة الى ان استيقظت في قابه ربة الشعر فطفق ينظم الروايات
ويمثل فيها حتى آخر ايامه .

قلت لكم ان لوندرا منذ ثلاثمائة سنة كانت من بعض الواجه
مثل بيروت وكان فن التمثيل فيها كما هو اليوم عندنا وكانت التياترو
خاصة شكسبير وشركائه شبيهة بهذه فالحالة الاجتماعية التي كتب
فيها شكسبير اعظم رواياته كانت كحالتنا اليوم منخطة جداً عن تصوراته
وافكاره وتشويقات نفسه .

فهل كتب الشاعر ما يلائم طبائع قومه واميالهم في تلك الايام ؟
هل راعى خواطر شعب لوندرا منذ ثلاثمائة سنة ؟ فانه لو فعل ذلك
لما كنا نقرأ رواياته ونمثلها اليوم . بل هو الف هذه الروايات لكل
جيل ولكل زمان . ألف رواياته والحقيقة آخذة بضميره وربّة الشعر
تملي على فؤاده والحكمة تنير زوايا قلبه ونفسه . ألف رواياته ولسان
حاله يقول — ان لم يقدرها ابناء اليوم حق قدرها فسيفعل ان شاء
الله ابناء المستقبل . وهذه من نبوات الشعراء . فالنابغة ياسادتي
يتقن أي عمل اتاه بشرط ان يكون قلبه مائلاً الى ذاك العمل . ومن
مميزات شكسبير في صعوده من احقر الاشغال الى المهنة التي نتصل
بالالهة اسبابها انه كان يفرغ قلبه ودماغه في قالب عمله وان حياة هذا
النابغة لشبيهة بتمثال حي لما جاء في رواياته فانه ارتقى السلم من اوطي
الدرجات حتى اعلاها ووقف هنيهة في كل منها ليفكر بالحكمة التي
فوقها والحكمة التي تحتها .

فانقن العمل اذاً ان كان في مسح الاحذية اوفي النظم او في

التمثيل هو اساس كل ما يدوم طويلاً من الصنائع والفنون . ونحن
الشرقيين مفتقرون جداً الى الثبات الذي يتغذى منه الاتقان فاننا لا
نتقن شيئاً ولا نثبت في شيء . بل ترانا نبيس قبل ان نتم عملنا فنضرب
به الحائط وظننا اننا صورنا على الحائط صورة جميلة . نتطلب تمام
الاستحسان والتقر يظ لا عمالنا وقد تركناها وراءنا ناقصة . فعسانا اذا
ان نتمثل بشيء من حياة هذا النابغة الانكليزي الذي اتقن عمله
سائساً . واتقنه ممثلاً . واتقنه شاعراً .



حول المساواة^(١)

سيداتي وسادتي

عندما كتبت هذه الرواية الصغيرة لم يخطر في بالي امر تمثيلها .
وقد الفتها لغرضين غرض ادبي وغرض سياسي فالغرض الادبي ظاهر
للألباء من خلال الخيال والغرض السياسي نقطة محوره . ومهما
كان من امر الرواية فما هي الا وقفة امام الباب الذي لا بد ان يدخله
الادباء بعد حين . فقد عفنا الروايات المترجمة التي قلما تنطبق على
حالتنا وقد حان لنا ان نضع تاريخ الامم الشرقية وبالاخص تاريخنا على
المرسخ ليقتني الناس اثار اجدادنا الحسنة ويتحايدوا منها السيئة . ومن
العجز ان نتهافت على موائد الافرنج وعندنا في تواريننا العربية وحياتنا
الاجتماعية من الحوادث والعبر ما كان يكفي ساردو وروستان وابسن
خمسين عاماً لو تفرغوا لدرسها ووضعها في قالب التمثيل . وما روايتي
هذه سوى وقفة امام باب هذا الموضوع كما قلت . وبما انني اشتغل
اليوم في نظم بعض حوادث تاريخ العرب لتمثيل في انكلترا او اميركا
اود لو اهتمدى بعض اخواني من الادباء الى شيء من هذه الحوادث
المهمة فيفرغونها في قالب تمثيلي على طريقة قريبة بقدر امكاننا من

(١) القيت اثناء تمثيل رواية السجناء او عبد الحميد في الانبي للحررة

كمالات هذا الفن .

اما الغاية السياسية من الرواية فلا شك انها ظهرت لاكثركم وتدبرتموها وما عبد الحميد فيها سوى واسطة لاظهار الحقيقة المؤلمة التي طالما اشغلت المفكرين .

من الالفاظ الساحرة التي تتدهور على السنة الخطباء في هذه الايام لفظة المساواة . والمساواة ايضاً هي محور الفكرة السياسية في الرواية . ولكن بين ما ارتثيه في هذا الموضوع وما يرتثيه غيري بوناً شاسعاً . فالمساواة لفظة طالما تحمس لها الشعوب في ما مضى من التاريخ ووجدت فيها الامم خلاصها الى حين . وان كان في تاريخ الرومان او الفرنسيين او الاميركان فان هي الافترة مرت فاضرمت في الشعوب هوساً ابعدهم عن الحقائق الطبيعية والاجتماعية واعادهم اليها بعد حين . والتاريخ شاهد على هذا . على ان الوقت لا يسمح الآن في استطلاع شواهد ولولا ذلك لكنت ابين لكم كيف خابت امال الرومان والفرنسيين والاميركان في عقيدة زال شغفهم بها بعد ان وضعوها في حيز العمل

على انني اصرح امامكم الان انني لست من المعتقدين بان الناس ولدوا متساوين كما جاء في دستور الولايات المتحدة . فالتناس لا يولدون متساوين لا في القوى العقلية ولا الجسدية ولا الروحية . وهذه حقيقة لا حاجة للاسهاب فيها . وانما الناس متساوون اسماً امام الشرع

اما فعلاً فهم في البلاد التي تدعى مهد المساواة كاخوانهم في البلاد التي كانت في الماضي قبرها . فالاميركي والعثماني شبيهان من هذا القبيل . وفي الامتين ذو النفوذ يخنق المساواة بنفوذ ذؤ المال بماله وذؤ السيادة بسيادته وذؤ العقل بعقله وذؤ القوة بقوته ومهما تحمسننا وبالغنا في القول ينبغي ان تكون الحقيقة محجتنا في كل حال

والحقيقة ياسادتي هي ان المساواة لا حقيقة لها في البشر اليوم . والذي يمكننا ان نصل اليه بعد طويل الجهاد والثبات في مضمار الارقاء هو ان يعرف كل امرىء مركزه ويجازى كل امرىء على عمله . وهذه في نظري هي المساواة الحقيقية . ليجازى كل امرىء على عمله بعدل وانصاف وانا الكفيل بان الناس لا تحلم بعدئذ بالمساواة . اذا ما الفائدة للفاعل ياترى من معرفته انه وسيده متساويان اذا كان سيده هذا لا يجازي عمله بعدل وانصاف ! . المساواة الحقيقية اذا هي ان يجازى كل على عمله . ان يجازى المجرم على جرمه . والفاعل على عرق جيئه . والعالم على علمه . والذكي على ذكائه الذي يظهر في اعماله . ورب الفنون على عرائس صناعته والشاعر على نفائس شعره . فالمجرم اذا كان من المتشردين او من السلاطين ينبغي ان يكون في نظر الشرع واحداً وفي نظر القضاة واحداً وفي نظر السجان واحداً . اي ان الحقيقة تطالب شريعة واحدة وميزاناً للعدل واحداً وسجناً واحداً لمن ساوت بينهم الجرائم والاثام . ولا فرق بين الصعلوك من هذه

الوجهة والامير وبين الفقير والغني . اذكر لما كنت في الولايات المتحدة ان المحكمة العليا حكمت على احد ارباب الاحتكار هناك بالحبس ستة اشهر لخرقه نظام الحكومة المختص بالشركات الاحتكارية فزج في السجن كبقية المذنبين ولكنه لم يعيش هناك كما عاش اخوانه السجناء . فقد اختصته الحكومة بثلاث غرف فرشها من ماله بالطنافس والرياش . وأذنت لاحد المطاعم ان يقدم له طعامه كل يوم في الاوقات المعينة وكان اصحابه وعماله يزورونه كل يوم كما لو كان في بيته او في مكتبه . فما قولكم بهذا العدل في ارض تدعى مهد الحرية والمساواة . افلا ترون ان حال عبد الحميد اليوم شبيه نوعاً بجال ملك الاحتكار الاميركي ! فالمال الذي تدفعه الامة اليوم لاعاشة السلطان المخلوع هو ما يحق لكل المجرمين في البلاد ان يطالبوها بجزء منه . هذا ما يدعونه المساواة امام الشريعة وهذه هي المحجة التي لم نزل بعيدين عنها . اما المساواة في الهيئة الاجتماعية فالعقدة فيها اشد وامنع . وان عقدة عقدها الله لا يحلها الا هو . ليعمل كل منا عمله باخلاص واثقان . ليعرف كل منا مركزه . ليجازي كل منا عمله على اعمالهم بعدل وانصاف . لنكن احراراً بمعنى الكلمة فنصبح متساوين فضلاً واثباتاً في عين الله . — قلت في خطابي في زحله كلمة عن الذين يتلبسون بالحرية ويفاخرون الناس بانهم من الاحرار وذكرت على سبيل المجاز بيع البصل او بالحري من لا يعرف

كنه الحرية والمساواة واصبح يجتمع اليوم والاحرار الحقيقين في
 نادٍ واحد . فقام احد الخطباء يعترض على تحقيري الشعب وعبثي
 بعقيدة المساواة المقدسة . وهو لاء الناس يحاولون تعزيز عقيدة لم
 يعززها الله وما عززتها الطبيعة . فقال كيف لا يحق لباع البصل
 مثلاً ان يكون من الاحرار وكيف لا يحق له ان يجتمع وسيده
 الامير في نادٍ واحد . لا يسادتي اذا كان يباع البصل او الامير
 نفسه يبيع حرّيته ببصلة فهو من العبيد الذين لا يحررهم الا الله . اذا
 ظلّ المرء حراً ما زالت حرّيته لا تضر بمصلحته او بمنصبه او بنفوذه
 فلا الدستور ولا الثورة ولا المصلحون يستطيعون ان يرفعوا عن نفسه
 سلاسل العبودية .



(١) الشعب والسياسيون

أيها السادة

ان لهذه المدينة مزية طبيعية جميلة ما رأيت مثلها في مدن العالم الكبرى التي زرتها واقمت فيها . وهذه المزية المبهجة تظهر في هذا الفصل من السنة في اجمل معانيها فتسير مع النسيم في الليل فننسي السائر حفر الاسواق واوحالها . نعم ان اجمل ما في بيروت جنائنها وإن نفحات ازهار الجنائن تسكرني وتحزنني معاً . فقد طالما سألت نفسي وانا سائراً ليلاً في شوارع المدينة — متى ياترى تنتشر مثل هذه الروائح الشذية في ادياننا وادخالقنا ومبادئ زعمائنا . متى ياترى تصير ارض سوريا صافية كسمائها . متى ياترى تصير قلوب ابناء سوريا نقية كهوائها . متى ياترى تصير حكومة هذه البلاد صالحة كانبياؤها ؟ سوالات يطرحها الرجاء تلى اليأس بل النور على الظلمة . سوالات طالما رددتها نفسي فكنت كن يقاب جذوة في الرماد كلما حركتها صغر حجمها وامست اخيراً رماداً

سوالات اذا سألتها علم العالمين بجهلهم يحيب عليها جهل من ادعى العرفان . سوالات اذا سألتها ازهار الحب والتساهل والاخاء نبت حولها شوك التعصب والنزاع والخصومات .

ولكنني لا اياس من كل ما هو جار اليوم . انا لا اتشاءم
 باخبار الاستانة المكذرة . فان الامة هي كالام ساعة الولادة . الامة
 الجديدة كالطفل تولد بالعذاب والالام .

اعذروني ايها السادة اذا خالفت هذه الليلة رأيي في امر الخطابة
 خلال الفصول . فاني وان قلت بابطال هذه العادة اعلم جيداً ان
 ذلك غير ممكن قبل ان يصير عندنا دار خصوصية الاجتماعات
 العمومية .

واذا كان الخلط بين الخطابة والتمثيل اليوم لازماً فالاشارة الى
 ان الطلاق كافل سلامة الاثنين لازمة ايضاً .
 وبعد هذا الاعتذار ماذا عساني اقول .

اذا قلت كلمة في الحالة الحاضرة اخشى ان تظهروا استهسانكم
 باطلاق الرصاص ولذلك لا اقولها . فان الصحافيين كثيرون وكلهم
 في القول يتاجرون . بل كلهم من الامجد الكرام كما يقول انطونيوس
 في جنازة القيصر . والذي يقوله هؤلاء الاحرار الافاضل لا يتجاسر
 ان يقوله هذا الفقير . الذي يقوله المسدس والخنجر لا يقوله اليوم القلم
 والمزبر . الذي نقوله الحماسة الوطنية لا تردده دائماً الحكمة . الذي يقوله
 انصار الامة لا يقوله انصار الحقيقة . واني اوكد لكم ايها السادة ان لسان
 الحال اليوم افصح من لسان الاتحاد ولسان التقهقر اطول من لسان الترقى
 و بلاء بابل في سنتها . ولكن هذه البلبلة لا تدوم . وسينطق غداً

لسان آخر هو لسان القوة والحكمة فيردد صدى كلماته لسان الحال
 ولسان الاتحاد ولسان الترقى ولسان النقيض ايضاً وان غداً لناظره قريب
 واما الآن فخرمة للانسانية ارى من الواجب ان نستلفت انظار
 زعماء المفوضين في اورو با الى حالتنا المبهمة المفيدة فيبعثوا بوفد من
 قبلهم الى بيروت ليعلموا فيها كيف تكون الفوضى ولا بأس بالفوضى
 اذا علمتنا شيئاً واحداً وهو انه لا يثبت في العالم والناس الا الانقلاب .
 لا بأس بالفوضى اذا تعلم الشعب في مدرستها ان يتقي زعماءه واسياده .
 فان الزعماء الذين يغرون الشعب اليوم على الصحافة حباً بالامة يغرونه
 غداً على الامة حباً بالصحافة . عفواً سادتي قد جاملت من حيث لا
 اقصد المجاملة . فان الزعماء السياسيين يثيرون خواطر الشعب لا حباً
 بالصحافة ولا حباً بالامة بل حباً بانفسهم الكريمة وبعطاءهم السياسية
 الشريفة . فانق ايها الشعب الزعماء ولا تكون في ايديهم آلة صماء .
 وانقوا ايها الزعماء الشعب فانكم اذا اغر يتموه اليوم على احد زملائكم
 يقوم غداً من يغريه عليكم . لا يثبت الا الانقلاب . اذكروا هذا ايها
 الثابتون في القلب

وقد قيل ان صوت الله في صوت الجماعات وكم هو ياترى عدد
 العثمانيين الذين لا يقفون مع الواقف ولا يتزلفون الى القوي .
 فالشعب اليوم واقف . الشعب اليوم قوي . ولكن الحق يقف فوق
 كل واقف . الحق اقوى من كل قوة بشرية .

فإذا قال السياسيون ان صوت الله في صوت الشعب يقولون
ذلك يوم يكون الشعب خادماً . آربهم السياسية . و يوم ينقلب
الشعب تنقلب لا شك الآية . يوم تصرخ الجماعات فلتسقط الصحافة
الحرّة نقول الحكومة المسالوة ان هذا لصوت الله . ولا تكاد تنتهي
من تهليلها حتى تصرخ الجماعات فلتسقط الحكومة ! فيقول اذا ذاك
الحكام انه لصوت ابليس . والحقيقة ايها السادة ان ابليس بريء من
هذا الشعب وان الله بعيد عنه . الحق يقال ان صوت الشعب هو
صوت ابي براقش لا صوت ابليس ولا صوت الله . الحق يقال ان ابا
براقش هو معبود الشعب ومعبود السياسيين .
تبارك الشعب وتباركت صبغاته السياسية . تبارك السياسيون
وتباركت نزواتهم الوطنية .



في وصف بيروت

ايها البيروتيون

اقمت في هذه البلاد بلادناست سنوات ولم استطع قبل الآن
ان اقول في بيروت كلمة حق يرضاها قلب شغف بحب بلاده ولا
ينكرها عقل شغف بحب الحقيقة . نظرت الى هذه المدينة بعين رأت
مدن اوروبا واميركا فاستصغرتها وندبت حظها ثم نظرت اليها بعين
شاهدت غيرها من مدن سوريا فاحببتها واكبرت شأنها . وانا الآن ناظر
اليها بالعينين فاصفها وانصفها . بيروت ام البلاد السورية وأمة البلاد
السورية . اميرة المدن الاسيوية واجيرة المدن الاسيوية . بيروت
حسنة من حسنات التمدن وآفة من آفاته . بيروت لؤلؤة شرقية في
صيغة من النحاس غربية . هي خلخال في رجل سلطنة المشرق عند
الصباح . وأسوار في معصم ربة المغرب عند الغروب . هي درة في
اوحال ثمن فوقها الكهرباء هي مرجانة على ساحل اختلط بتره
برماله ولجينه باوحاله . ساحل النغولة مهد أم المدن السورية وعرشها .
فم الاتون بيروت . وافق النور بيروت . ومطلع الظلمة بيروت .
عروس الحرية هي وعجوز الحرية . يوماً تتهادى تحت علم الوطن عفة
وكبراً ويوماً تتوكأ على عصاها كيداً ومكرأ . يوماً تلبس الرعاة العتاة

اكليلاً من الازهار • تصعر يوماً خدّها للظالم وامام سدته تغفر يوماً
وجهها • بيروت منبر الدستور ومشنقته • بيروت حسناء النظام
وبيروت صحابة الفوضى •

مدينة المدن السورية بيروت • منبت الياسمين والقلام • مغرس
الورد والشوكران • القُرَّاص فيها يرفع رأسه عزةً تحت ازهار الليمون •
والعُليق يسرح ويمرح في ظلال النخيل • مدينة الدماء مدينة المدن •
مدينة الخلسة والرجاسة • اخت اورشليم • روحها تن في الازقة •
نفسها تحسرج في المجاري • قلبها يغرد في البساتين • عينها تدمع في
دوائر الحكومة • جسمها يذوب في الموبقات • وعقلها يدق على
سندان التفريق في المدارس • بيروت احدى وصيفات باريس • هي
قمر ينعكس فيه نور المغرب فيضيء المشرق وتنعكس فيه ايضاً ظلمة
الغرب فتزيد الشرق ظلاماً • بيروت منبت العلوم ومغرس الخرافات •
هي حقل خصب التربة تزرع فيه اوروباقمحتها وزؤانها ووردها
وقلامها ومع ذلك نراها سائرة الى الامام ساهرة صابرة • اذا اقبلت
سوريا بيروت امامها وان ادبرت بيروت وراءها • اذا كانت اليوم
كاذار من السنة تتراوح في رعداها وبرقها بين الظلمة والنور غداً
تصير كايار بل كتموز • كايار بازهارها • كتموز بثجارها • اذا كانت
اليوم اسيرة شياطين التفريق غداً تصبح ربة الالفه والاخاء • اذا كانت
اليوم عرش التعصب الديني فهي غداً قبره •

مدينة المدن السورية بيروت واثمها مثل مجدها كلاهما عظيم .
 اذا بكت هاج بكاؤها بكاء الامة . اذا غرّدت رددت انغامها بلابل
 حاب وشحارير الشام وحساسين لبنان وحمّام الجليل . اذا وردت
 بحيرة الاصلاح « ورد الفرات زئيرها والنيلا » . واذا افسدت
 افسدت بناتها في السواحل وعلى شواطئ العاصي والاولى والاردن
 ويردى . كلمة باطل تنطق بها بيروت تسمي حجة في دمشق كلمة حق
 نصدع بها بيروت تروي غليل القرى الظمّانة وتبعث في مدن
 السواحل والسهول روح الجهاد .

أم المدن السورية هي وعجوز المدن السورية . تعلم بناتها الفضيلة
 يوماً ويوماً تعلمون الرذيلة . تحمل اليهن نورا وتحمل اليهن سماً .
 اثمها مثل مجدها كلاهما عظيم واعظم من الاثنين واجب فرضه الله
 على الاممات . احسني القدوة يا بيروت يحسن بناتك الاقتداء . في
 المروج والجبال وفي السواحل والسهول بناتك يستقين من ينابيع
 علمك وادبك . من مدارسك من صحافتك من منابرک من مطابعك .
 فصفي مياهًا تسقينها بناتك . اخفري السبل . صوني المناهل . تعهدي
 المسارب . اقطعي يد كل اثم يشتغل اليوم في تعكيرها او تخريبها او
 تسميمها . اقطعي الايادي التي تحمل اليها سرّ افصول الاديان واوحال
 التعصب واوساخ سخافات الادب والسياسة . طهري ينابيعك . ارحمي
 بنيك وبناتك .

أشهد ان لا نور ولا دخان ولا وحول في سوريا اليوم غير ما
كان مصدرة بيروت . وأشهد ان بيروت وجه سوريا وان
الهو تنتوتي في هذا الزمان يغسل وجهه . بيروت قلب سوريا . والعلم
يقضي بان يكون القل كالقلب والجسم نظيفاً نقياً ؟ ولكن المدينة التي
تدعى درة في تاج آل عثمان هي درة في احوال وغبار ثن فوقها
وتحتها الكرباء ؟ وتبصّ حولها حباب الادباء .

اوحال واقذار وغبار في اسواق المدينة . وفي آدابها وفي
سياستها وفي اديانها . ودرة العلم ودرة الدين ودرة تاج آل عثمان في
هذا الاو حال والاقذار غائصات ضائعات . وماذا يزيل الاو حال
والاقذار والغبار . لا الصحافة ولا قرض البلدية ولا قصائد الشعراء
ولا كلماتي تزيلها . هذه الاقذار من فضول العصر والاجيال ولا
يزيلها ابدأ سرمداً غير النورية الحقة والتهذيب الصحيح تربية اساسها
الشجاعة والحمية والصدق والنظافة وتهذيب اساسه النزاهة والامانة
والاقدام وحب العدل والوطن متى تأصلت هذه الفضائل في الرعاية
وفي الرعاية وفي السائدين والمسودين تصطلح جادات المدينة وتستقيم
جادات الادب والدين والسياسة . اصلحوا الحياة اصلحوا الحكومة .
اصلحوا الحياة اصلحوا المدينة .



(١) في لبنان

اخواني • ابناء وطني •

اذا كان في حضوري حفلة هذه الجمعية ما يسركم وفي كلماتي ما يفيدكم فانتهم مديونون بذلك لرسول الجمعية اليّ • جاءني هذا الرسول الاسبوع الماضي فذكرني بعد ان قص قصته بمخبري الجرائد الاميركية • باولئك الشبان الاقوياء الذين يتسقطون حتى من السماء الاخبار ، وينالون بغياتهم بالجد والثبات ولو حالت دونها الاقدار • ورسول الجمعية نال بغيته مني بالجد والثبات • طلبني في محلات عديدة بالمدينة فما وجدني • سأل عني بعض الاصحاب فثبطوا من همته • علم اني ساخطب في بيروت خطبتي الاخيرة واتأهب للسفر وما كان ذلك ليوقفه عن سعيه • عرض على نواجزه وراح وجاء باحثاً طالباً حتى لقيني فحاصرني واستولى عليّ • اعجبني من الشاب نشاطه وجده وثباته • فاحبت ان انوه بها في هذا المقام • وحذا هذه المزايا الحميدة في شباننا بل في كهواننا وفي نساءنا • حبذا العزم في الاعمال والثبات في الاعمال والاخلاص في الاعمال • فلا التربية في بيوتنا نحن السوريين ولا التهذيب في مدارسنا يغرس فينا مثل هذه

(١) خطبة القيت في جمعية الاجتهاد الروحي في برمانا لبنان

الاخلاق الطيبة . مثل هذا العزم والجد والاقدام . الشاب الذي
نوهت به من متخرجي الكلية والمزايا التي اعجب بها انما هي من محاسن
الاخلاق الاميركية . وحبذا لو تخلفنا بمثل هذه الاخلاق فنأخذ عن
اصحابنا الاميركان والانكليز امثيل العزم والجد والاقدام ونترك لم
عبادة المال والتكالب في سبيل الاثراء .

فكم من خوار هلوع اذا قامت في وجهه عقبة واحدة يعرض
عن غرضه ويعود الى خموله خائباً . وكم من رسول لفساد في خلقه
وضعف في عزيمته يخدع مرسله ويخونه . وكم من مأمور يركب الى
غاياته مطية الغش والتليس ويظلي عقد الامور بالاكاذيب ويدور
حول العقبات مثل كدش الناعورة فلا هو بذلل العقبات ولا هي
تعززه . الاخلاص في الاعمال والامانة في الاعمال والجد والثبات
في الاعمال هذا ما انصح به لاخواني ابناء وطني

فالجد يدني كل امر شاسع والجد يفتح كل باب مغلق
وان من يمد يده الى السماء راغباً عازماً جاداً متشوقاً اتدنو منه
كواكب السماء واقمارها .

ولكن الطبيعة تنفر من اللاحاح ونواميسها تكره العجلة . وقلما
نرى نحن السورين ما لا يعاكس الطبيعة ونظام الاشياء . اذا شاقنا
امر طالبناه كالاطفال ضاجين ملحين صارخين صاخبين مئات السنين
نريد ان يحشرها الله من اجاننا في برهة صغيرة . نريد ان ينير من

اجلانا الشمس في الليل والقمر في النهار . نريد ان يصلح شؤونا ونحن اما نأثمون واما صاخبون . ولا الصخب وايم الله ولا النوم . لا العويل والفوضى ولا التلبط والقنوط تصلح الشؤون .

الكعة تريد يا بني . اصبر تنلها . واما هذا التلبط منك فلا يفيد . وهذا الصراخ لا ينفعك . بمثل هذا الكلام تخاطب الام ابنها اللجوج والامة بنيتها . نريد في لبنان تهذيباً وحرية وعمراناً . نريد في لبنان اصلاحاً . وأيم الله لا نريد في لبنان الاّ الوظائف . اقول وحق ما اقول ان بلاء لبنان وفساد حاله ان مصلحيه . مصيبة الجبل اولئك الذين يصيحون في الاودية حباً باستماع صدى اصواتهم . اولئك الذين يضربون على وتر الاصلاح حباً بالاشتهار او خدمة لما رب احد المفسدين الكبار . اولئك الذين يصطادون بشبكة التمويه والتغريز الدينار . بلية لبنان اولئك الذين يزحفون على بيت الدين باسم الدستور فينبغون في باب السراي مشنقة الدستور . اولئك الذين يصطبغون بصبغة الاحرار واذ يتبؤون كراسي السيادة يولون للحرية الادبار . اولئك الذين يصطبغون بصبغة الماسون يوماً ويوماً بصبغة المارونية فلا ماسونيين يعرفون ولا بكر كمين . مصيبة هذا الجبل العزيز في امثال اولئك البنائين المحترمين الذين يناهضون الاكليروس يوماً ويوماً يتزلفون اليه ليسلبوه النفوذ والسيادة . كنا في الماضي نقول ان بلانا من الاكليروس . واما اليوم فيسأما احيى الاكليروس الى جانب

هوؤلاء الذوات المصلحين . مسكين الاكليروس اللبناني ؟ صرخة واحدة اقعدته وكأني بالبنائين والمصلحين يصرخون اليوم في وجهه قائلين : اشلح تربع . هذه حال الاكليروس اليوم وحال المصلحين .

بليتنا يا اسيادي من هذه الاحزاب . هوؤلاء الزعماء والسياسيين العنق منهم والجدد . ما اكثر المصلحين فينا وما اقل الصالحين . ما اكثر الواعظين وما اقل المتعظين . عودوا الى بيوتكم ايها الناس فالزموها . عودوا الى انفسكم فاصلحوها . افسدتم باصلاحكم البلاد اهلكتم بسياستكم الناس اقول ولا اخشى لومة لائم ان كل سياسة لبنان الموقرين سواء في الضلال والفساد . وما اشرنا مرة الى احد معجبين ممن اشتهروا بغير الضلال والفساد وكان عند رجائنا فيه . قلنا في هذا الرئيس قولاً جميلاً كذبه باعماله . مدحنا الزعماء الوطنيين فخبقوا في الطحين ما كدنا نقول في هذا النائب ما شاء الله حتي اضطرنا ان نقول انا لله . كلهم في الفساد والضلال سواء عودوا الى بيوتكم ايها الزعماء الاعزاء . الى حقواكم . الى املاككم . فتعهدوها بالتربية . اصلحوها اصلحكم الله . بارت ارض لبنان من اشتغال اصحابها عنها بالسياسة . غاضت مياه لبنان من اهمال الغابات فيه والاحراج . وسيذهب لبنان ضحية اصلاح المصلحين . ويلهم مصلحين . يهلون ارضهم وعيالهم واملاكهم ليصلحوا حكومة لبنان . لله درهم ما اشد غيرتهم على لبنان اقول وحق ما اقول لو سكت الزعماء والمصلحون العنق منهم

والجدد وعادوا الى بيوتهم يحترفون لهم حرفة شريفة لاصطلحت عاجلاً
شؤون لبنان السياسة واما شؤونه الاجتماعية والعمرانية فلا يصلحها غير
المدارس الراقية والتربية الحقيقية . لا يصلح حالنا ادبياً ودينياً غير
المدارس الاعدادية العلمانية الوطنية والتربية الاميركية الحقيقية اما الاصلاح
السياسي فلا ينفع كثيراً بل لا ينفع قطعاً في مثل احوالنا اليوم .
وهالك ما قاله طومس كزليل في هذا الصدد . انا قارئ ما عربته
من سديد حكمة هذا الفيلسوف العظيم .

« قد قيل مراراً وينبغي ان يقال ايضاً تكراراً ان كل اصلاح غير
الاصلاح الادبي لا يجدي نفعا . فالاصلاح السياسي مع شدة الحاجة
اليه يمحصر فعله في استئصال الاعشاب البرية كالشوكران القبيح السام
والنباتات المشوكة التي يكثر نموها وتقل فائدتها ولكن الارض وقد
اصبحت بعد ذلك بوراً تقبل البذور الكريمة كما تقبل ما قد يكون
اخث واضر مما استئصل منها . اما الاصلاح الادبي فهل يتحقق
ياترى رجائنا فيه ان لم يزداد يوماً فيوماً عدد الرجال الصالحين فينا .
اولئك الذين ترسلهم العناية الكريمة ليبثوا روح الصلاح في الناس
ليزرعوه كما تزرع الشجرة الحية بذورها ؟ فالرجل الصالح انما هو قوة
سريعة حية . ثمرة وكذلك في كل زمان ومكان يكون . ونفوذها اذا
تدبرناه لا يقاس لان اعماله لا تموت . هي ابدية لانها بنت الابدية .
وقد لتحول فننمو وتنتشر في اشكال جديدة ولكن جوهرها الحي المهي

هو واحد . فيا ايها الصارخ من خبث الزمان ولؤمه القائل ان ديوجن في يومنا يحتاج الى مصباحين في رابعة النهار اعلم ان لاسلطة لك على الزمان . وليس لك ان تصلح البشر - ان تنقذ عالماً منغمساً في الغش والفجور والنفاق . وانما كتب لك ان تصلح رجلاً واحداً فيه واعطيت لذلك قوة عظيمة مطلقة فانقذ هذا الرجل . اصلحه قوم أوده ان في اهتمامك هذا شيئاً بل اشياء تذكر . وحياتك واعمالك لا تكون بعدئذٍ باطلة .»

وكلنا هذا الرجل . وكلنا نستطيع ان نصلحه اذا سعينا في هذا وكنا ثابتين في سعينا صادقين . اما الاصلاح السياسي فهو ينقي الارض ويحصيها فقط . والاصلاح الادبي الذاتي يعطينا بذوراً صالحة نزرع منها هذه الارض المتخربة الطيبة . واما اذا حصبناها وتقبناها وكانت بذرونا رديئة فاسدة يحجب كل اصلاح سياسي شراً من الآخر . وبأسف اخبركم ان ما في جراب بذارنا اليوم غير بذور الخنظل والقرقفان والعوسج والقراص . فاذا كانت لنا غيره على بلادنا وكان في قلبنا حب لارضنا حقيقي نأبى ان ننعها ونهلكها بالاصلاحات السياسية العقيمة . لنسع في تنقية البذور قبل تنقية الارض . اطرحوا الى النار جراب السياسة وما فيه غيره آسفين وخذوا لكم جراباً جديداً تملأونه من بذور النفس المصلحة الجديدة فقد أعطي كل منا كما قال كرايل قوة عظيمة مطلقة ليصلح نفسه وكل منا يستطيع الى ذلك سبيلاً

اذا سعي قليلاً .

ونصيحتي لـ اخواني اللبنانيين لـ ابناء وطني المحبوب ان يبتعدوا عن السياسة ويقتربوا من الحقول . ان فلاحاً في كرمه وراء محراثه لا شرف من كثيرين من ذوات لبنان . ان صانعاً في معمله لا طهر ذيلاً وازره نفساً من سياسة لبنان . ان حائكاً في نوله لا سلم قلباً من مصلحي لبنان . — جبالنا المقدسة ! ايـهـجر بنوك اطلال السكينة فيك ليتلوثوا باوساخ السياسة واوحالها ؟ ايـهـملون ارضك فتصير بوراً واحراجك فتصير صخوراً حباً بمنصب في الحكومة يذل النفس ويفسد الحياة ؟ الى الحقول ايها السياسيون الى الحقول . بارت اراضي جبالنا من الاهمال . تصخرت احراج جبالنا من الاهمال . غاضت مياه جبالنا من الاهمال . اتشقون في السياسة اخواني والمحراث ينشدكم نشيد الهناء والحبور ؟ انتم رغون في اوحال الوظائف والارض تحن اليكم حنين الام الى اولادها استذاون وتستضعفون وتستعبدون — في دوائر السياسة والحقول تدعوكم اليها لتلبسكم تاج الاستقلال . لتعيد اليكم شرف الرجال . لتمتعكم بحرية الفكر والعمل والمقال ؟ الى الحقول اخواني . الى الحقول . ليرعَ كل منا خويصة نفسه ، ليشغل كل منا عن اصلاح الناس باصلاح شؤونهم . ليشهد ارضه واملاكه بالحرارة والثرية فيصطلح عندئذٍ لبنان ويصطلح شعب لبنان . وتصطلح حكومة لبنان .

التساهل الديني

خطبة

ألقيت في احتفال جمعية الشبان المارونيين

في نيويورك

ليلة ٩ شباط سنة ١٩٠٠



وطبعت في مطبعة المدي هنالك

تقديم

هذه اول خطبة القيمتها في لغتي وقد انتشرت في سوريا ومصر واميركا
وقرظتها الجرائد والمجلات هنا وهناك . لذلك احببت ان ابقى عبارتها على ما
كانت عليه في الطبعة الاولى .

مقدمة الطبعة الاولى

قد طبعت هذه الخطبة لاعتقادي اننا بحاجة كلية الى التساهل
الديني فأملي ان تصادف من المتساهلين استحساناً ومن المتعصبين قبولاً
تكون نتيجة الارتياح والاستحسان على ما ارجو فيزول اذ ذاك التعصب
ويسود التساهل وتبرز بعد ذلك امتنا السورية الى عالم الوجود قائمة
على صخرة لا تقوى عليها نيران الجحيم .

مقدمة الطبعة الثانية

وهذه عشر سنوات مضت والتساهل الديني اي هذه الخطبة لم
تزل من الادوية الناجعة . دليل على ان داء التعصب الدفين لم يزل
متأصلا في الصدر . وقد قال لي احد كبار الاتحاديين ان الجمعية تود
لو انتشرت هذه الخطبة في كل اقطار المملكة . فلتتكرم الجمعية اذا
ونترجمها الى التركية . ابدلوا «الامة السورية» في الخطبة بالامة العثمانية
ولا تخشوا اللوم والتثريب . فان عناصر هذه الدولة كلها كالعنصر الذي
عالجته . وان ما نثن منه نحن المسيحيين لاشد وطأة عند اخواننا المسلمين
أفيسقننا التعصب ويجهز علينا التمويه ؟ اتقوا الله ايها الناس . فقد صاح
بكم الاحرار الاصفياء عودوا الى كتبكم ظناً منهم انكم تعودوا الى الحسن
السمح السامي من آياتها . نخاب ظنهم . لذلك اقول ارفعوا اعلام الوطن
ولا تعودوا الى كتبكم في غير المعابد لانكم تعودتم ان تسرعوا الى ما خط
فيها من آيات فتفسرونها بما لا يقتضيه حالنا اليوم بل لا يجيزه . عودوا
اخواني الى ضميركم الى وجدانكم الى معقولكم الى حكمة موروثه فيكم .
وساعدوا هذه الدولة الجديدة فتساعدكم . ساعدوها ايها الرؤساء
والاسياد في بث روح التساهل الديني والجنسي في الناس . وسيف
والله يرفع عليّ شرّ من سيف ارفعه على اخوان لي في الوطنية . وشرّ
من الاثنين ايها العثمانيون سيف يرفع علينا أجمعين .

التساهل الديني

أيها السادات والسادة

لما علم بعض اصدقائي باني انتقيت موضوعاً دينياً القيه على مسامعكم في هذه الليلة الحافلة انتشر الخبر في جاليتنا السورية واخذ كل رجل يبني عليه العاللي والقصور ويستخرج النتائج ويقدر العواقب ويفسر الموضوع بحسب مبلغ ذوقه وادراكه وهواه وقد اتفق هؤلاء المفسرون في شيء واحد وهو اني ساتعرض للمدين تعرضاً خفيفاً وهم ينوون توقيفي عن الخطابة لانهم للآن لم يألفوا حرية القول والانتقاد فعسى ان يصادفوا الفشل وخيبة الامل لانهم حكموا عليّ قبل ان يسمعوا كلامي ويتدبروا براهيني وهذا شيء يناقض الشريعة والعدل ويأباه الرأي المستقيم والذوق السليم فالقاضي الذي يحكم على مجرم بالقتل قبل ان يسمع دفاعه يكون ظالماً مجرمًا جاهلاً . فلا تحكموا قبل ان تسمعوا ولا تقصّدوا الشرّ قبل ان تبينوا شرّاً اكبر يستوجبه وقد يظن البعض ان البحث في الامور الدينية متعلق برؤساء الاديان فقط ومحرم على سواهم وهذا عين الضلال والغلط فالمرء لا يرى مساوئه ولا ينتقد الحرفة التي يتوقف عليها معاشه . ورؤساء الاديان لا يتكلمون عن الدين شيئاً مشيناً ومضراً به على مسامع الشعب ولو لم يكن منافياً العدل والاصلاح بل كل مباحثهم الفلسفية وكل اقوالهم العلمية هي مستنتجة من مقدمة تسبق كل بحث وكل تنقيب

يطبعونها في جنانهم قبل ان يقدموا على الكتابة والجدال وهي هذه :
الدين تأييده واجب وتعزيزه اوجب واذا افسده الزمان ولوى فيه الالسنه
بعض رؤساء الاديان فلا يعان الفساد للشعب فاذا كانت المقدمة على
هذا المنوال فهل يرجى منهم انتقاد جهري يكشف للعلمانيين ما لا يظنونه
موجوداً . ان ذلك لا يكون فالرؤساء لا يرجى منهم اصلاح جهاري في
الدين اذ ان ذلك يضر بمصالحهم ويضعف سلطتهم ويسقط سيادتهم .
واذا سألتوني لماذا تبحث وتكلم في الدين وانت لست من رجاله فاجيبكم
كما اجاب روسو الفيلسوف الافرنسي الشهير لما سئل عن تعرضه للبحث
في السياسة وهو ليس اميراً ولا حاكماً قال : انا لست اميراً ولا حاكماً
ولكنني من اجل هذا كتبت فاني لو كنت اميراً او حاكماً لما اذعنت
الزمان بكتابة ما ينبغي ان افعل بل كنت افعله وألزم السكوت .
وانا لست قسيساً او مطراناً ومن اجل هذا اخطب بموضوع ديني فلو
كنت قسيساً او مطراناً لاصلحت وحسنت واستغنيت عن الخطابة
ولزمت السكوت فالبحث في اي موضوع كان محرم على الحيوانات
العجم فقط اما الناطقة العاقلة فمن حقوقها ان تخوض عاب اي موضوع
شئت .

ولكن الذي اوقعني في مثل بحر من الاضطراب هو الطلب الذي
طالبته مني عمدة هذه الجمعية (جمعية الشبان المارونيين) كي اعدل عن
الخطابة بهذا الموضوع تجنباً للشر وهرباً من العواقب الوخيمة حسب

زعمهم ولعمري لا ينجم عن البحث والتفتيش المصحوبين بالمعرفة والحكمة
 الا كل شيء مستحسن ومفيد . البحث ام الحقيقة . ماذا افعل اذن .
 أأرمي نفسي في بحر البحث والتنقيب ام اسلم تسليما غير شرطي دون
 ان انبس بينت شفة . من وجه لا اريد ان اخون ضميري واعود
 نفسي التردد فالشاعر يقول :

اذا كنت ذا رأي فكن فيه مقدما

فان فساد الرأي ان نترددا

ومن وجه آخر اود لو راعيت خواطر اعضاء الجمعية التي انا عضو
 منها واجبت سوءهم . فان تكلمت استاءوا وان لم اتكلم استاءت
 الحقيقة وهذه هي الورطة التي وقع بها ذاك الخطيب المفوه اسكندر
 افندي العازار لما تكلم عن " الجرائد وجرائدنا " في مدينة بيروت
 فأخذ في البدء يسرد تاريخ الجرائد مبتدئا بالصين ومنتهيا في اوربا ووقف
 يتبصر لما اتصل به البحث الى جرائدنا وحالتها في تلك المدينة . والموقف
 يستوجب كثرة التبصر اذ كانت تلهم القاعة غاصة برجال الحكومة
 واصحاب الجرائد ونخبة الجواسيس وكلهم كانوا واقفين للخطيب بالمرصاد
 يتوقعون منه كلمة واحدة ضد الجرائد او المكتوب يجي ليشوا به ويسعوا
 بتوقيفه وحبسه فبعد ان تبصر قليلا قال : جرائدنا . . . احسن صبغة
 للشعر عند عيد عون . . جرائدنا . . احسن دواء لوجع الرأس عند
 ابي نحول . جرائدنا . . جرائدنا . . فنهض احد اصحاب الجرائد

في ذاك الثغر وقال له : « ما معنالك لم لا تتكلم » ، فاسكته الخطيب اذ قال :

« الله يضيق على من يضيق »

اما نحن فلسنا في بيروت الآن ولسنا محاطين بالوالي والمكتوبجي والجواسيس ولا توجد فوق رؤوسنا ايدي رجال حكومة ظالمة جائرة مستبدة من شأنها الضغط على العقول وتوقيف كل من نطق بالحقيقة وصرح عن افكاره بحرية واخلاص . نحن في بلاد طرحت فثمت في ربوعها بزور الحرية منذ نشأتها نحن في جمهورية عظيمة يحق لكل من وطئ اراضيها المباركة ان يتكلم بحرية تامة بشرط ان لا يمس حرية غيره . وهذه الحكومة العادلة قد كفلت لشعبها الحرية بانواعها كافة : كحرية الاديان وحرية الصحافة وحرية الخطابة وحرية التعليم وحرية العمل ولعمري الحق هذا اكبر باعث لتقديمها السريع ونشأتها الغربية . فما لنا اذا ومراعاة الخواطر عند البحث عما يعود با كبر الفوائد على السوريين في بلادهم وفي المهاجر . . . موضوعي التساهل الديني أتريدون ان اتكلم (فجاء الجواب من الجمهور اخطب ! تكلم !) أأتكلم ؟

تكلم . تكلم تكلم !
سأتكلم اذا وعلى الله الاتكال .

موضوعي في هذه الليلة الحافلة متشعب الاطراف جليل الشأن جزيل الفوائد ذواهمية تأثيرها في المجتمع الانساني لا يقاس ولا يحدد .

هو الموضوع الذي انقسمت عليه الرجال في الاعصار الغابرة المتوسطة حين كان يدافع عنه كل المدافعة العلماء والفلاسفة والاحرار ومحبو البشر الابرار ويعارضهم كل المعارضة الرؤساء والامراء والملوك وكل من فضل قطعة معدن تدعى خطأً تاجاً على ذلك الشيء الخفي السري الالهي الذي يسمى ضميراً

(تعريف التساهل)

التساهل هو التسامح بوجود ما لا يستصوب بتمامه ^(١) وهذا تحديد كلي اما الجزئي فهو اجازة العقائد الدينية والطقوس الطائفية التي تخالف الطقوس والعقائد المخصصة بالدولة . وهذا تحديد لا يطابق حالتنا ولا يوافق الظروف الحاضرة فاليكم اذا تحديداً يأتي بالمراد :

(١) كل عقيدة وكل مذهب وكل تعاليم لا تعتبر صحيحة عند جميع الناس والشعوب فهو غير مستصوب بتمامه وان كان صواباً ، الديانة المسيحية مثلاً هي غير مستصوبة بتمامها ليس عند الشعوب الغير المسيحيين فقط بل عند المسيحيين انفسهم فالمسيحي البروتستاني لا يستصوب المذهب الكاثوليكي بتمامه والعكس بالمثل وذات الحالة تقوّر الشيع البروتستانتية العديدة . . . والدين الاسلامي هو غير مستصوب بتمامه عند كل الناس حتى عند المسلمين نفوسهم فان منهم الشيعة والسنيين والصوفييين والمعتزلة والمجسمين وغيرهم من الشيع المتعددة . وكل من هذه الشيع لا تستصوب تعاليم الاخرى بتمامها . ولا يستصوب بتمامه الا الحقائق الراهنة التي لا ينكر صحتها احد على الارض وهي ما كانت من طرق ادراك العقل لها فناموس الجاذبية مثلاً هو مستصوب بتمامه عند كل من عرفه واثنان واثنان تساوي اربعة لا ينكر احد صحتها ولا يوجد رجل على البسيطة له مسكة من العقل يقول الك ٢ و ٣ ولو قلنا : الخطان المتساويان لا يتحدان معاً ادمت مذهباً فهو تعاليم يقر بصحته كل من درس الهندسة او تمن قبلًا في القضية . عذري هي الحقائق الراهنة . . . حقائق رياضية قاطعة لا ينكرها احد وهي تستصوب بتمامها . والشيء الذي يستصوب بتمامه لا لزوم للتساهل به لان كل الناس متأكف وتتفق بخصوصه

التساهل الديني هو الاعتبار والاحترام الواجب علينا اظهارهما نحو
المذاهب المتمسك بها ابناء جنسنا ولو كانت هذه المذاهب مناقضة
لمذاهبنا ونقاليدنا وطقوسنا على خط مستقيم

يجب علينا ان لا نمكن ما لا يستصوب بتمامه من ان يفرق بيننا
ويشتت شملنا ويقسمنا على انفسنا

التساهل لا يكون في الامور الدينية فقط بل في كل المسائل التي
تطراً على عقول البشر ويعمل بها الكبار والصغار عدا ما يستصوب
بتمامه ولا نستطيع ان ندخل هذا الباب دون ان نطرق باباً آخر فالتساهل
نجم عن التعصب وهاتان الكلمتان ضدان وهما ثانوية من ثانويات الطبيعة
كالنور والظلمة والفضيلة والرذيلة والخير والشر والعدل والظلم فلو لا
ذاك لما كان هذا . لو لا الاول لما كان الثاني . فالتعصب اذاً ولد التساهل
والتساهل ولد السلام والسلام ولد النجاح والنجاح ولد السعادة مثلاً
ابراهيم ولد اسحق واسحق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا واخوته .
فالسليمة واحدة لكن النقي يأخذ مجراه حسب سنة النشوء والارتقاء
والتعصب يسبق في كل الاحوال ليستوجب التساهل لان
القضيب المستقيم يكون تقوية اعوجاجاً .

ولكي يكون الشيء حريماً والبرهان جلياً اجعل لكم تشبيهاً ثانياً .

التساهل هو الابن والتعصب هو الاب والحسن الطالع لم يوجد في
العائلة البشرية برمتها اب وابن لم يتفقا ويتواليا في زمانهما قط الا

هذين الاثنين فالاب التعصب يكره الابن التساهل والابن لا يستطيع ان ينظر الاب فاستعرت بينهما نيران الفتن وحمي وطيس القتال في الاجيال المتوسطة التي يدعوها المؤرخون الاجيال المظلمة وكان الفوز احياناً لهذا واحياناً لذاك حتى دخل المتحاربون القرن التاسع عشر فاخذ الابن يفوز على الاب . اخذ التساهل ينتصر على التعصب واخيراً شق قلبه بمنجبر العدل وفراه بسيف الرحمة . مات التعصب ولكن واأسفاه كان موته الى حين اي ان روحه عند خروجها من جسمه الديني نقضت بقوتها الاصلية بالجسم السياسي . خرجت من الجسم البشري ودخلت الجسم الحيواني . عوضاً عن التعصب الديني الذي سود صفحات التاريخ في الاجيال الغابرة قد ابتلينا بايامنا هذه بتعصب سياسي او دولي اذا شئتم لم نزل مثيلاً في تاريخ العالم بأسره . فما هذه الحروب التي تشهرها الدول الاوربية على الشعوب الحقيرة والقبائل الضعيفة الصغيرة الا نتيجة التعصب الدولي نتيجة الفكر الفاسد الذي تمسك به الدول وتعمل بموجبه فانكثرتا تعتقد نفسها اصلح من فرنسا وفرنسا ارفع واعظم من جرمانيا وجرمانيا اقوى واحسن من الاثنين انلخ واذا راقبنا حركات الدول واطلعنا على اسرارها ودرسنا سياستها وكشفنا الحجاب عن خفاياها وتأملنا الحروب العديدة التي تهدم هيكل المجتمع الانساني وقفنا منذهالين منذهشين سائلين انفسنا السؤال المضحك - نحن من الجيل التاسع عشر جيل التمدن والنور

جيل المبادئ الديمقراطية والاشتراكية والرحمة المسيحية ام نحن
على باب القرن العشرين . اجل نحن من الجيل التاسع عشر . . . قبل
المسيح وليس بعده . وقد تميز هذا الجيل بالتعصب الدولي ولذلك
دعوت خطابي التساهل الديني الناتج عن التعصب الديني لاميّزه عن
التساهل السياسي . اما المبدأ الاساسي لهما فهو واحد ولا يتغير منه
سوى التكوين الخارج والاحوال الظاهرة .

ثم التساهل يكون اما من الدولة واما من الشعب واما ان يكون
طوعاً واختياراً واما كرهاً وجبراً . اما التساهل الدولي الديني فهو
يشمل الآن الدول الاوربية بمعاملاتها بعضها مع بعض ولكنه لا
يشمل الشعوب التي يدعوها الاوربيون متوحشة فالدول لا تساهل
مع هؤلاء المساكين الضعفاء بل تساهل بعضها مع بعض لانها
تضطر الى ذلك وليس حباً بالمبدأ الشريف فكثيراً ما نراها تشهر
الحروب على القبائل الضعيفة وتدعوها حروب الانجيل وذلك لكي
يعتق ،، البرابرة ،، الدين المسيحي كرهاً وجبراً . وهذا هو التعصب
الدولي الديني هذي هي الاضطهادات التي كانت تمارسها الدول
الاوربية المسيحية ضد بعضها والآن تمارسها ضد ،، البرابرة ،، كما
تزعّم والبرابرة قوم يشعرون ويريدون مثلنا . هذه هي حروب شارلمان
واضطهادات الملكة حنة الانكليزية والمالك كارلوس الافرسي هذه
هي مذبحه ليلة القديس برتلموس فعوضاً عن حدوثها في باريز وفي

الجيل السابع عشر تحدث الآن في صحاري افريقيا وفيافي اسية
وتلول السودان وفي آخر الجيل التاسع عشر . يا للعارويا للشنار !
عشاً يكتب العلماء ويندد المصلحون ويبحث الفلاسفة . عشاً اتى
السيد المسيح الى الارض لمثل هؤلاء الاقوام

اما بين الدول المسيحية بمعاملاتها مع بعضها فاسنا نرى للتعصب
الديني اثر فصار الكاثوليك يهون بأمن وسلام في الجزائر البريطانية
والبروتستانت يأمنون على انفسهم في اسبانيا وفرنسا وايطاليا واليهود
لا خوف عليهم من الاخطار والطرده في اي بلاد حلوها ما عدا
الروسية وصرنا نرى في مجالس الامراء الانكليزية اللوردة
والنواب الكاثوليك واليهود وفي الدولة العثمانية نرى الموظفين على
اختلاف نحلهم ومذاهبهم من المسلمين والمسيحيين والدروز فالتساهل اذاً
في الدولة موجود غير انه بين المل والشعوب المختلفة مفقود . لان
الكاثوليك في هذه البلاد الحرة كطائفة لا يحجون البروتستانتين
والبروتستانت يكرهون الكاثوليكين وقس على ذلك في كل الامم
لا سيما في الامة السورية فلو كان بوسعنا نحن السوريين كلنا لاضهد
بعضنا بعضاً وشهرنا على بعضنا الحروب الدموية ولكن الدولة لا
تساعدنا على الاضطهاد الديني ووسائل الاديان لا يستطيعون ذلك
وحدهم ولعلمهم لو استطاعوا لا يترددون .

عندنا نحن شيء اقبح من الاضطهاد واضر من الحروب عندنا

السياسة السرية والايدي الخفية والاعمال الباطنة الشيطانية فكل هذه المنكرات تشير الى غرض واحد وهي اكبر باعث على ابتعادنا وانقسامنا على بعضنا وقيامنا ضد بعضنا . فالسياسة الخفية هذه اقبح من الاضطهاد لاننا بالاضطهاد نستأصل دابر من خالفنا بالمذهب فلا يبقى لنا معاند مفاخر ولا عدو مكابر ولكن السياسة السرية تفسد القلوب وتقتل في الانسان كل عاطفة شريفة . السياسة هذه هي الجبن والضعف واللوم والخيانة والغش والنفاق والايدي التي لا تظهر مخالفتها الا في الظلمة الكالحة يدعو عليها بالكسر كل حر صادق وكل شجاع . هذه سياسة سيئة غايتها ووخيمة عاقبتها وابناء امة واحدة يبقون بسببها منقسمين منفردين عاجزين عن العمل مشغولين بالتحول ومكتنفين بالجهل فيتسلط عليهم شعب آخر او امة غريبة فيبقون اذلاء جبناء الى ما شاء ربك . هذه سياسة لا طائل تحتها ولا نجاح وراءها بل ان صاحبها يلقى الفشل ويتلى بخيبة الامل قبل ان تمتد نيران فتنه فتفضي بالامة الى البوار ايها السوريون نحن امة لا يتجاوز عددها ثلاثة ملايين نفساً منهم مليون متشتت في اربعة اقطار المعمور فاذا وجد فينا خمسة عشر حزباً او ملة فماذا يا ترى تكون عاقبة شقاقنا وانقسامنا

الا يكفينا الضعف الذي يشملنا بكوننا امة صغيرة حقيرة حتى نتلى ايضاً بضعف الانقسام وماذا تكون قوة كل حزب او كل طائفة اذا شرعت تعمل عملاً خطيراً يستغرق الوقت الطويل والسهر والكد

والاجتهاد ويستوجب تضحية المال والنفوس وخيرات البلاد
اي عمل قامت به هذه الطوائف الصغيرة وكانت فوائده اكثر
من اضراره ؟

فلو كان عددنا مائة مليون لما ضرنا انقسام الاحزاب الى عشرين
حزباً ولا خمسة عشر طائفة فعندئذ يكون الحزب قوياً واذا شرع يعمل
عملاً او ينهض نهضة سياسية او ادبية كلها بالفوز والظفر . هذه الامة
الاميريكية يبلغ عدد سكانها ما فوق الثمانين مليوناً ومع ذلك لا نرى
فيها اكثر من خمسة احزاب سياسية واما الطوائف الدينية فكثيرة
ولكن لا قوة ولا ذكر لها في الامور السياسية والوطنية والمدنية . قد
سلبت منها سلطتها او بالحري قتلت بيدها ولذلك هي ضعيفة ذليلة .
قد قالت الحكومة الجمهورية لهذه الطوائف الدينية ما معناه : —
لكل دين حق البقاء ولا حق لدين ان يبيد ديناً آخر بالقوة الوحشية .
لكل دين حق البقاء ! افتكروا في ذلك وابقوا هذه الاية في
حافظتكم . ودواتنا العثمانية تنهج نفس المنهج فالمسلمون يتساهلون مع
النصارى ويسمحون لهم بممارسة دينهم حسب طقوسهم وثقاليدهم وبما
ان الانسان يجتهد ليستفيد من كل شيء انتجت الدول ولا سيما الدولة
العثمانية نتيجة حسنة تأول الى سياستها بالراحة تعويضاً عن لذة الاضطهاد
الوحشية فغدا التساهل ضرباً من السياسة الدولية بواسطتها تستميل
الدولة الرؤساء والرؤساء قادة الشعب وسادته فتصبح البلاد بواسطة

هذه السياسة براحة وطاعة : - راحة لا تشكر ولا تراد وطاعة لا تحمد ولا تحب اني افضل الاضطراب والعذاب على هذه الراحة اني افضل الثورة على هذه الراحة المنقوتة : راحة الذل والحمول راحة الجهل والعبودية وكانت قد اتخذت هذه الخطة الدولة الرومانية التي كانت تتساهل بوجود الاديان في الاجيال الاولى للمسيح . وقد وصف هذا التساهل المؤرخ الشهير غِبْنُ بكلام وجيز مفيد فصيح قال : ١١ ان انواع العبادات على اختلافها كانت سائدة في العالم الروماني وكان الشعب يعتقدونها كلها صحيحة والفلاسفة يعتقدونها كلها خرافية والحكام رأوها كلها نافعة مفيدة ، ، . هذا كلام فيلسوف ومؤرخ مدقق . افتركوا به وهكذا انتشر التساهل وجاب على الشعب ليس فقط السلام والراحة بل الائتلاف الديني والجامعة المدنية فالحاكم هنا رأى في الديانات المختلفة شيئاً مفيداً وقال في نفسه فلندعمهم يختلفون ما زال اختلافهم يسبب غبطتنا وسعادتنا ويؤيد سلطتنا ويعظم شوكتنا ويرفع مجدنا والدولة العثمانية تتساهل مع النصراني كي تبقيهم اذلاء شاكرين ولرؤسائهم مطيعين ولسلطتها خاضعين !

قد برهنت لكم كيف الدولة تتساهل مع النصراني ولا اظن احد منكم يشك في تساهل المسلمين معنا ولكن عجباً كيف ان النصراني لا يتساهلون مع بعضهم . الاجانب يتساهلون معنا ونحن لا نتساهل مع بعضنا ولا نخالط بعضنا ولا نؤاري اخلافاتنا عند مصالحة امتنا ولا

نتنادى ضغائننا عند محبة وطننا ونجاحه ولربما قال بعض اللاهوتيين :
 كيف نتساهل مع من لا صحة لدينهم ولا حق في معتقدهم فاقول : ان
 التساهل مبني على التناقض والخلاف في صحة من ادعى الصحة وبوحي
 من ادعى الوحي ولو لم يكن ذلك لما تساهلت الحكومة مع الطوائف
 المخالفة لمذهبها لان الغاية القصوى من غايات الحكومة المتعددة هي ان
 تحامي عن كل مبدأ صحيح وتكفل لكل رجل حرية القول والفعل اذ
 لم تمس حرية غيره . فلو تاكدت الحكومة ان الدين الفلاني هو الدين
 الصحيح لما كانت تساهلت مع بقية الاديان ولا اجازت ممارسة دين
 يخالف هذا الدين الصحيح الا لغاية سياسية كما ذكرت ولكن لما كان الخلاف
 سائداً والتناقض شائعاً والحكومة المدنية تهتم بسياستنا وكل من روساء
 الاديان يدعي صحة دينه ضاع صواب الشاعر في ضوضاء اقوالهم فانشد قائلاً

في اللاذقية ضجة ما بين احمد والمسيح

هذا بناقوس يدق وذا بمأذنة يصيح

كل يعظم دينه ياليت شعري ما الصحيح،

الله لا يفضل امة على امة ولا طائفة على طائفة الله لم يصطف

له في الارض شعباً خاساً من حيث انه ذرية لها حق الانتماء الى اختيار

الله لها دون غيرها وما يقرأ في التوراة من تفضيل الاسرائيليين على

غيرهم فلكون عبادة الاصنام والمنحوتات وسائر المخلوقات هي من خرافات

الدين فلو تركها قوم من المغضوب عليهم كما في التوراة واستساروا

بحسب الناموس الطبيعي لكانوا كالأسرائيليين الذين استلموا الوصايا اذ الوصايا العشر كلها طبيعية يفهم ضرورتها العقل المتنور و يغلط من يفهم اختيار الله للأسرائيليين انه اختارهم ليعضدهم ويهديهم دون غيرهم فلو كان هذا هو المفهوم لبقيت عجائبه فيهم بعد مجيء المسيح ايضاً . ولكن عدل الله ارفع من ان يحصر خلاصه بذرية دون غيرها ولذلك قال في الانجيل الطاهر اذهبوا وبشروا كل الامم . ان من سار حسب الشرائع الطبيعية فعمل الخير وابتعد عن الشر كما يرشده عقله ولم يتوصل الى معرفة الدين الحقيقي فانه لا يهلك لان الله رؤوف ورأفته لا تنتهي لها ولذلك اقول مع محمد (ص) ما الناس الا امة واحدة . هذه آية منزلة وهي عين الحكمة التي اوحاها الله لاوليائه . ما الناس الا امة واحدة . افذكروا فيها . انها لا آية فلسفية سامية وما الدين التوحيدي الا دين واحد فكلنا نتحد بآرب وكلنا نعبد الهاً واحداً

قلت ان التساهل مبني على الخلاف وادعاء الحق للذين قد يكونان اوصالا الشبطين الى الشك في كل شيء ، فقالوا عن كل امر "لا ندري" ، وهم الادارية المسخوور بهم لانهم يقولون لا ندري عما هو حقيقة مدركة لا لانهم يقرون بقصورهم عن ادراك مسائل شتى وحقائق فوق العقل ففي مثل هذه الحال تفتخر العلماء والحكماء بقولهم لا ندري جواباً عن المسائل التي تفرق مداركهم والكنهه الالهة التي يعجز عن تحديدها العقل البشري فلم نتعصب ولم نستبد ما زلنا نتذبذب من ضعفنا عن البحث

في امور دينية كثيرة لم يصل اليها . العقل من قال لا ادري جواباً عن
مسألة لا علم له بها فقد برهن عن صحة عقله وسلامة ذوقه وحسن رأيه
وعمق حكيمته وثاقب فطنته

وقول القائل لا ادري كما قال العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي خير
من ان يقال له اخطأت وقد عد ذلك من جملة مآثر ذوي العلم وادلة كماله
فيهم حتى ان السيوطي عقد باباً في كتاب من مؤلفاته في من سئل من
العلماء عن شيء وقال لا ادري فذكر عدة من مشاهيرهم كالاصمعي وابن
دريد والافخش وابي حاتم وغيرهم من اهل هذه الطبقة . قال الزعفراني :
كنت يوماً بحضرة ابي العباس الثعلب فسئل عن شيء فقال لا ادري
فقال له بعض من حضر القول لا ادري واليك تضرب كبار الابل
واليك الرحلة من كل بلد : فقال لو كان لامك تمر بقدر لا ادري
لاستغنت . وسئل الشعبي عن مسألة فقال لا ادري فقبل له فبأي شيء
تأخذ رزق السلطان فقال : لا قول فيما لا ادري لا ادري . ويقرب من
ذلك ما حكاه بعض علماء العصر من الفرنسيس قال : ان احدى خواتين
الاشراف تصدت يوماً لاجل مشاهير العلماء في مجلس حافل فقالت له :
امطر يكون بعد الهلال ام صحو : فقال لا ادري . قالت اذا ما علة
اتصال الغيث في هذا العام قال هذا مما لا نعلمه . قالت اتظن سكان
المشترى يكونون على غلقنا قال ايها السيدة اني لا اعلم شيئاً عن ذلك
قالت يا عجباً فلم يتجبر المرء في العلم اذا قال ليقول احياناً اني لا اعلم شيئاً .

فلنتساهل اذاً في الدين اذا اننا لا ندري والذي يدعي المعرفة هو
هو الذي لا يدري بانه لا يدري بل يخبط في الامور خبط عشواء .
فليبق كل على دينه اذا دله عقله على صحته بعد التنور الكافي والترفع عن
الاهواء ولا ينتظرن " احد رؤية دين غير مستصوب بتمامه كما يرى
الحقائق الرياضية والعلمية مثلاً مما هو مستصوب بتمامه

ولتجمعنا الوطنية اذا فرقنا الدين والله لا يريد التفريق

لا تأخذوا كلامي على غير مأخذه ولا تحملوه على غير محمله ونقذفوا
عليّ لحق ظاهر ! كلمة فتقولوا واسفاه على من لا يعرف الدين الصحيح
فان قاتم ذلك فانا انشد معكم قائلاً اسفأ على العالم بأسره ما اكثر
الضلال فيه . واصغوا اذا شئتم لاقص عليكم رؤيا رأيته ذات ليلة
وكنت قبل ذهابي الى الفراش اترصد النجوم والكواكب واستطلع
طلعة البدر تحددجني السماء بعينها الزرقاء واتأمل في ما رصعتها به يد
التقدير من الدراري الزاهرة كالمصابيح الباهرة . حدث لي ذلك لما
كنت في جبل لبنان الجبل العزيز الذي كثرت فيه الخرافات وتعددت
بين سكانه البسطاء المذاهب والديانات . الجبل الذي ترى في اكثر
جهاته الشمامسة والكنائس والاديرة والقلاانس . الجبل الذي ابتزت
خيراته الكثيرة رؤسا الدين والدنيا وكثرت فيه خيرات الرهبانيات
العديدة وضاعت بين كيس هذا وجراب ذاك وما كنت ارقاه الرهبانيات
العديدة الوطنية والاجنبية وفي مقدمتها الرهبانية اليسوعية .

كنت في تلك الليلة أتأمل في الكواكب والبدر والثرىا ودرب
التبان انى تدعى ايضاً نهر الحجرة وقد شبهتها بدرب التساهل على الارض
لانها بيضاء نقية تسرى بها النجوم فى مناطقها لا تتطم فهن مؤ تلفات
مفترقات لا تتساقط منها الشهب ولا تتنافر اجرامها فى دورانها .

فلكثرة تأملى فى الخالق والعزة الالهية فى تلك الليلة البهية
حلمت بانى - صعدت الى السماء حياً فى مركبة من نار - ولما دخلت
تلك الجنة الالهية التى بعجز عن وصفها بيان الانسان رأيت هناك
عرشاً مرئعاً عظيماً ينبهر النظر منه اشدة تألقه ولمعانه . ورأيت امام
ذلك العرش اربعة رجال منتصبين ممثلين امام الديان العظيم كل منهم
يرشق الآخر بنظرة الغضب والبغض فسألت احد الملائكة عنهم
فاجابني قائلاً

ان هؤلاء هم ممثلو اديان العالم فى السماء فهذا سفير المسيحية وذلك
سفير الاسلام وهذا سفير البوذية وذلك سفير اليهودية فقلت وماذا
يبتغون من العزة الالهية . فقال قد اقلقوا راحة الملائكة وسكان هذه
الديار بخصوصياتهم واختلافاتهم المتواصلة وجاءوا الآن يستغيثون
رب السماوات والارض . وبعد ان تشاغبوا وتشاكسوا واوشك ان
يفضي بهم الامر الى القتال نظر الديان العظيم اليهم برأفة وحنان
وقال - كلكم يا ابناءى صادقون - كلكم صادقون .

قلت فى بدء خطابى يجب علينا ان لا نجيز ما لا يستصوب بتمامه

ان يفرق بيننا ويشتت شملنا ويقسمنا على انفسنا كوننا امة ضعيفة
 صغيرة نحتاج الى التناصر والتعاون غاية الاحتياج ولم اقل ذلك الا بعد
 ان رأيت كيف اخذ الدين منا كل مأخذ فنخلطه بكل اشغالنا وننخذه
 حجة بكل اعمالنا فالتجارة عندنا تجارة دينية والجمعيات جمعيات دينية
 والنزل (اللوكندات) نزل دينية والعتال عتال ديني وقس على ذلك
 وهذا الذي يبعث بنا الى الانقسام الذي يسببه التعصب الديني الذميم .
 فانهناس الديانة في التجارة ولننبذ التجارة في الاجتماعات السياسية
 والادبية ولنسجد لربنا ولنمجده (اذا كان لنا رب غير المال) مفترقين
 في المعابد والكنائس فقط اذ انها شيدت لهذه الغاية واني لا عجب
 من التناقض الذي يخاط اعمالنا وعقائدنا فمن وجه نقول ان الدين
 هبط من وراء الغيوم وهو مقدس ومن وجه آخر نستخدم الدين
 لتنفيذ مآر بنا الدينية فنساب منه القداسة وننزعه عنه الاحترام بادخالنا
 اياه الدوائر المدنية من تجارية وسياسية وادبية .

هل اوحى الدين ليقينا من الفاقة ويكفل لنا المسرة واللذة في
 هذا العالم

هل اوحى الدين لننخذه عضداً لنا بتحقيق اماننا الدينية وابتغاء
 الاشياء الزمنية التي لا حد لها

هل اوحى الدين ليساعدنا على الجشع والطمع والتحامل على ابناء
 جنسنا والازدراء بهم

هل أوحى الدين ليكون سبباً أولاً للخصام والشقاق والقتال
هل أوحى الدين للتسلح به فئة من الناس ضد فئة وتستخدمه
كسيف تسله على كل من لا يقرّ لها بالسلطة الوهمية
هل أوحى الدين لتأسيس الدواوين النفيسية التي تألفت في
رومية واسبانيا والتي أرعبت العالم بظلمها واستبدادها وجرائها الفظيعة
هل وجد الدين لبعضهم وسيلة لا فساد الهيئة البشرية
هل وجد الدين كي يستخدمه الرؤساء آلة نافعة لتنفيذ مآربهم
الخصوصية وغاياتهم الشخصية
هل وجد الدين كي يتعصب به خدمة الأديان ويستأثروا بالسلطة
المسلوبة فيظلموا العباد ويضطهدوا من خالفهم في الرأي ويحנקوا
من هو اعظم منهم علماً وفلسفة وعقلاً
هل وجد الدين كي يفسده ونصلحه ونغيره ونقلبه بطناً لظهور
كلا ثم كلا ثم كلا .

لو نظر الله عز وجل كما ينظر البشر الى نتيجة وحيه لما كان
تعذب وتنازل ليكلم موسى وعيسى ومحمداً صلواته عليهم جميعاً . ولو
نظر ايضاً الى ان عاقبة الدين الذي انزله ستكون الاضطهاد والطرده
والحروب والشقاق والخصومة لكان ابقاءه عنده في السماء ولكن
الله الله اعلم .

الدين اما موحى واما غير موحى اما مقدس واما غير مقدس

فاذا كان موحى ومقدساً فلا يحق لنا ان نتخذة واسطة لتحسين اشغالنا التجارية وتنفيذ غاياتنا الشخصية فلنحق بامتنا الضرر الجسم اذا كنا نكون حجر عثرة في سبيل الجامعة التي يجب ان تجمعنا كسوربين ونحن بحاجة كلية الى الجامعة الآن قلت واقول ذلك مراراً واما اذا كان الدين غير موحى وغير مقدس فارى من وجه الحكمة ان لا نتمسك الا بالخير منه وننبذ الباقي ظهرياً نبذ النواة ولكن الدين مقدس ولذلك يقدم له الشعب الاحترام ومنه ما قدسته العوائد التي مكنها الزمان وثبتتها الممارسة وكفى بذلك قداسة نفرض علينا الاحترام والتوقير والاعتبار

لماذا اذاً نستخف بالدين ونتخذة كالعوبة نلتهي بها في الشوارع والحوانيت . نحن باخراجنا الدين من الكنائس لغاية عالية نرذله ونجذف عليه . ومن التعصب الممقوت ان نميز كل حانوت وكل بيت تجارة وكل ادارة او كل جمعية بدين مخصوص فنقول هذا التاجر ماروني وذاك الطبيب ارثوذكسي وهذا الصحفي كاثوليكي وما شاكل ذلك . ما هذه الحالة التي وصلنا اليها . أ ينقصنا شيء الا ان نضيف الى اسمائنا اسماء طوائفنا ونقول زيد الماروني وعمر الارثوذكسي ومحمد المسلم . فتشوا معي لاريكم كيف تنقسم تجارنا وجرائدنا ونزلنا واطباؤنا وجمعياتنا . اولاً عندنا التجار المارونيون والتجار الارثوذكسيون والتجار الكاثوليكيون والتجار البروتستانتيون .

واي من هؤلاء التجار المستقيمين يبيع سلعه وسبحه ودبايسه لقديسينا
المكرمين . أيتعامل التاجر الارثوذكسي مع مار متري ومار نقولا .
ايتعامل صديقنا الماروني مع ابينا مار مارون . وعندنا الجرائد المارونية
والجرائد الكاثوليكية والجرائد الارثوذكسية وعندنا المطاعم المارونية
والمطاعم الارثوذكسية والمطاعم الكاثوليكية والمطاعم البروتستانتية واي
منهم نزل طعامها من السماء وهل يريد القديسون ان نجدهم بالكبة
والهريس والمجدرة . وعندنا الجمعيات الخيرية المارونية والارثوذكسية
والكاثوليكية وما ضرهم لو كانت كلها جمعية واحدة - جمعية خيرية
سورية .

ونار ان نفخت بها اضاءت ولكن انت لنفخ في رماد
لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي
وهذه الحالة تعتور كل اعمالنا واشغالنا وحرطنا

متى تزول الشقاوات الدينية ويداس التعصب تحت نعال المدنية
متى نؤلف جمعية التسهل ونبنى كنيسة التسهل ونشيد مدرسة
التسهل ونؤسس جريدة التسهل ونفتح محل التسهل ولو كنيسة
التسهل وتصير اعمالنا كلها تساهلاً بتسهل . اي متى تشملنا هذه الحالة
السعيدة

انا الآن اقترح على اصحاب جريدتنا العربية في الثغر خصوصاً
وفي العالم العربي عموماً اذا كان صوتي هذا الضعيف يصل اليهم ان

ينشروا على صفحات جرائدهم الغراء اعلاناً باحرف ضخمة كبيرة عن التساهل الديني وانه يعطى بلا ثمن ومن اراد ان يقتنيه ويعمل به فليطرق باب ضميره فهو البائع وهو الشاري هو الواهب وهو الموهوب ولو كنت ذا قدرة مالية لنشرت هذا الاعلان على نفقتي فيسندني الحساب الله يوم الغنمة : يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً . فلنتساهل اذا . فلننشر اعلان التساهل

التساهل ايها الشيوخ الاجلاء . التساهل ايها الشبان الادباء . التساهل ايها الصحفيون والاطباء . التساهل ايها التجار والرؤساء . التساهل ايها السوريون الاحباء . التساهل لو كان لي الف لسان ولو تكلمت من الان الى يوم الدين لما عيبت من تكرار وترديد هذه اللفظة العذبة السهلة اللطيفة . لفظه كرهتها الاجيال المتوسطة وكلف بها الجيل التاسع عشر . لفظه عززتها الجمهورية في هذا الجيل . لفظه انفتحت لها قلوب المتمدنين المخلصين لآبناء جنسهم وتأملت بها الضمائر الحرة والعقول الصحيحة . لفظه طيب شذاها يملأ الفضاء وذكاء عرفها ينعش الصدور . هي احسن واظرف والطف وابدع وامتن واجمل وارفع واهل لفظه وجدت في معاجم اللغة

التساهل هو اساس التمدن الحديث وحجر زاوية الجامعة المدنية

التساهل شدد عزم الاحرار فبرزت من عقولهم اسامي الافكار

التساهل اوجد الترقى والتقدم في كل فروع العلم والدين والفلسفة

التساهل أيد سلطة الضمير ومحق الساطة التي لم ينزل الله بها
من سلطان

التساهل اعطى كل امرئ حقه فتمتع به ومارسه بحرية واستقلال
التسادل وضع حداً للاضطهادات الفظيعة وكسر السيف الذي
استخدمته الدول لاستئصال شأفة من خالفها بالمذهب

التساهل اطفأ بنفسه الفوي النار التي اضرها الاكايروس
لحرب اليهود والكفار

التساهل جعل كل رجل صحيح العقل والجسم اهلاً للوظائف
في الدولة واهلاً للانتخاب

التساهل قوَّض عرش التعصب وبدَّد حجاقل الجور والعسف الدينية
التساهل قال للكنيسة انت سلطنة وقال للانسان ايضاً انت
بذاتك سلطان وكل له حدود واينما وجدت الحدود كانت الحقوق واصبح
الامر خارجاً عنها ظلاً والانهاء جوراً

التساهل هو اللين والرفق والمسامحة وهو الحلم والسلام والحكمة
التساهل يحسم الاختلاف ويمهد سبل الائتلاف
التساهل يزيد الانسان غبطة وسعادة ونجاحاً في الحياة الدنيا ولا
يضره في الآخرة

التساهل هو الطريق الوحيد الذي من تحته تجري الانهار وعن
يمينه ويساره الاشجار . طريق يدر لبناً وعسلاً . طريق مستوٍ مستقيم لا

يميل بنا عن روض السماء

التساهل هو الدواء لكل داء ادبي او ديني او سياسي او علمي
التساهل اصيل لا تنكره التوراة ولا الانجيل ولا القرآن ولتأكيد
ذلك نذكر بعض الايات الانجيلية والقرآنية

١١ من لطمك على خدك الايمن فحول له الايسر ومن اراد ان
يخاضمك ويأخذ ثوبك فدع له رداءك ايضاً ومن سخرك ميلاً فسر
معه اثنين (متى ٦٥ و ٤٠ و ٤١) ان الله لا يجابي بالوجوه فكل رجل
من اي امة كان يصنع الخير ويكره الشر فهو مقبول عند الله « بطرس »
افعلوا بالغير ما تريدون ان يفعله الغير بكم او كما قالها كنفوشيوس
الذي عاش قبل المسيح باربعائة سنة ١١ لا نفعلوا بالغير مالا تريدون
ان يفعله الغير بكم ، ، وهذه الآية هي منزلة . هذه الآية الذهبية
الفلسفية هي كل الدين وكل الادب وكل الشريعة وكل العدل وكل
الفضيلة

ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله
واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا
هم يحزنون (سورة البقرة)

من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون (سورة هود)

من اسلم وجهه لله وهو محسن . ما قال وهو ماروني او ارثوذكسي

او مسيحي او يهودي او محمدي . قال من اسلم وجهه لله وهو محسن فله
 اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . ما اجل هذه الآية
 وما اشرف تلك الآية الذهبية التي مر ذكرها ان هاتين الآيتين
 عظيمتان الواحدة منهما من الانجيل والثانية من القرآن . انهما منزلتان
 ذهبيتان فاسفيتان . اني ابيعكم كل الكتب المقدسة بهاتين الآيتين
 ادفع بالتي هي احسن السيئة (سورة المؤمنين) اليس هذا ضرباً
 من التساهل

لا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن (سورة العنكبوت)
 ايشتم من هذه الآية رائحة التعصب

التساهل اذن هو الناموس وهو الطريق وهو النور وهو معطي
 الحق وهو الحياة وهو روح الله . هو اول نجاح العمران وآخره هو
 الالف وهو الياء

التساهل هو الباب ومن يدخل فيه لا يهلك فلندخل اذاً
 فلندخل ا فلندخل ا ا فلندخل ا ا ا



المقالات

وصية فواد باشا السياسية^(١)

قيل ان دخول الحقيقة قصور الملوك لمن اصعب الامور . وهي حقيقة جديرة بالنظر . فلو تأملها الساسة العثمانيون والمصلحون لكانوا يقلعون عن مخاطبة الحاكم في اصلاح شؤون الدولة . فالحاكم لا يصلح . الحاكم يحكم . وعلى المحكومين اذا كان النير ثقيلاً ان يخلعوه وينذوه . على المحكومين اذا كان الحكم ظالماً ان يصلحوه او يابوه .

فالحاكم الظالم مظلوم مثل رعيته وكفاه متاعب الحكم وعذابه متى بدأ النير ينقلقل على رقاب العباد . لو كنت انت الحاكم ايها القارئ المظلوم وجاءك وزيرك ذات يوم يقول : قد تخلع النير ونفكك يامولاي فماذا تقول له اذا كنت لا تستطيع اصطناع او ابتياع نير جديد اتأمره بان ينزع النير الخلع او يصلحه ؟ لا فانك تقول له . اصلحه وثبته في مكانه . وهذا هو الاصلاح الذي يباشره الملوك والسلطين اذا كان يرجى منهم اصلاح وجدير بنا ان نذكر ان الاصلاحات التي جرت في الدول الاجنبية لم تكن الا نتيجة القسوة التي استخدمها الشعب نحو حاكمه . والشعب لا يلتجئ

(١) ترجمها الى العربية جميل بك مملوف وطبعت في مطبعة المناظر

الى هذه الوسيلة الفعالة الا اذا افاق من سباته وتنبه الى حقوقه وتهذب شعوره نوعاً . بدل ان نوجه الكلام في وصيتنا السياسية اذاً الى الحاكم لنعلمه بان النير تخاع ويقضي اصلاحه - بدل ان نبسط الكلام الى السلطان في كيفية تأييد وتعزيز دولة استبدادية — كان الاجدر بنا ان نبسطه الى الشعب المظلوم فنريه بعض اسباب الظلم التي تورث البلاء والشقاء . ونهديه الى بعض الوسائل الفعالة التي تزيل هذه الاسباب

فلو وجه فؤاد باشا خطابه الى الامة بدل ان يوجهه الى حاكمها — لو وجهه الى المظلوم بدل الظالم — لكان افاد حيث اجاد . لان رأي من يطاع يؤثر في الشعب الجاهل اكثر من رأي من لا يطاع . والافراد المستنيرين يشقون بكلام وزير فقته الحوادث وانارت العلوم فؤاده . لا سيما وفي هذه الوصية كلمته السياسية الاخيرة وكلمة السياسي الاخيرة قلما تشوبها السياسة . وقد ادرك هو ذلك اذ قال « ان الصوت الخارج من القبر لا يكون كاذباً » على انه ان لم يكن كاذباً فقد يكون مخطئاً . وقداسة الضريح لا تمنعنا من ان نشير الى هذا الخطأ . نشير اليه مع اجلنا صاحب الوصية واعتبارنا وصيته كمجموعة آراء سياسية فيها الغث وفيها السمين . فاننا نحترم بعض السياسيين ولكننا لانأمن احداً منهم . اما الوصية اجمالاً ففيها دليل ناصع على اختبار صاحبها الواسع وحكمته وعلى تعمقه في درس ما دق وخفي من الامور السياسية .

وفيهما ايضاً من الاراء السديدة والحكم البليغة ما يسرو يدهش
المتفلسفين واليك بشيء منها :

« ان ترقيات جيراننا السريعة وتأخرنا الناتج عن اغلاط اجدادنا
الغير مقصودة قد اوقعنا الآن في مهلكة عظيمة لا يمكن الخلاص من
عاقبتها الوخيمة الاّ بقطع كل علاقة مع حالتنا السابقة والعمل على
تجديد قوى الدولة بالوسائل العصرية الحديثة . »

وكيف يتسنى للفرد او للامة الانسلاخ عن الماضي . انها لاحدى
طرق الاصلاح ولكنها ليست بالاقرب والاسهل . بل هي نتيجة لها
مقدمات . وذروة ذات عقبات . فالانسلاخ عن الماضي ليس بامر
سهل بل وغالباً مستحيل . واما التخلص من « اغلاط اجدادنا الغير
مقصودة » فتلك مسألة اخرى ومن هذه الاغلاط غلطة مدنية عظيمة
بل خرافة سياسية وخيمة لا نظنها تسلط الى الابد على عقول الناس
والامم . فان العلم يزعمها وان كانت متأصلة في الاجيال . والزمان
يهددها وان كانت راسخة كالجبال . ونريد بهذه الغلطة بل بهذه الخرافة
الحكومة الملكية حيث الامة ومعظمها من الفقراء والبائسين تلزم
بمعاش فرد عظيم فيها لا يتعيش قط في حياته فترضاه عليها ملكاً
وتعدله الصروح والقصور وتحيطه بالحجاب والحرس وتتفق عليه
(ناهيك عن ذريته وحواشيها) ما فوق مئة او مئتي الف ذهباً كل
عام . ومع ذلك فصاحب التاج والصولجان اليوم قلما ينفع الامة (الف

سلام على ملوك الزمن القديم) واما في زماننا فهذا الفرد العظيم يكون
اما خيالاً كملك الانكليز واما مقلقاً كإمبراطور المانيا واما ظالماً ك.....
ولكنهم كلهم يظلمون متى استطاعوا الى الظلم سبيلاً فالحكومة الملكية
غاطلة من اغلاط الاجداد لا بد ان يصلحها العلم والزمان في كل مكان .
وهناك غاطات اخرى ذكر صاحب الوصية بعضها . فالماضي من هذا
القبيل يا سيادي لا يتسلط الى الابد على المستقبل . والتقاليد لا تستعبد
الامم الى الابد . فان القوى الكامنة في المستقبل الغير المحدود لا تقوى
عليها سلطة محدودة هي ابنة اربعمائة او الف عام . بل من المستحيل ان
تخضع الابدية لبضع ساعات زائلة ونسبة القرن الى الابدية كنسبة
الساعة الى الالف عام . ففي المستقبل اذاً دول جديدة ورجال ومن
وراء المستقبل ينظر الله بعين واحدة الى ذوي الحارث وذوي النيجان
اما الترقيات الحديثة التي يروم فواد باشا ادخالها الى الدولة فانها
في رايها لا تكفي لتعزيزها واصلاح شئونها . لان السكك الحديدية
والتلغرافات والتلفونات والقوات الكهربائية والبحارية كافة تزيد الامة
قوة ولكنها لا تزيدها عقلاً . تزيد الملك مناعة ولكنها لا تزيده علماً
والامة اليوم افقر الى نور العلم الصحيح منها الى نور الكهرباء . هي احوج
الى التهذيب منها الى السلاح ولعمري الحق ان الامة المهذبة لامضى سلاحاً
في يد الدولة . نحن الان افقر الى مدارس راقية وطنية منا الى السكك
الحديدية . واما اذا وضع حجر زاوية هذه المدرسة عند حدّ خطوط

« السكة » فلا بأس بالاثنين . واذا كان ذوو الامر يعاملوننا مثلما كان
 احد الامراء الاشحاء يعامل ذويہ فيقول لهم : اليوم تاكلون اما لحمًا واما
 عنبًا اخناروا احد الاثنين فجوابنا حاضر » امسكوا علينا البخار والكهرباء
 الان وانسوا لنا المدارس الوطنية . دعونا نساfer كما كان يسافر اجدادنا
 ولو فترة اخرى من الزمن . حكيم على حمار خير من حمار في السكة »
 لنعد الان الى الوصية فقد جاء فيها : « ولزيادة الايضاح اقول ان
 دولتكم العلمية اذا لم يكن لها قوة انكثرا البحرية وقوة فرنسا العلمية وقوة
 روسيا العسكرية فلا يمكن سلامتها »

فقوة فرنسا العلمية تكون لنا في مستقبل الزمن اذا تأسست في
 المماكة اليوم المدارس العمومية الوطنية المجانية الاجبارية وامتنع فيها
 تعاليم الاديان لتخلص رويداً رويداً من التعصب الديني الذميمة الذي
 لم يزل ينخر في عظام العظام والمستنيرين منا وتأسس من الجامعات الدينية
 المتعددة جامعة وطنية عثمانية واحدة عندئذ يصير لنا وطن ننتمي اليه
 وقدم من العلم قوة تساعدنا على ادخال الترقيات الحديثة الى بلادنا
 بواسطة شركات وطنية لا شركات اجنبية . فتعزز اذ ذاك الدولة مادياً
 وادبياً ونتمكن قليلاً قليلاً من مساواة الروسية بجنديتها وانكثرا بمحريتها
 قلنا ان التعصب الديني الذميمة لم يزل ينخر في عظام العظام
 والمستنيرين من العثمانيين واليك برهاناً على ذلك من نفس هذه الوصية .
 فان صاحبها على ما هو عليه من سعة الاخبار وغزارة العلم ورجاحة

العقل يظل متمسكاً بما يدعيه « اغلاط اجدادنا الغير مقصودة » وينسى
مراراً تلك النفس الراقية فيه . فترينا نفسه الفطرية ما يحاول ان يخفيه .
فقد جاء في كلامه عن الدين الاسلامي والدين المسيحي (وليته لم يطرق
هذا الباب) ما يلي :

« ومهما بلغ عدد الزاعمين بان الدين الاسلامي هو الحاجز دون ترقى
هيئتنا الاجتماعية فانهم جميعهم في خطأ عظيم وضلال مبين . . .
فالدين الاسلامي لتجرده عن قواعد سرّ الثالوث والعصمة قد رافق
مجرى الترقيات الكونية »

ولسنا نحن من الزاعمين بان الدين الاسلامي هو الحاجز دون ترقى
الامة ولكننا من الزاعمين بان السفسطة تستولي حتى على عقول الوزراء
والشعوذة ابدأ تستهويهم . فاذا كان سرّ الثالوث يؤخر في ترقى الامة
ويضر في صالح الحكومة وجب ان تكون حكومتنا العثمانية ارقى بدرجات
من الحكومات المسيحية لتجرد دينها الرسمي عن هذه الاسرار . واذا
كان الدين الاسلامي قد رافق مجرى الترقيات الكونية كما يزعم
صاحب الوصية فلم لا نرى لهذه الترقيات اثرأ في دوائنا الماية ؟ لا
والله فاننا نحترم بعض السياسيين ولكننا لا نأمن احداً منهم . فانهم
دائماً يؤثرون الحقيقة الوقتية الزائلة على الحقيقة الدائمة الابدية . واذا
كان الفرق بين الاثنين غير باد للقارىء اللبيب فبكلمة ايسر نقول
ان السياسي يستخرج دائماً من ظروف الاحوال شيئاً من الحكمة

السطحية ويدمغها بدمغة الحقيقة السامية . ولولا ذلك لخلت اقوال فواد باشا من التعصب والتناقض . وهل ممكن ان نتوحد كلمتنا ونتحدا عناصر الدولة المختلفة اذا كان وزراؤنا يتعرضون لغير داع ويتعصبون ؟ خذ لك مثالا آخر من هذا التفرض والتحامل . فان صاحب الوصية يشارك الفلاسفة في ذم الاكليروس ولكنه يبتعد عنهم مندداً حينما يتعرضون للدين الاسلامي . امعن النظر فيما يلي :

ويجب على الباب العالي ان لا يغمض الطرف عن المساعي التي ستبذل في سبيل اتحاد كنيسة الارمن والاروام وان يساعد جهده على انتشار المعتقدات الفلسفية بين التبعة المسيحية لانها ترفع عن عائق بني البشر نفوذ الاكليروس «

واما التبعة الاسلامية فهي بغنى عن مثل هذه المعتقدات ! نعوذ برب الناس من شر المنطق والقياس . فاذا كانت المعتقدات الفلسفية تنفع البشر فلِمَ يتنى نشرها بين المسيحيين دون المسلمين ؟ لا والله لا . اننا نذكر من المصلحين العثمانيين من كانت نواياه انظف وانزه من نوايا فواد باشا . فهو ضمناً يود لو ازال الفلاسفة الدين المسيحي . على ان الاعتقادات الفلسفية اما ان تكون مضرّة بالاديان واما ان تكون نافعة فاذا كانت مضرّة فالدين المسيحي لا يستحقها وحده واذا كانت نافعة فلا يجوز ان يحرم منها الدين الاسلامي . ارأيت كيف ان الاقوال تسقط الرجال هل اتضح لك ان بعض السياسيين لا

يستحقون النعوت الشريفة التي ينعتهم بها الشعب الغافل . نحن نعلم
 وكل عاقل يعلم ما اللاكيروس بل لرجال الدين على الاطلاق من
 النفوذ السيء على الامة ولكننا لا نقبل ان يقال لنا ذلك على سبيل
 التعصب من سياسي يود اذلالنا . فاذا شاركنا اخواننا المسلمون في
 انتقاد اللاكيروس فليذكروا دام فضلهم بان البطريك والامام صنوان
 وان الشيخ والكاهن اخوان . والسلام



تركيا الجديدة وحقوق الانسان^(١)

الكتاب النفيس هو الذي تشعر وانت تطالعه بان نفس الكاتب
 تنفس في سطورہ وخلاها . هو الكاتب الذي لا تجد في صفحة من
 صفحاته شيئاً من جرائم القنوط . هو الكاتب الذي يجري دم الحياة
 الراقية في كلماته . ويشع نور الاخلاص من سطورہ . وتوفر فيه
 المادة التي تغذي النفس فتعش فيها الامل وتحيي منها العزيمة والارادة .
 هو الكاتب الذي يولده العلم مقروناً مع الاختبار والحماسة مقرونة مع
 التفكير والجرأة الادبية مقرونة مع الحكمة . بل هو الكتاب الذي
 تجلى فيه النفس البشرية والذكاء البشري والصناعة الكتابية في ارقى
 واجمل صفاتها وان لم يكن كتاب صدقي جميل افندي معلوف من
 هذه الطبقة العليا فهو من اعلى طبقة دونها .

ولعمري ان الكتاب الذي ينبه العثمانيين في هذه الايام الى ان
 الامة العثمانية في بداية ثورة عظيمة . وان الثورة السلمية لا تغني عن
 الثورة العلمية شيئاً وان التفرنج الحقيقي هو تمول لا تفرنج . وان التمدن
 كالهواء والنور مشاع لا حجة للافرنج فيه . وان مدارسنا الاكليريكية
 والسلطانية هي المستنقعات في ارض الحرية العثمانية الجديدة .

(١) تركيا الجديدة وحقوق الانسان تأليف جميل بك معلوف — طبع

في مطبعة المناظر بسان بولو برازيل

وان الحكومة الدستورية ومجلس الامة لا يسلمان من الخطران لم تصلح
 حالة العثمانيين الاجتماعية باصلاح العائلة وحالتهم الادبية باصلاح
 المدارس . وان من الخطاء ان تضع حجراً واحداً من البناء الجديد قبل
 ان يسقط البناء القديم باسره . وان استناد الشرقيين على الدين في
 احوالهم العالمية يقضي على مستقبلهم السياسي والاجتماعي والادبي وان
 الحرية متى حلت ارضاً لا تسمح ببقاء نصف اهلها عبيداً بينما النصف
 الآخر احرار . وان الحكومة التي تستعبد رعيته يسلط الله عليها
 حكومة اقوى منها فتستعبد لها . (وما ظالم الا وبيلي باظلم) وان
 الثورة التي لنفع حقاً شعوب الارض هي التي يقوم بها المصلحون
 على المبادئ الفاسدة التي لا يقوم بها السياسيون على الحكومة -
 الكتاب الذي يصدع بمثل هذه الحقائق هو حري بالاعتبار .
 الكتاب الذي فيه مثل هذه المنبهات والمقويات لامة دوختها المظالم
 السياسية وخررتها الخرافات الدينية هو حقاً جدير بان يطالعه كل
 عثماني .

على ان المؤلف حباً بوطنه يفادي في بعض المواطن بحكمته .
 فقد يطلق العنان لحماسته في مضمار ضيق فيضطر وقد بدت له الهاوية
 ان يقف غير موفق دفعة واحدة . وهذا هو السبب فيما جاء في
 بعض الفصول من تزعزع الرأي والتضعضع . فاننا لا نستصوب
 البحث الآن فيما قد يعود على الامة وهي لم تكند ثقف على رجليها

بالنكسة والبلاء . اذ ما الفائدة اليوم من البحث في استقلال الولايات
 مثلاً والحكومة الرئيسية لم تخلص بعد من سيطرة دول اوروبا
 ومداخلاتها . وما الفائدة من البحث في اقفال المدارس الاجنبية
 وابطال الامتيازات الاوروبية ونحن لم نزل عاجزين . وان تحرّض
 الشعب على مثل هذه الامور يحدث في البلاد من القلاقل والفتن ما
 قد يلحق طفل الحرية منها لظمة واحدة فتقتله ونقضي علينا بالرضوخ
 لنيرواروبا . واما نشر ما يدعوه صديقي جميل افندي الديانة الوطنية
 اي ديانة حب الوطن فهذا وحده يخلصنا رويداً رويداً من النفوذ
 الاجنبي من هذه المدارس الاكليريكية وهذه الامتيازات الاوروبية .
 فمدارس (آبائنا) اليسوعيين مثلاً تضطر ان تقفل ابوابها متى تأسست
 ازاءها مدارس وطنية كاملة العدة مستوفية الشروط

والبوسطات الاوروبية تمنح ماموريتها فرصة على الدوام متى رأت
 ان دخلها لا يقوم بنفقاتهم . والامتيازات الاجنبية تسقط دون ان
 نسقط او نقوم عليها متى نبغ فينا رجال يستطيعون ان يقوموا باعمال
 اصحاب هذه الامتيازات حق القيام وكل ذلك ممكن يا اسيادي متى
 اصلحت داخلية الحكومة وظهرت فيها نتيجة اعمال الاختصاصيين
 الاوروبيين المشغولين فيها الان . كل ذلك ممكن متى بدأت الحكومة
 تؤثر المقتدرين والمتمولين والنابعين من رعايتها على امثالهم من الاجانب
 حينما تنمو في الامة عاطفة الوطنية يقوم الوطنيون اذاً بما تطلبه

حياتنا الجديدة وامتنا الحرة من المشاريع الخطيرة وبكلمة اخرى حينما
تنشر فيها ديانة حب الوطن الجامعة المقدسة يضعف نفوذ الاجانب
ويتلاشى وتسقط الامتيازات الاجنبية كما سقطت دولتنا الاستبدادية
بطريقة هادئة سلبية

هذا ما احب ان استلفت اليه نظر صديقي المؤلف لانني رايت
في مثل هذه المواقف يفادي بحكمته حباً بوطنه . واعمري هي ضحية
ثينة في كل زمان ومكان وفي اي سبيل كان



فاتحہ مبارکت

جاء في النطق الشاهاني كما دعتہ الصحافة • او خطاب العرش
 كما يدعى عند الانكاي • او خطاب الحاكم والوزراء كما هي الحقيقة ان
 السبب في فض مجلس النواب الاول هو ان الامة العثمانية لم تكن
 اذ ذاك اهلاً لحكومة نيابية • وهو عذر سياسي لا عذر حقيقي • وان
 روح مجلسنا الاول لتتميز غيظاً لدى استماعها هذا الكلام • وكاننا
 بها تقول — الكذب محذور في الدين ولكنه مباح في السياسة •
 وكيف لا تكون الامة اهلاً لحكومة نيابية ومفاوضات المجلس في
 ذاك الحين ادهشت حتى الاوروبيين ! فضلاً عن ان الحاكم بامرہ
 يستطيع ان يفسد ويستبد • بل الحاكم المطلق العادل الحاكم المحب
 رعيته العامل لخير امته يستطيع ان يقلب حكومته الاستبدادية الى
 حكومة نيابية في ليلة واحدة اذا شاءت جلالته • ولا ينجم عن مثل
 هذا الانقلاب السريع ما يضر بالامة او يقلقها • لان من اطاع
 مليكته وهو ظالم يعبدہ لا شك وهو عادل • وما حدث في الامة
 اليابانية وحكومتها يؤيد من هذا القليل مجتناً • واننا لنكتفي بهذه
 الاشارة الى ما جاء في الخطاب عن عدم اهلية الامة • لان ما مضى
 قد مضى ومجلس النواب قد عاد ليحيا ان شاء الى ما يشاء الله

ولكن في الخطاب مأخذ آخر للانتقاد . وعلى النواب والصحافيين ان يتقظوا لمثل هذه التمويهات السياسية وليذكروا دام فضلهم بان حكومتنا النياية اليوم لم تنزل مكثفة بظل حكومتنا الامس المظلم الكثيف . والى ان تخرج من تحت هذا الظل وتنفض عنها غبار السياسة القديمة سيبقى التمويه سائداً بين العرش والنواب او بين الحكومة والامة . وانها والله لفاتحة غير حميدة ونحن في فجر حياة جديدة . لان الحكومة التي تخرج من باب العسف والظلم فتدخل توءاً باب التمويه والمواربة لا تكون قد حققت امال الامة والوطن . اذا ماذا عسى ان يراد في ما جاء في خطاب العرش من ان السبب في اعادة مجلس النواب هو ان الامة — والسعي في الثلاثين سنة الاخيرة لنشر المعارف كان متواصلاً — اصبحت الآن اهلاً لان تحكم نفسها بنفسها . فهل يراد بكلام العرش ان الفضل للحكومة في نشر المعارف والعلوم في الامة ؟ او ان بين الوزراء من يحسن المجون ويمجد حتى في هذا الوقت فرصة للبداعة

ومن يجهل ان الحكومة الماضية سعت سعياً جميلاً لنشر العلوم والمعارف بواسطة المراقبة ؟ ومن يفكر بان الجاسوسية كانت لها يد طويلة في زرع بذور الحرية ومن لم يعلم بان نور الحق والمساواة كان ينبعث على المآيين من قعر البوسفور . وان اشعة الدستور كانت تنعكس على العرش من منى الاحرار ومن نجومهم الآفلة ؟ اجل ان حكومتنا

في الامس كانت تروض الامة وتؤدبها لتكون اهلاً لحكومة نيابية .
فالمراقبة والجانسوسية استاذا الامة الماهران والبوسفور والمنفى هما
الفلق والقضيب . والحمد لله قد تحررنا بعد ان تكسرت رؤوسنا
وارجلنا .

ان حكومتنا النيابية اذاً هي من مكارم حكومتنا الاستبدادية .
شيء والله جميل — فمن يقول الآن ان العوسج لا يثمر ثمرًا طيبًا ؟ بل
ان دستورنا هو من بنات مكارم « مالك رقاب العباد » لا نتيجة سعي
الاحرار والجند لرفع النير عن رقاب العباد . فان كان كذلك فلم لم
يتكرموا به قبل ان جمع نيازي جنوده واستل انور حسامه ؟

لا يا ايها الاخوان لا يحق ان يقال ذلك في هذا الزمان . واعلموا
اننا في زمن لا يرد فيه تيار العلم مهما اشتدت المراقبة ولا يطفأ فيه
مصباح الحرية مهما تعاظم الظلم والاستبداد . وان ما جاءنا من امواج
هذا التيار ومن نور هذا المصباح فمن روح الزمان جاء لا من ارباب
العرش والسيطان . وقد تحررت الامة العثمانية الان وحبطت مساعي من
حاول دفع هذا التيار العظيم واطفاء هذا المصباح الكريم . ومن
المغالطات ان ظلم الحكومة الماضية واضطهادها الاحرار وضغطها على
المطبوعات الخ تدعى كلها في خطاب العرش « السعي لنشر المعارف »
فاذا كانت الصحافة لا تحتج على مثل هذا الادعاء والنواب لا يتحذرون
من مثل هذا التمويه فحالتنا في نور الدستور والحرية لم تزل كما كانت في

ظلام الظلم والفساد

اشرنا في بدء كلامنا الى ان النطق الشاهاني كتب بمؤازرة الوزراء او على الاقل بمؤازرة الصدر الاعظم وكل خبير في شؤون الحكومات الملكية يعلم ان خطاب الملك لا يكون من قلم واحد ورأى واحد بل هو غالباً نتيجة جاسات عديدة ومفاوضات طويلة بين الحاكم ووزرائه . ولو فرضنا ان الملك يستقل في عمله هذا كما يفعل امبراطور المانيا مثلاً فلا بد من ان يطلع على كلامه الوزير الاكبر قبل ان يلفظه فيغير وينقح فيه ليوافق الاحوال . وخطاب العرش الى مجلس نواب الامة العثمانية لا يستثنى من هذه القاعدة . وفي الوزراء من هو من جمعية الاتحاد والترقي على ما نغان او فيهم على الاقل من اذا اصدر منشوراً باسم الجمعية يردفه بلفظة « المقدسة » فهل بدأت زعماء الاحزاب بالمجاملة والمخاتلة يا تري . لا سمح الله . ولكن العبارة هذه اي « السعي في نشر المعارف » هي مقصودة لاشك والمقصود فيها ايها الاخوان التمويه والمواربة . وانصار جمعية الاتحاد والترقي في مجلس الوكلاء يعرفون ذلك ويغضون الطرف ساكتين . وما ضرهم لو اعطوا الان كل ذي فضل فضله . وتحروا الصدق في اول خطاب من خطب العرش لمجلس الامة . ما ضرهم لو اهملوا في الاقل ذكر امر لا يستطيع ان يوارب احد فيه دون ان يشعر بنفور في نفسه من نفسه اذا لم تقل باستياء الناس طراً

ومجلس النواب لم يستحسن هذا التمويه على ما ظهر لنا . وكنا

نود لو عبر عن استيائه بطريقة ايجابية لا سلبية . فقد انبأنا البرقيات
انه عند الفراغ من تلاوة الخطاب لبث النواب صامتين ولم يفه احد
منهم بذلك الدعاء المعروف الذي طالما رددته الامة في الزمن الماضي .
وهذا على ما نظن هو هو جواب النواب على مواربة العرش وتمويهاته .
على اننا كنا نود لو فاه احد الاعضاء على الاثر بكلمة احتجاج وجيزة .
ولكن اذا اظهر المجلس استيائه بطريقة سلبية فعلى الصحافة وهي خير
صلة بين المجلس والامة ان تظهر ذلك بطريقة ايجابية . على الصحافة ان
تبرهن الان بانها متنبهة متيقظة . وان من حقوقها ان تطالب المجلس
والعرش بحقوق الامة . وان ترد الفضل في نشر المعارف والعلوم الى
مكانه وذويه



العفو العالي

جاء في الارادة السنية التي قرأها علي جواد باشكاتب المايين .
 في مجلس النواب ان « قد صدر العفو العالي عن العساكر الذين اجتمعوا
 في هذا النهار (يوم سقوط وزارة الاتحاديين) فلا يسألون عما فعلوا »
 وقد علمت الامة جمعاء ان من نتائج اجتماع بل هياج العساكر المتمرده
 قتل ناظر العدلية وعضو من اعضاء مجلس الامة . فما معنى العفو ياترى
 وماذا عسى ان يكون وراء هذا التسامح الشاهاني الجميل
 ان الاعتداء على احد النواب . ناهيك عن قتله . يعد اعتداءً
 على المجلس كله بل على الحرية والدستور بل على الامة بأسرها .
 ولكن من يعفو عن انصار الجهل والتعصب اليوم وان عدوا بالالوف
 يعفو غداً عن انصار النور والحرية وان عدوا بمئات الالوف . اليس
 كذلك ؟ وان مراحم « جلالة مولانا » لأوسع من السماء . فاصدقاء
 الدستور واعدائهم — الاحرار والخونة كلهم — يقيمون في ظلها الظليل
 آمنين . أليس كذلك

ولكن الريب خلّة في بعض الناس . ولا غرو اذا وجد في
 المجلس من ارتاب بحسن زيات جلالة مولاه فقام يعترض على ما جاء
 في الارادة السنية فيما يختص باجتماع العساكر بوم قتل ناظم باشا

والامير محمد ارسلان . ولا فرق ان اصدر المرتابون احتجاجهم من المجلس او من المكان المختبئين فيه . فان مجلس النواب في مثل هذه الايام هو حيث يجتمع او بالحري حيث يجتنب النواب

ومن جميل اخلاق الشرقيين وبالاخص الاتراك ان الشدة وان انستهم واجباتهم المهمة لا تنسيهم فروض اللياقة والمجاملة فقد قرأنا في صحف الاخبار رسالة تعزية من الرئيس الجديد للمجلس الى والد فقيد الوطن والحرية . ورسالة أخرى على شكلها من الصدر الاعظم فقوات وهل هذا ياترى اهم ما توجهه عليهم الوطنية اليوم . هل هذا ما يتطلبه منهم الدستور ويفرضه عليهم الميثاق الذي اقسموه . انظروا الى الابد عبيد المجاملة والمصانعة . أفي مثل هذه الدفعة الكاذبة تسر الامة ويتعزى آل الفقيد . اما كان اجدر بالنواب ان يبعثوا الى المايين كلمة احتجاج على ما جاء في الارادة السنية فالمثل - ان العفو من شيم الكرام - لا يصح دائماً

غداً يهيج الجنود ثانية فيقتلون اخر من النواب فتصدر الارادة السنية بالعفو عن الفاتلين . وكلما قتل احد اعضاء المجلس يفر هارباً من يخاف على جلده ولا يخاف على شرفه ويمينه . فلا يمضي والحال هذه شهر واحد حتى تخلو كراسي النواب كلها فينعب فوقها ثانية غراب النقهر والظلم ويقهقه تحتها شيطان المكر والدهاء والخيانة . امثل هؤلاء النواب ينتصر الحرية ويتعزز الدستور ؟

في عهد لويس السادس عشر قبل انفجار بركات الثورة بسنة واحدة رفض البرلمان في باريس ان يصدق على قرض اقترحه ناظر المالية ليمونه سداً لعوز الملك والحكومة . فجاء في اليوم التالي لويس بذاته - واسر البرلمان ان يصدق على هذا القرض فابى ثانية وقام دسبريميل فاغلق الكلام لجلالته وصرح بحقوق البرلمان على الحكومة . فخرج الملك ووزيره محتملين غيظاً وبعد ايام جاء الضابط داغوست ومعه فريق من الجنود ويده امر بالقاء القبض على دسبريميل فدخل المجلس وقال - جئت بأمر الملك . فقابله الاعضاء ساكتين واجمين ثم قال وبما انني لا اعرف احدكم دسبريميل اطلب اليه ان يقف لان بيدي امراً . . . فقاطعه الاعضاء قائلين - كلنا هذا الرجل ولم يقف منهم احد فخرج داغوست وجنوده يؤمذ مثلاً خرج مولاه ووزير مولاه في اليوم السابق

فان كانت هذه وطنيتهم بل هذه حماستهم وجراتهم في امر يعد طفيفاً ماذا ياترى يفعلون لو قتل الجنود احد اخوانهم على باب المجلس . ايسمون العفو عن القاتلين ساكتين . ايكثفون بتعزية اقاربه ويؤجلون البريمينهم الى ان ينزل الخطر . أتهمن حرمة الدستور وكرامة مجلس الامة . ايعتد على الحرية وانصارها . ايهرق دم النواب على باب مجلس النواب ظلماً وعدواناً فيفر الجبناء من الاعضاء هاربين ويظل الباقيون منهم ساكتين . اليس الاعتداء

عَلَى أَحَدِهِمْ اِعْتِدَاءٌ عَلَيْهِمْ اَجْمَعِينَ .

امر لويس السادس عشر بنفي دسبرينيل احد اعضاء البرلمان فاجابه البرلمان بصوت حي - كلنا هذا الرجل . غمست حراب فريق من العسكر بدم الامير محمد ارسلان فعفى الساطان عن الجانبين وسكت النواب عن عفو الساطان . وكافي بهم يشكرون الله عَلَى سلامة دمائهم الكريمة ! وهذا ايها الاخوان الفرق بين الشرقيين اليوم والغربيين في مجالسهم النيابية وتجاه ملوكهم

ان الحراب التي صرعت الامير محمد ارسلان حاولت صرع الحرية والدستور . بل هي حراب اشربت سم الخيانة من اعلى مورد في الحكومة فاذكروا هذا ايها الناس ولا تنسوه ايها النواب .



الحرية وحدها لا توحدنا

اني ممن يقولون بالطريقة البطيئة الثابتة في اصلاح الامة والناس .
 اني ممن يرتأون ان لا خلاص للشعوب من الجهل والجمود والخور الآ
 بالتهذيب والتربية . وما الثورة عندي سوى امثلة صغيرة في تهذيب
 النفس وتنقيف الاخلاق . لاننا اذا تعلمنا ان نشور على المستبدين والظالمين
 من اسيادنا نتعلم ان نشور حتى على انفسنا متى كنا من هولاء الظالمين
 والمستبدين . وهذا العمري اهم من ذاك . ولكننا لا نحسن نحن
 السوريين لا هذا ولا ذاك . نحن قوم تعددت في بلادنا المدارس
 الاجنبية وكثرت فينا التقايد والادعاء . كنا بالامس في مقدمة الشعوب
 بالرضوخ للضيم والاستسلام للهوان . وصرنا اليوم في مقدمة طائفة من
 الناس لا يحركون في سبيل الامة سوى القصبة والالسان

ومتى كثر في الامة المرشدون والناصحون المتربعون بدست السيادة
 بشر تلك الامة بالهلاك . بدل ان تنصحي ساعدي . بدل ان ترشدني
 سرامي . اذا ما الفرق يا ترى بين منافق يناهض حاكماً مستبداً ولص
 يندد باللصوص والقتلة ؟ ما الفرق يا ترى بين متعصب يقول ما
 اجملك وما اسماءك ايها الحرية وبين شيطان يتغنى بمدح الملائكة ؟
 ان الاثنين عندي سواء

على انني اجد بوناً شاسعاً بين عالم لا يعلم ان العلم انما وجد لنفع
الناس لا لاثارة الفتن في الناس . ورجل عاش جاهلاً ومات جاهلاً
وكان من آل الفضل في الناس . واني والله لافضل هذا الجاهل الصادق
على ذاك العالم المنافق . اني لأؤثر النفس الصافية الساذجة على نفس
متفككة لا تعرف من سبل الحياة الا تلك الموحلة المظنة ولا من امانى
الحياة الا تلك التي يجبل بها دود الارض وتغذى من سم الافاعي
اجل يا اخي ان جملاً صالحاً او اسكافاً حراً صادقاً خيراً من الامراء
والروساء والعلماء الذين لا يعرفون من الحق والعدل ومن الخير والاحسان
ومن الاخلاص والفضل الا اسماءها

ان حاجتنا الى التهذيب اليوم لاشد منها الى السكك الحديدية
والتلفونات . ان حاجتنا الى العلم الصحيح الذي يهذب الانفس ويرقي
العقول ويشقف الاخلاق لاشد منها الى العلوم اللغوية والفقهية
واللاهوتية والخنفسارية . والتهذيب الصحيح ينبغي ان يعم عناصر الامة
باسرها على السواء ليأتي بفائدة تذكر للامة . وعندي ان اشد الويل
والبلاء انما هو في بيت يعيش تحت سقفه الجاهل والعالم معاً . ان وطننا
بهذا البيت ايها الاخوان . وعناصر الامة فيه كافر توافرت اذواقهم
واخلاقهم وتعددت صبغاتهم القومية والدينية وتباينت فيهم درجات
المدارك والعلوم . فاذا ارتقى عنصر من عناصر الامة دون سواء يلتجئ
غالباً الى المهاجرة اذا ظلت العناصر المنحطة واقفة في طريق ترقيه كالسد

في وجه المياه . اما الاية . ورب فئة صغيرة غلبت فئة كبيرة . فالتاريخ لا يشهد على صحتها الا مرة في الالف . لان الطبيعة لا تسمح ان تكون المعجزات فيها مبتذلة . والغالب المبتذل هو ان الاكثرية ان كانت في المجالس النيابية او في الطبيعة تغلب على الاقلية

على حكومتنا الدستورية اذاً ان تتبعه الى هذا الامر الخطير ان كانت ترجو ان ترقى الامة وثمناً . على حكومتنا ان تبشر تأسيس المدارس الوطنية العمومية الاجبارية المجانية المجردة عن كل صبغة دينية . وان كانت لا تبشر قريباً فلا ترج يا اخا الحماسة كبير خير من هذا الانقلاب ومن هذا الدستور ومن هذا المجلس النيابي .

اظنك تعلم ايها القارئ العزيز ان لا غاية لي من الكتابة والخطابة والتأليف سوى نشر المبادئ الحرة والتعاليم السديدة في الامة . وان من تجرد عن المآرب السياسية وعن الاغراض الشخصية المادية يرسل كلمته في الناس دون ان يراعي خاطر احد من الناس . منذ خمس سنوات عدت الى وطني من العالم الجديد وحتى الآن ما عرفت من الروساء المدنيين والدينيين الا من احب ان يعرفني او من جمعني به التقادير . قضيت هذه المدة كلها بعيداً عن الرئاسة والسياسة فبان لي ان في طاقة الانسان ان يعيش سعيداً دون ان يتزلف من السياسيين والامراء او عمال الحكومة والرؤساء . نعم عشت محروماً هذا الشرف العظيم فكانت همومي الادبية ومتاعي السياسية اقل

من سؤم سواي من الادباء .

عسى ان يعذر القراء مني هذه الكلمة الشخصية . فما قلتها الا لابني عليها قاعدة عمومية هي جديرة باعتبار كل من زاول صناعة الكتابة واحب ان ينفع الناس بعلمه وادبه . ان التقرب من العظام وبالاخص اصحاب السيادة منهم يفقد الكاتب مزية الحرية والاستقلال . هذه هي القاعدة العمومية التي قلت من اجلها كلمتي الشخصية . تكلمت عن نفسي وما كنت لافعل ذلك في غير هذه الاحوال لاؤكد لكم ايها الاخوان ان الاراء التي أبدتها والمبادئ التي اناادي بها انما هي ثمرة علم لا يعرف التفريق والتحزب ولا يفرق بين الجنسيات والاديان . احب ان اردد بعد هذا التمهيد كلمتي السابقة عن المدارس الوطنية واردفها بكلمة است باقل منها اهمية وهي « صيحة في وادان ذهبت اليوم مع الريح تذهب غداً بالاولتاد » ان الامة العثمانية لا تصير حقاً امة واحدة متحدة راقية الا اذا تأسست في البلاد المدارس الوطنية العثمانية المجانية الاجبارية وتلقن فيها العلوم ارباء المسلمين وابناء الدهر بين وابناء المسيحيين وابناء اليهود معاً بقي عليّ ان اقول كلمتي الاخرى . اننا لا نصير امة راقية حرة بكل معنى الكلمتين الا متى صار ادباء المسيحيين وادباء المسلمين يتباحثون في اي موضوع كان دينياً او سياسياً او اجتماعياً دون ان يشير ذلك في شعب الملتين خبار الجهل وسؤم التعصب . بل اذا كان لا يحتمل للمسلم ان ينتقد المسيحيين في شؤونهم العمومية

والاجتماعية ولا للمسيحي ان ينتقد المسلمين فلسنا والله بأمة واحدة وليس
 وطننا بذلك الوطن الشبيد الجامع الذي يعبد في هيكله كل ابنائه على
 اختلاف المذاهب والعناصر والجنسيات . بل اذا كنا لا نتجرد عن
 صبغائنا الدينية في شؤونا الوطنية والاجتماعية فريتنا ايها الناس كلمة
 مقولة ، واخواننا لفظة غير معقولة ، والمساواة عندنا قاعدة باطلة
 مردولة ،

نعم ياسيدي . اذا كان اخواننا المسلمون لا يساءلوننا في نشر
 التعاليم الحرة في الامة . اذا كانوا لا يؤيدون قولاً وفعلاً اراء اباء الحرية
 والدستور . اذا كانوا لا يرددون صدى احرار المغرب وعلمائه ومن
 ينحو اليوم في الشرق نحوهم من الاحرار الاصفياء والعلماء فعبتاً يحاول
 ابطال الدستور والحرية تجديد حياة الامة والمسلمون العنصر الاساسي
 في الامة . واما انتصار الجيش فلا مجد عظيم فيه ان لم يتبعه انتصار
 في العلم والتهذيب . لان الجيش وان دمر معاقل الحكومة الاستبدادية
 فنصره لا يزيل الجهل الذي أسست عليه تلك الحكومة . وما زال
 الجهل سائداً في الامة . سيان عندى ان كانت الحكومة فردية
 استبدادية او حرة نيابية . ان لم تباشر الحكومة في تدمير حصون
 الجهل اذا يعود الجهل فيدمر حصون الحكومة . ولا يتم لما ذلك الا
 في تأسيس المدارس العمومية الوطنية مجردة عن كل صبغة دينية حيث
 اولاد المسلمين والمسيحيين واليهود والدهرين يتلقنون كلهم العلوم على

استاذ مدني واحد وتحت سقف واحد ومن كتاب واحد وعلى طريقة
وطنية واحدة . وما هذه ببدعة انادي بها . فان مكتب الصناعة في
هذه المدينة أسس على هذه الطريقة الوطنية وحبذا لو احبته اليوم الحكومة
فيكون مثالا للمدارس العثمانية العمومية الاجبارية . وعبثاً نحاول توحيد
العناصر المتعددة في الامة اذا كان التعليم لا يوحد على هذه الطريقة
الوطنية الجامعة الحرة

جاست مرة في قهوة من قهاوي البحر انفرج على الناس يسبحون .
تأملتهم في تلك الحالة الطبيعية وقد تجردوا عما يميز البعض منهم عن
البعض وقلت في نفسي - اين المسلم الان واين اليهودي واين الكافر
واين المسيحي . رأيتهم يسبحون كلهم في بحر واحد تحت سماء واحدة
وهم لا يستنكفون من امواج تلعب حول قلوبهم كأنها قلب واحد
وتفصل اجسامهم كأنها كلها جسم واحد . فقلت في نفسي متى يا ترى
تصير عقولنا مرنة نشيطة قوية كاجسامنا متى تصير انفسنا كامواج هذا
البحر فلا تخضع الا لناموس واحد هو ناموس الله . او في الاقل متى
تصير متساهلة كابداننا فتسبح في بحر الاداب الواحد وتحت سماء العلوم
الواحدة دون تنافر ودون شقاق !

نظرت الى البحر وانا جالس في تلك القهوة فرأيت هناك المدرعات
الحربية الاوربية ومنها المدرعتان الفرنسيتان « لا فريته » و « فكتور
هوغو » فكرهت الإقامة في بلاد لم تزل تحتاج فيها الى مثل هذه

المظاهرات الكاذبة . وهل كنا نشاهد المدرعات الاوربية بصفة رسمية في بحرنا لو تأسست عندنا المدارس العمومية الوطنية منذ ثلاثين سنة . هل كانت تلطخ المذابح تاريخنا فتلحق بنا وبوطننا العار والشنار لو وُحِدَ منذ ثلاثين سنة التعليم فتمت في قلوب العثمانيين عاطفة وطنية شاملة وانتشر روح التساهل الديني في الامة ؟

لا يا اخوتي . انا لا احب ان ارى هذه المدرعات على شطوط بلادنا . انا لا احب ان يلتجئ احدء اصر الامة الى دولة اوروبية انا لا احب ان ارى « فكتور هوغو » في بحر بيروت بل احب ان اشاهد روح فكتور هوغو متجلية في ارواح ابناء بيروت . لا احب ان ارى « الحقيقة » على شواطئ سوريا بل احب ان اراها في قلوب ابناء سوريا . احب ان تحمينا المبادئ السديدة لا المدافع والمدرعات . احب ان يحمينا العلم الخالص من الغش والتعصب المجرد من كل مصلحة جنسية او دينية . احب ان يحمينا الاخاء العثماني والجنود العثماني والعلم العثماني



رجل الشعب

قد مضت السنة الاولى من عهد الدستور وما ولدت حرية اللبنانيين الا الكلام وماذا يا ترى يلد الكلام وبالاخص ما كان فارغاً او كاذباً او فاسداً مبرقشاً من الكلام . قد انقضت السنة الاولى من عهدنا الجديد ولم يظهر فينا رجل جريء حر صادق . رجل عزوم ثبت سكوت يعمل من اجل هذا الوطن عملاً واحداً صغيراً دون ان يستشير فيه كيسه او منصبه السياسي . دون ان يلتجئ الى القنصل . دون ان يستعين بكركي التي اصبح هيكلها في جمعية الاتحاد والترقي في بيروت . بكركي وبطير كها اليوم فيلسوف تركي يحسن العبادة والصلاة مثلاً يحسن العدل في السياسة والاحكام . ولكن هؤلاء اللبنانيين الذين يسجدون لشفيعتهم وهي في زي تركي اوروبي جديد وينادون في الجبل بالمحافظة على امتيازات لبنان هؤلاء يجذفون في قلوبهم اذا صلوا ويموهون وينافقون حينما سقطوا وحلوا . هؤلاء لا يستحقون بركتك يا صديقي البطريك . هؤلاء قوم مدغلون . والمدغل والمؤمن لا يجتمعان

وما قولك ايها الرفيق العزيز ! اتظننا نجد رجل الشعب بينهم .
انظن البحث عنه في هذا المكان مجدينا نفعاً . ألا تظننا نصرف زيتنا

سدي في مثل هذه الظلمات؟ احمل سراجك اذاً واتبعني .

من هيكل الحرية العثماني الى الهيكل اللبناني فرسخ او فرسخان .
 تعال اذاً علنا نفوز هنا بضالتنا المنشودة . ادخل وصرّح نظرك في هذا
 المعبد الجليل الذي شيده قبل الدستور البناؤون . وهوّلا البناؤون لا
 يتعشّتون الا كايروس كما تعلم على انهم لا يكرهون الثوب الكهنوتي
 الذي يلبسونه في دور الرئاسة دائماً وفي دور السياسة عند مسيس
 الحاجة . دولا الاحرار الكرام وفيهم من الشبان العالم والمصلح والحكيم
 وفيهم ايضاً من يحتاجون الى كثير من العلم والاصلاح والحكمة يعبدون
 الحرية فوق كل شيء ويفادون اليوم وغدا بكل لبنان من اجلها . فان
 كان فيهم من يستحق ان يكون زعيم الشعب الا تظنه يلبس الارجوان
 ويغطي اذنيه بقلنسوة من حرير اذ تبوأ غدا كرسي الزعامة . دعنا من
 المجاز . الا تظنه وان كان رجل الشعب اسماً يكون فعلاً رجل البنائين .
 هل انت من رأينا . اولا نثق بهؤلاء الشبان المصلحين ؟ تعال اذاً
 نطلب رجل الشعب بين شيوخ لبنان واعيانهم .

نحن الان في كنيسة الجامعة اللبنانية وفيها هيكل كبير في الصدر
 شفيهم « مار نظام » له المجد وهيكلان صغيران الى جانبيه للحرية
 والاخاء . وما قولك بهذا المجمع الجامع اللامع . هولاء هم اسيادنا
 اللبنانيون الصادقون . هولاء هم الوطنيون الطاهرون الذين يبيعون
 املاكهم كلها ليحافظوا ان اقتضى الامر على امتيازات لبنان . هولاء

هم الابطال الذين يشترون النظام الجليل الثمين بدمائهم ودماء اولادهم ونسائهم . ايربك قولنا ؟ الا ترى فيهم الامير والشيخ والوجيه والصحافي والكاهن و « الكرخجي » ؟ ومن من هولاء لا يبذل النفس والنفيس من اجل « مار نظام » العزيز ! من منهم لا يحمل « المارتيني » اذا اقتضى الامر دفاعاً عن وطنه وحباً بامتيازات وطنه ؟ الا تظن هذا « الكرخجي » يصلح ان يكون رجل الشعب وهو اقرب الناس الى الشعب واعرفهم به وانصفهم في معاملاته ؟ اولا تظن ان في هذا الخبر المفضل وهو اشد هم شغفاً بحب الشعب الذي يظن الربة في رأسه طوقاً مقدساً من سيدة حريصة . او هذا الامير

ما بالك تضحك ؟ الا ترى رجل الشعب بين هولاء الاسياد الغطاريف ؟ انظروهم كلهم مثل اخوانهم الذين يعبدون سيدة بكركي في هيكل الاتحاد والترقي ؟ - اتبعني اذاً .

هذه سراي الحكومة . تريد ان تدخل ! لا ! وانا من رايتك . لماذا نضيع وقتنا وزيتنا سدى ! اشعل السراج اذاً وتقدم .

أتخيفك هذه الظلمات . نحن الان في قري لبنان وقد خيم الليل والسكوت . أما هذا النور الضئيل الذي تشاهده في كل قرية فهو نور الجمعيات التي تضم اليها اليوم كل من استفاق مؤخراً من نومه وشفي قليلاً من مرضه - فهل تظننا نجد رجل الشعب فيها واعضاؤها ملكي الحالة التي وصفناها ؟ امش اذاً ولا تيأس قد يكون رجل الشعب

في حقوقي هذا الفلاح صاحب العباءة المرقعة . او قد يكون كامناً في
احشاء تلك الفلاحة التي سالت علينا . تباركت ثمرة بطنك ايها الاخت
الفلاحة وتبارك من يعرفها ويكرمها متى ظهرت في الناس لتقود وتهدي
الناس

الوداع ايها الرفيق فقد صرفنا بعض الوقت والزيت في البحث عن
رجل الشعب ولم نصرفه باطلاً

اما الان فقد مضى العام على عهد الحرية عندنا واللبنانيون
يجتمعون ويخطبون ويتباحثون ويتشاكسون وينادون - بماذا ؟ بلا شيء .
وينددون ويؤلفون الجمعيات والاحزاب والوفود . ويحملون العقيد
والمشكلات بالتمويه والمسايرة والوعود .

مضى عام على حريتنا ولم يمضِ معه شيء من خولنا ومصانعنا
ورخائنا من شقاقنا وادعاءنا وعبوديتنا . مضى العام الاول على الدستور
واسيادنا الاحرار هم اسيادنا بالامس والشعب هو ذات الشعب المفلوج
الضرير الذي قضى حياته في ظلمات الجهل والعذاب .

الشعب المفلوج الضرير ماذا تنفعه الحرية والنفس فيه صماء .
الشعب الضرير المفلوج ماذا يفيدته قولك له « انا من الشعب انا رجل
الشعب . » ان كنت من الشعب يا هذا فاسفي عليك . ان نفسك
مفلوجة ضريرة . وان كنت رجل الشعب بربك قل لنا كيف تعالج
الفالج وكيف تداوي العماء . فان كان عندك دواء نافع هاته . هاته

باسم الله • داو هذا الشعب بل هذه الامة • داوها ان شاءت ام لم
تشاء • داوها وان اضطرك ذلك الى تقييدها ليلة ونهاراً او سنة وسنتين
لتشفي • داوها بالسيف ان كنت نثاكد انها بالسيف تبرأ •

ان كنت رجل الشعب ايها الزعيم المحبوب • ان كنت واثقاً
ان العناية الالهية اخضعتك لتكون طيب هذه الامة فلا تنتظر من
الصحافة شهادتها ولا من الحكومة فرمانها • ولا تنتظر ريثا الناس
يسمونك ويرشحونك وينتخبونك - وبعد ذلك يردلونك • •

ولكن قبل ان تنادي - « دوا الفالج دوا للعين » أرني ان شئت ما
في خرجك • ما هذه المراهم والنباتات ؟ أليست التي يتاجر بها
« المغربي » ذاك الذي درس الطب ثلاثين سنة في مغارة دانيال •

ألا تعرف « المغربي » • أما رأيته في زمانك راكباً كديشه
وصيدليته في الحرج وراءه • أما سمعته ينادي • دواء للراس دواء للعين •
ان اعشابك من اعشابه ايها الزعيم العزيز ومراهمك هي نفس مراهمه •
فالأوفق لك واللامه اذاً ان تبيع كديشك وترجع الى بيتك •

تبغ وملح للفالج والعماء • سبحان الهادي • أظن يا زعمي المحنك
المبنيك ان زرع التبغ واستخراج الملح يشفيان فالج النفس وعماها • أظن
ان التبغ والملح يستحيلان نوراً وهداية في قلوب اللبنانيين • أظن ان
المال في صندوق الحكومة يصلح الشوئون اذا لم يكن في الحكومة من
يعرف كيف يستخدم المال لخير الامة الادبي الروحي قبل خيرها المادي •

رح في سبيلك ايها المداوي اللاوي وقبل ان تكرهنا او تنسانا اذكر
 منا هذه الكلمة خير لك ان تكون حملاً اوسكافاً من ان تكون مشعوذاً
 ان بلاننا ايها الاخوان من (مغاربة) السياسة الذين درسوا المداواة
 ثلاثين سنة في مغارة دانيال وخانيال وناققيال وشركاؤهم . ان بلاننا
 من المصلحين الذين لا يصلحون انفسهم . ان بلاننا من المشعوذين المدغلين
 الذين يسجدون في الهيكل التركي لسيدة بكركي . بلاء الشعب من
 اسيداه الذين لم يزالوا يسخرونه ويرهقونه . بلاء الشعب من الذين
 اورثوا الشعب الفالج والعماء وجاءوا اليوم يتحببون اليه ليداووه . -
 « دوا للفالج دوا للعين » . ورب السموات ان كنت لا تطرد «المغربي»
 من بيتك يا اخي وثرمي باعشابه الى النار تموت لا شك مفلوجاً ضريراً
 من المبكيات المضحكات ان تسمع اليوم من يتساءلون = ومن
 يا ترى يستحق ان يخلف رجل الشعب . هنيئاً لك يا رجل الشعب .
 فقد ارتحت في الاقل من المنادة « دوا للفالج دوا للعين » ومن دانيال
 وخانيال وناققيال الذين لا يريدون ان تدواي شعبك بغير المراهم الفاسدة
 والاعشاب السامة

لا يا اصحابي لا يا اسيادي . ان رجل الشعب الحقيقي لا ينتخب
 ولا يعزل ولا يقاوم ولا يموت . ان روحه تظل حية وعاملة في الامة
 بعد ان يقف نبضان قلبه . ان اعماله لا تموت اذا غرست في قلب شعب
 حي قوي اعصابه سليمة ونظيره سليم . ان اعمال الرجل العظيم كنهز

يتدفق من اعالي الجبال في اودية الهيئة الاجتماعية وسهولها . ولا يكاد
يخف ماؤه او ينضب بعد سنتين او بعد عصور طوال حتى يبعث الله رجلاً
اخر عظيماً فيجي فيه الارواح التي تلاشت على ضفتي النهر الابدي .
أليس من المضحكات اذاً ان نتساءل — «ومن يا ترى يخلف رجل الشعب »
وهل تظن ان الزعيم الثابت الحر الصادق كفاية اكتبها بساعة او يوم
فتقرأها وتفهمها بخمس دقائق . ألا يخطر في بالك ان لو كان صنع
الرجال العظام امراً سهلاً لكان يلد في العالم رجل عظيم كل يوم أظن
ان ارادتي وارادتك وارادة من هم اكبر مني ومنك قناصل كانوا او
بطارقة بل ارادة الملوك والسلاطين تجعل « المغربي » حكماً والمشعوذ
زعماً . أظن ان في امكان الاحزاب ان تصنع الزعماء
كما يصنع الخزاف اناء ثميناً او الصيقل درعاً متينة . ان كنت تعتقد هذا
الاعتقاد ولا تنبذه سريعاً نبذ النواة فسيرك ومسير اتباعك وعبيدك
الى الهلاك . ان كنت لا تصرع اعتقادك الفاسد يا اخي فاعتقادك
يضرعك . ان كنت تظن يا صاحب السعادة بل يا صاحب الدولة بل
يا صاحب الجلالة ان زعيم الناس كناء من الفخار تصنعه كالفخاري
بساعة واحدة وتكسره ان شئت بضربة واحدة فانت اما مخطيء واهم
واما جاهل مكابر . وفي كلا الحالين لا خير فيك لوطنك او لنفسك لا
في اقوالك ولا في اعمالك . الزعيم الحقيقي يا مولاي هو من السماء
ونصره وكسره في يد الله . ينبغي لك اذاً ان تصلح عقيدتك قبل

ان ترفع في سبيل الاصلاح عقيرتك . ينبغي لك ان تتبع كديشك
وترمي بخرجك وعقاقيرك الى النار وتقرأ في كتاب الحكمة والزعامة
على عالميال وصادقيال لا على دانيال وناققيال

ان لبنان اليوم لفي حاجة الى بطل حقيقي لا الى رجل او نصف
رجل او ربع رجل او لا رجل يدعى زعيماً . نحن في حاجة الى من
يستطيع ان يجمع شتات هذا المليون من ضعفاء بل من بؤساء البشر .
نحن في حاجة الى بطل يحكم هذه الامة ويهديها سواء السبيل . وهل
تظن ان الطبيعة في لبنان تضمن على ابنائه بمثل واشنطن او ابي بكر او
كرمور ولو في شكل صغير . يشهد تاريخنا انها لم تضمن علينا بالابطال
في الماضي . وتشهد سماؤنا وتشهد شمسنا انها لا تضمن بهم في المستقبل
وعندنا ان مثل هذا الزعيم العظيم يباشر اصلاح الجيش فيضاعفه
وينظمه قبل كل شيء . ثم ينظر الى الشعب المفلوج المضرب فيداويه
بغير زرع التبغ واستخراج الملح وتأليف الجمعيات في القرى . لا ننكر
ان هذه كلها لازمة مفيدة . ولكن الازم منها اهم . وعلى الازم منها
نتوقف اليوم حياتنا . ان كروملنا او ابا بكرنا يا سيدي الامير لا يصح
كالغاربة (دوا للفالج دوا للعين) لكنه يقبض الموضع بيد من حديد
ويشتغل باسم الله . ان كروملنا بعد ان ينظم جيشه ينظر في البلاد الى
من كثرت اموالهم وقلت اعمالهم كالرهبان مثلاً فيحاسبهم بعدل وانصاف
ويبني بما ياخذه منهم المدارس العمومية في كل القرى والمدارس الزراعية

الصناعية في كل الاقضية . هذا هو دواء الطبيب الصادق الماهر نقالج
النفس وعماءها .

مثل هذا الرجل اذا دخل مجلس الادارة ورأى الاعضاء يدخلون
الاركيعة وينعسون يطردهم قائلاً - الى بيوتكم . دخلوا هناك وناموا
الى الابد . واذا كان اللبنانيون لا ينتخبون من لا يدخل ساعة العمل
وينام فانا انتخبه انا عينه . واذا رايتهم يدخلون بعد ذلك في المجلس اكسر
والله الاركيعة على راسه »

في مثل هذه اللهجة كان كرومل يكلم مجلس نواب الانكليز .
ولما رأى ذات يوم ان قد استقبل امرهم معه اخرج ساعته من جيبه
ورمى بها الى الارض قائلاً ان لم تستقيموا احطمكم مثل هذه الساعة »
وبعدئذ طردهم وقال « اريد في المجلس اناساً صادقين عادلين

مثل هذا الزعيم اذا تصدد له اولئك الافاضل المخنكون المبنكون
الذين ترسلهم الدول الاوروبية لينعلموا عندنا السياسة الشرقية بل
ليكذبوا عنها في الدوائر الرسمية يقول لهم « وبأي حق نتدخلون في
الصغير والكبير من شؤوننا » فاذا ابرز القناصل اوامر وزرائهم يقول
لاولئك الذوات الكبار « لما سالت دماؤنا في الماضي آستنا حكوماتكم
وضممت جروحنا بهذا الذي ندعوه نظام لبنان . حمتنا لتحمي نفسها
من حرب اوروية طاحنة وفي كل حال نحن لها ولكم شاكرون اما الان
وقد برى الجرح فلم نعد في حاجة الى العصابة ولا الى عناية هؤلاء الممرضين

قناصلكم بل قد صرنا رجالاً اصحاء نأبى الضيم والحيف مثلكم ولا نسالكم سوى هذا ان تعاملونا كما تريدون ان تعاملوا

هذا هو رجل الشعب هذا هو بطل الامة ولا تظن ايها القاريء ان في امكان الصحافة ان توجد مثل هذا الرجل لا ولا الاحزاب ولا القناصل ولا البطارقة ولا الشعب يوجد . البطل هو ابن السموات والارض ولا يوجد في الناس كما قلنا الا الله . فان كنت يا اخي اللبناني تشعر ان في جلدك شيئاً من البطل — ولا فرق عندي ان غطأت جلدك هذا بعباءة مرقمة او « بالفراك الاتوركا » او بالحرير والارجوان — ان كنت واثقاً متاكداً ان في قلبك شيئاً من نور الله اظهر باسم الله واحكمني وسخرني في سبيل الحق والوطن . اظهر فلا تظل طويلاً مجهولاً . اذا كانت تلك الروح العظيمة داخل جلدك وذاك النور الالهي في قلبك يتبعك الناس ويطيعونك بل يؤهلونك ويعبدونك .

نعم يا اخوتي نعم يا اسيادي . اني اؤكد ان السموات والارض في لبنان لا تضن عايناً يبطل لبناني في المستقبل . ولكن متى يظهر واين ؟ ان نبوءتي لا تتجاوز هذه الحدود .

والسلام عليك يا ابنة لبنان

تباركت ثمرة بطنك ايها الاخت الفلاحة . تباركت في احشائك جرثومة الابطال . وتبارك من يراها ويعرفها ويمجدها متى ظهرت في الناس لتقود وتهدي الناس

الشعر المنثور

يدعى هذا النوع من الشعر الجديد Vers libres بالفرنسية وبالانكليزية Free verse اي الشعر الحر او بالحري المطلق وهو آخر ما اتصل اليه الارتقاء الشعري عند الافرنج وبالاخص عند الاميركيين والانكليز فملتن وشكسبير اطلقا الشعر الانكليزي من قيود القافية ووات وتمن (Walt Witman) الاميركي اطلقه من قيود العروض كالاوزان الاصطلاحية والابجر العرفية . على ان لهذا الشعر المطلق وزناً جديداً مخصوصاً وقد تجيء القصيدة فيه من ابجر عديدة متنوعة ورووات وتمن هو مخترع هذه الطريقة وحامل لوائها وقد انضم تحت اللواء بعد موته كثير من شعراء اوروبا العصريين . وفي الولايات المتحدة اليوم جمعيات « وتمنية » ينضم اليها فريق كبير من الادباء المغالين بحاسن شعره الجليلة المخلقين باخلاقه الديمقراطية المتشيعين لفلسفته الاميركية . اذ ان شعره لا تنحصر مزاياه بقالبه الغريب الجديد فقط بل فيه من الفلسفة والتصور ما هو اغرب واجد .

الثورة

• ويومها القطوب العصيب • وليلها المنير العجيب •
 • ونجمها الآفل يحدّج بعينه الرقيب •
 • وصوت فوضاها الرهيب • من هتاف ولجب ونحيب • وزئير وعندلة ونعيب •
 • وطغاة الزمان تصير رمادا • واخياره يحملون الصليب •
 • ويل يومئذ للظالمين • للمستكبرين والمفسدين •
 • هو يوم من السنين • بل ساعة من يوم الدين •
 • ويل يومئذ للظالمين

• هي الثورة ويومها العبوس الرهيب •
 • الوية كالشقيق تموج • تثير البعيد • تثير القريب •
 • وطبول تردد صدى نشيد عجيب •
 • وابواق تنادي كل سميع مجيب •
 • وشرر عيون القوم يرمي باللهيب •
 • ونار تسأل هل من مزيد • وسيف يحيب • وهول يشيب •
 • ويل يومئذ للظالمين • ويل لهم من كل مرید مهين •
 • طلاب للحق عنيد مدين • ويل للمستعزين والمستأمنين •
 • هي ساعة للظالمين

هي الثورة وابناؤها الحفافة • وصبيانها المسترجلون العتاة •
 ورجالها الأشداء الآباء • ونساؤها المتحدرات •
 وخطباؤها وخطيباتها الفصيحات • وزعمائها وزعيماتها المتمردات •
 ويل يومئذ للظالمين

انذرهم باغلال وسعير • بقنابل تفجر ويوم عسير •
 يوم لا ينهون ولا يأملون • ولا يطاقون فيهربون •
 ويل يومئذ للظالمين

ألم يأتهم حديث الرومان •
 يوم شغف قيصر^(١) بالارجوان • ومد يده الى الصولجان •
 فاذا هو صريع خناجر احرار ذاك الزمان • قتيل مهان كثير الطعام •
 ويل يومئذ للظالمين

ألم نقص عليهم قصص باريس •
 يوم ذك البستيل وزفت المحابيس • يوم قطع رأس الملك لويس^(٢) •
 وحزرت رقاب كبار الفرنسيين وفر الطاغون والمسيطرون من وجه هول باريس •
 ويل يومئذ للظالمين

ونبأ الانكاز .

يوم بايع القوم بياع الجمعة^(١) وقالوا هذا ولي عزيز .

يوم نادى الخمار بالناس والمالك في حرز حرز .

فاذا بالمستضعفين اشداء وشارل المليك ذليل نبذ . بل على المشنقة يستعبد

ويل يومئذ للظالمين . من كل مشمر متمرّد مدين .

ويل يومئذ للمفسدين . من نصر البنود الحمر المبين .

✽ ✽ ✽

ونبأ العالم الجديد

ألم يروا لهيب الاتون في العالم الجديد . حيث يطرح كل جائر مرید .

حيث يحرق الارجوان وتذوب تيجان الحديد .

حيث تحرر العبيد . ويموت الوف البشر من اجل هولاء السود المناكيد .

حيث قام الاذل على الاعز . والوضيع على الجبار العنيد .

ويل يومئذ للظالمين . يوم يمتع الله المستعبدين .

ويطلق في الشعوب سلطان روح كمين . بل يضرم من ناره البراكين .

بل يثير في الجموع روح الامين . روح كل زعيم صادق امين .

يوم يهب المظلوم سيف الظالم الاثيم .

ويذيق المفسدين حرّ عذاب اليم . في هذه الارض لا في الجحيم .

ويل يومئذ للظالمين من كل مشمر متمرّد مدين .

ويل يومئذ للمفسدين . من نصر البنود الحمر المبين .

(١)

(١) كرومويل وهو زعيم الثورة الانكليزية التي انتهت بقتل شارل الاول

ريح سموم

وبربك القيوم • ما الذي تظنه يدوم •
صوت سمعته في الكروم • وقد مرّت عليها ريح سموم • نجفت الارض
وعادت جزرة كثيرة الكوم
سقطت الجفان عن فسائلها وفزعت اوراقها الى الغيوم
صوت صارخ من وراء النجوم • ما الذي تظنه يدوم •

* * *

من صروح زاهية نخيمة • من رياض زاهرة لريمة • من بروج شاهقة
عظيمة • من معامل حديثة او قديمة • ما الذي تظنه يدوم
من اسراب منورة تحت الانهار • من ارتال فيها يدفعها الكهرباء او يحرقها
البخار • من بوارج ماخرات في البحار • من اساطيل تنذر بالدمار •
من معالم ومعاهد في الامصار • ما الذي تظنه يدوم •
من انفاق تحت الاديم ملؤها عجاجة • تنفثها ونثيرها القطر الولاّجة
من قباب بين السحاب وهّاّجة • ما الذي تظنه يدوم •
من جسور فوق المياه جسيمة • من جزائر على المياه عظيمة • من جبال
تحت المياه قديمة • ما الذي تظنه يدوم •
من سدود • محكمة منيعة من خلج كونتها الطبيعة • من ترع تؤلف
بين البحار • وتجمع بين بعيد الاقطار والامصار • من خطوط حديدية

تطوق الارض • من اسلاك برقية تطوى المسافات في الطول
والعرض • ما الذي تظنه يدوم •

من ابنية ذات الطبقات العشرين • من احياء في المدن الكبرى يأوي
اليها جموع البائسين • من معابد وبيع لا اثر فيها للدين • من
اصقاع لا صوت فيها للاحرار الصالحين • ما الذي تظنه يدوم
من قصور مكتنفة برياض خضراء • من صروح الملوك والامراء • من
دور الرؤساء والاغنياء • من اكواخ البؤساء والفقراء • ما الذي
تظنه يدوم •

من شرائع وديانات ونظامات • من تقاليد وعادات وخرافات • من
اديان وعقائد وخزعبلات • من دول وممالك وحكومات • من
احزاب وطوائف وجماعات • ما الذي تظنه يدوم •
صوت صارخ من وراء الغيوم • صوت ريج سموم • اية شيء
يدوم •

مهلاً مهلاً • ان هذه كلها لصالحة في ذاتها • ان هذه كلها لحسنة
في وقتها •

لكل شيء من العز والمجد اركان • لكل شيء من ابناء البطر والاشرف
اعوان • لكل شيء برهة من دهره الوسمان •

ساعة او عام او قرن من الزمان • الطويل من الدهر في عين الازل
والقصير سيات •

فلا تظنها الى الابد تدوم . لا وربك القيوم . مبدع الشمس والنجوم .

* * *

الى حين يا اخي الى حين . كل ما في العالمين . اي ورب العالمين . الى حين .
وبعد فقل لي هل انت من المهمتين . هل انت من القائلين السائلين .
وبعد ذلك وبعد حين .

أما في زمانك تأملت المغاور في الصخور . فاذا ذكر ان الامطار والرياح
تكونها . والامطار والرياح تهدمها .

ان كل ما هو محترم معبود . من اضاليل الزمان والجدود . يظل في حرز
حر يز الى ان يظهر في الناس رجل عظيم عزيز .
بطل تجود به الايام . فيصرخ في وجه الائمة والحكام . صرخة ترددها
البحار والآكام . وهو قائم على المظالم البشرية . مناضل عن الحقيقة
والحرية . باذل مهجته في سبيل الانسانية .

اجل ان كل شيء لحريز في موضعه حصين . الى ان يزلزله رجل
حصيف رشيد . او امرأة عظيمة ذات رأي سديد .
ومهما كانت حصونكم متينة منيعة . فساعة الزلزال والدمار شديدة
سريعة .

ساعتئذ يتحدث الركبان في صنيع لاحد العظام جميل . او عمل لاحدى
العظيمات جليل .

اجل ان كل شيء لحريز في موضعه حصين الى ان يقف امام القوم رجل

صالح نورأي سديد • حرّ فضيح عنيد • او امرأة صالحة ذات رأي
سديد • حرّة فصيحة لسانها من حديد •

يومئذ يعلو صوت المطالب بحقوق المستضعفين المستذلين المستعبدين •
صوت الامناء والامينات من زعماء وزعيمات على كل ظالم جبار
مهين •

وبعد ان تلاشت ريح السموم فوق الجبال • تلاها نسيم لطيف الاعتدال •
فدخلت في اثره غابة من الصنوبر كثيفة الظلال • وسمعت من
خلال الاغصان • صوت المحبة والمعروف والحنان •

سمعت صوتاً يقول : ورب الاكوان • لا يدوم الا الاحسان والعرفان •
لا يدوم الا السجايا الروحية الفريدة • سجايا النفس البشرية
الخالدة •

لا تدوم الا آثار النهضة الجميلة • وما اثر الانفس السامية
النبيلة •

وما استخف الجدل والمنطق والبرهان امام مشروع جليل • وما اوهن
التعاليم الوضعية تجاه مخاطب جسيم • وما اوهى الاقوال والاراء اذا
قوبلت بنظرة من رجل عظيم • او صادفت نفخة من نفحات حكيم •
عندما يرفع مثل هذا البشر رأسه وصوته ولا فرق عندي رجلاً كان
او امرأة يقف دولا ب الأعمال • ولا يبقى شيء على حال •

عندئذ يبطل الجدل • وتنكسر شوكة المال • وتحشر الرجال • وتكبر
الآمال •

يومئذ تنقلب المجتمعات • وترتعد فرائص الطغاة الحفاة •
يومئذ تنقلب العادات والعبادات • وتهب على الأرض الذاريات
السافيات •

فيسأل السائل من وراء النجوم : اين مالكم ونفوذكم وشوكتكم • اين
نقايدكم وطرائقكم ولاهوتكم • اين شرائعكم وديانتكم وحكوماتكم •
اين حصونكم وصروحكم وسجونكم وجنودكم • اين مصانعكم ومعاهدكم •
اين ذخركم وسفاسفكم •

فقل ان هي الا برهة من الدهر الوسنان • ساعة او عام او عصر من
الزمان •

قل ورب الاكوان • لا بقاء لما سوى الجد والعرفان • والمعروف والحب
والاحسان •

فهي هي الجبال الراسيات • وهي هي الحصون الواقيات وهي هي
الباقيات الصالحات •

بلى ورب السماء والنجوم • لا يفلح المستكبر الظلوم • وان تدوم الا آثار
النفوس الذكية السامية ووجه ربك الحي القيوم •



تحت الرماد وفوق النجوم

﴿ تحت الرماد وفوق النجوم . ما لا تراه مما يدوم ﴾
 رأيت فضيلة اليوم تجر اذيال الفخر والتبجح في شوارع الرياء وفي
 ازقة الورع والقداسة فكرهتها نفسي .
 ورأيت ما يسميه الناس رذيلة تقضي حياتها في ظلمات السكون والكتان
 وراء ستار الخمول والنسيان فحن اليها فؤادي .
 لم اذاً نبغض الاشرار . ولم اذاً نعبد الا برار .
 لماذا نميل وجهنا عن الفقراء الاذلاء . ونعفّر امام الاغنياء والامراء ؟
 ان عليّة القوم اوطأهم ايها الاخوان فاحذروا من تكرهون ومن تحبون .
 من تحتقرون ومن تجلون .
 وغداً ينير الله قلوبكم فتعرفون الحق وتعبدون .
 لا والله انا لا اشمخ بانفي على اصغر صعلوك ولا اعفر وجهي امام اكبر المملوك
 ﴿ ان تحت الرماد وفوق النجوم . ما لا تراه مما يدوم ﴾
 اعلموا ان الكل في عيني سواء من الوجهة التي انظر منها الى الناس .
 كيف لا وتحت رماد نفس هذا الشرير جذوة خير حية . وفي بسنان
 ذاك الصديق كثير من الجذور السامة والنباتات الكريهة الرائحة .
 كيف لا وفي الصعلوك نفس تكبر اذا انطلقت من القيود والاغلال .
 وفي المملوك نفس تصغر اذا جرّدت من ترهات الابهة واباطيل الاجلال .

لم اذًا يحسد الانسان هؤلاء الاغنياء والاقوياء . واولئك الملوك
والامراء ؟ ان افقر البشر حالاً . واوضعهم شأنًا واقلمهم مالاً . لهُو
من اعظم الناس . ان كان لا يحسد احداً من الناس .

✽ ان تحت الرماد وفوق النجوم . ما لا تراه مما يدوم ✽
انا لا اغبط من ابناء آدم الا الرجل الحر حقاً . الحر بكل معنى الكلمة .
ولكن اين اجد مثل هذا الرجل لاعبده لا لاغبطه .

اما الاغنياء والاقوياء . والملوك والامراء . - تباركت اسمائهم - فمظهرتهم
اما مكتسبة اصطناعية . واما خلقية طبيعية . وجل ما في القوة
المكتسبة مسروق منهوب . ومعظم العظمة الاصطناعية مختلس مسلوب
العظمة العرضية الاصطناعية . هي كالسوس في عظام القوة الحقيقية .
ومن يحسد السوس في العظام . او الذباب فوق الطعام . او الجراد
على الاكام .

واما العظمة الخاقية الطبيعية فهي خير من روح الله .
وانا اطأطي رأسي امام كل قوة بشرية فيها شيء من جوهر الذات الالهية .
وان اسمي ما في قلب الانسان من العواطف الشريفة هي تلك التي تتجلى
في اتضاعه وخشوعه امام العظمة البشرية الخاقية التي هي حقيقة
الله في الناس .

✽ ان تحت الرماد وفوق النجوم . ما لا تراه مما يدوم ✽

داويني ربة الوادي

داويني ربة الوادي داويني
 ربة الغاب اذكريني • ربة المروج اشفيني
 ربة الانشاد انصريني

* * *

الا تذكرين يوم رددت وحيك بين قوم لا يشركون مع البعل الها
 ويوم قدمت ذبيحة للزهرة من يد من لا يعرف من الآلهة سواها
 ويوم ناديت باسمك في هيكل إيزيس فطردني من الهيكل الكهان
 ويوم تصاعد دخان بخورك على الاولب فاكفهر منه جبين رب الاوثان
 انا من وضع بخورك في مجامر خدام هياكل الرومان
 انا من عقد اوتارك في قيثاره راقصات بابل وقين اليونان
 اونسيت ما زرعه يدي حول هيكل تموز من الاشجار
 وما حاكته يدي لربة الفينيقيين من اكاليل الغار والازهار
 وما خطته يدي في كتاب عبدة الشمس والنار
 وما حطمه يدي من تماثيل الطغاة ودمى كبار الابرار

داويني ربة الوادي داويني
 ربة المروج اشفيني • ربة الانشاد انصريني

انشديني عَلَى قِيثارك من الالحان التي تردد صداها اليوم طيور الغاب
وشجار ير البستان

انشديني من الانعام . التي يطرف بها الرعاة الانعام
صوت نايك في الدجى . وصوت ارغناك في الضحى اسمعيني
الى صوت عبادك عَلَى ضففات الانهار . وصوت اولادك في القفار . اهديني
انشري الان حول سريري . ما كمن في الحقول من عبيري
اسكني الان فوق رأسي . ما تركته الاحقاب في كاسي
الحفني بجبك . ضمخني بطيبك . انعشيني بهمس شفتيك . وبلس اناملك
رددني على مسامعي الان . ما نسيتك مما علمتني من الالحان
اسمعيني الان . ما رددته عنك في مجالس قين بابل واليونان
داويني ربة الوادي داويني
ربة الانشاد اصلحيني

* * *

انا ناي الرعاة من عبادك انا عود العشاق من عبادك
انا ارغن المتشرد من عبيدك انا كنارة الراقصات ليلة عيدك
انا النفس التي تتجلى فيها جمالك . وينبعث منها نورك . وتنطبع عليها
اسفار حكمتك . وترف فوقها بلابل سحر
انا صوتك جسده الدهور . انا روحك أنزلت في الفيدا وفي الزبور
انا رسولك الى صفوة العباد . الى خير من زين الاحلام في المعاد . بل الى

كل من هام في كل واد

انا وحيك في نشيد الانشاد . انا نورك في نفس من سر بل التوبة بالانشاد
 انا في قيشارك نعمة حبسها الجهل ضمن جدران الاهرام
 بل انا اغنية رددتها الليالي على الاعوام
 انا في قيشارك روح الفقس تحت رماد المنون . بل روح ارفيوس فوق
 امواج الفنون

اجل انا قيشارك . وانا صوتك . وانا نشيدك
 ولكن يداً اثمة خنقت البلابل في القيثار . وقطعت منه الاوتار
 فجاءت اليوم بنات الهديل تداوي بسجهمها سنجي العليل
 داويني ربة الوادي داويني
 ربة المروج اشفيني . ربة الانشاد انصريني

* * *

المسيحي باناملك تعيدي الي بهاء ملكي
 عوديني في الاسحار . تشتد من نسمايك الاوتار
 اغسلي جراحي بموجات من فيوضاتك الالهية
 ضمدي اوتاري برقية من رقياتك الموسيقية
 اعيدي الي ما سلبتني الآلام من مجد الحياة الشعرية
 ضميني الى صدرك بنت الازل والخلود فتزول عن جفني كآبة الاجيال
 ويثمر في عقم الجدود

من يوم هجرت واياك الجفان في قديم الزمان . ما رايت اجمل من الحب
فيك الاّ الحنان

فخنام اليوم هذا الصد والجفاء وهذا الهجر والنسيان

اذكريني ولو مرة في ظلامي

عوديني ولو مرة في منامي

انصريني قبل ان تدبل باياي



غصن من الورد

ركبتُ في الامصار البعيدة هواي وأرحته من عنانه
 غرست في بساتين الغرباء حي فنور قبل اوانه
 غرسته في ارض سمراء جديدة فناحت عليه زهور زمانه
 طرحت بذور حي جزافاً ذات اليمين وذات الشمال
 طرحتها في سهول الحرية فاحرقها قيظ الفوضى وداستها ارجلُ همجية
 طرحتها في انجاد العلم فاييس ما نبت منها الصرُّ وحملت رياحُ النزاع
 البقية الى حيث لا ادري
 طرحتها على شواطئ نهر الفلسفة الراكد فذوت في ظلاله الظليلة -
 ماتت لانها لم ترَ نور الشمس
 غرست حي في غياض الحضارة الغيضاء فادمتها الاشواك . خنقه
 العليق . قتلته الجذور السامة .
 غرسته في ارض الاحياء والخلاّان فمات بالاستسقاء من مستنقعات
 الكذب والرياء .
 غرسته في حقول التجارة تجاه طواحين التمدن بين بيت الصراف
 وبيت الكاهن فتواطأ الاثنان عليه ومدّا في قلبه البلاط رصيفاً
 للصمص .

لاولئك اللصوص الذين يؤآكلون ويشاربون القضاة

ذهبت بحبي الى الفقراء والبؤساء فغرسته في ارضهم الجدباء فلم ينبت .
غرسته قدام بيت ام الحي فاقتلعتة ورمته بوجهي وهي تقول : اذهب
في طريقك ، جاءنا قبلك مغرون فقتلوا — صلبوا — حرقوا . نطلب
انصافاً وعدلاً لا تعزيةً ورحمة .

جزت حي البؤساء الى مغاور اللصوص والاشقياء . الى المنبوذين
والممقوتين .

ذهبت فغرست بينهم غصناً نضيراً من حي فعاش قليلاً نحياً ومات
قبل ان يبلغ اشده .

في ظلمات قنوط المنبوذين قضى نحيبه . دخان تجديد الجاحدين اعماه .
خنقته روائح بذاءة اللصوص والقتلة فكفنه الفاجر بلعنته وجلقت
الفاجرة فاها فوق جنته .

هجرت المدن وهذه المدنية وركت البحار .
نثرت على المياه حي كما تنثر شمس تموز الماسها ولا آليها .
نثرته صباحاً فتلونت الامواج من شهواته . نثرته مساءً فتوهجت من
نيرانه الآفاق .

كلم حي السحاب فاجابه . دعا البحر فلباه .
لمس حي الآفاق بانامله فارتعدت وتموجت مبهجة متوهجة .

في صبح يوم من ايام الربيع بعثت حبي رائداً في صحراء جديدة فمضى
ولم يعد اليّ .

ناديته من قمم لبنان فلم يجبني .
فتشت عليه في الآفاق وورائها في مشرق الشمس ومغربها فلم أجده .
تركت حبي يهيم ثانيةً على وجهه .
فركب هواه مرة أخرى وتركني اتحسر واثأسف عليه . آه عليّ
أواه عليه .

في وطني في ارض اجدادي في التربة التي ذاقت قديماً حلاوة ضربة
معول رجلٍ قوي . غرست غصن ورد طري .
غرسته والآمال تدفعني والعزم يعقد شفتي .
غرسته في مكان عزيز جعلته في حرزٍ حريز بعيد عن الحضارة والناس .
لا فرق عندي الآن ان صمت مسامعهم وان فتحت .
لا يهمني ان استجرت قلوبهم او استحالت طيناً او ذابت ماءً معيناً .
انت ايتها الارض امي وسأفرح يوم تضميني الى قلبك كما تضمين
الغصن الذي انا الآن غارسه .

انت ايتها الارض حية ابدًا - ابدًا تحبلين وابدًا تلدين .
مهما كان ظاهرك فالشعور فيك لا يموت . النار في قلبك لا تخبو .
الخریف يزيل الوقر من اذنك والشتاء يلين قلبك والربيع يحرك

لسانك والصيف يريك ثمرة احشائك .
 ومن افصح منك في الربيع واكرم منك في الصيف .
 من اعظم تهيجاً وعطوفاً منك في الشتاء . من اشد سماعاً في الخريف .
 من ارحم منك ايتها الارض . من الطف واشفق واحلم
 تقبلين منا الاقدار وتعطينا عوضها الازهار .
 تستنشقين نثالة امراضنا وروائحها وتعيدينا اليها شذاءً طيباً .
 تسكب لك السماء كأساً من الماء الزلال فيعكره الانسان فتفيضين عليه
 مكافأة خيراتك ومراحمك .
 ارض اجدادي افتحي الآن لي قلبك .
 لا تجهمني . لا تعثي برجائي وعلمي . لا تحبسي حبي غني دهرآ .
 ايتها الارض التي نقبها ابي وصلت تحت اشجارها اُمي لا تودعي آمالي
 الصغور . لا تحملها الى قمم الجبال فتموت هناك من الثلوج وشدة
 الرياح .

* * *

على كتف هذا الوادي الذي ردد صدى صراخي وغنائي صغيراً في
 هذه الارض التي هجرتها قبل ان هجرتني العصبوة غرست غصن
 ورد طري .

كلت الارض بيدي لا بلساني . حصبتها ونقبتها بمعولي الصغير .
 طعمتها من ذاك الاسود الذي تفرزه المواشي ومن ذاك الاصفر الذي

يكاد يشتعل في الصحراء من قبلة الشمس ويكاد يذوب على السواحل
من قبلة الامواج .

سقيت غصني من ماء الفؤاد وحجبت عنه النور في ايامه الاولى .
رفعت فوقه سرادق ودِّي وهيامي ونثرت حوله في الشتاء اوراق
الخريف البالية .

ولبثت اذ ذاك انتظر جواب الارض وحكمها .
كم مرة زرت غصني وهزته مستخبراً فلم تبدُ عليه لا اشارة الموت
ولا علامة الحياة .

كم مرة افتقدته وقلبت فيه الطرف مستقصياً اخباره .
كم مرة وقفت امامه والفؤاد يتموج بين اليأس والرجاء
تباركت ارض اجدادي فقد حسن في عينها اجتهادي
تباركت ارض امي فستريني الورد على غصن تعبي وهي
نعم الارض كلمتي . اجابت الارض سوئي . رددت الارض صدى حي .
ها ان غصن الورد ينطق كالطفل

بدت على شفثيه لفظة الحياة واثرت في قلبه الكلمة الحية التي تساقطت
عرقاً من اناملي ومن جبينني

في فمه لؤلؤة صغيرة ملفوفة بلفافة ذهبية . وفي صباح الغد استحيل
لفافة لازوردية وتبدو اللؤلؤة زمردة نحيقة ندية

(١)
وبعد غدٍ او بعده ينشأ من الزمردة صدفة خضراء في قلبها بحور من

الورد لا ترى واجيال من الحياة لا تعد
 في قلبها اوراق خضلة صغيرة ملتفة حول عرق نحيف طري لا يعرف
 بعد اسم الشوك ولا معناه
 في قلبها اغصان وفي قلب الاغصان ورد وفي قلب الورد بذور وفي
 البذور الابدية والخلود .

* * *

كلمتي ارض اجدادي . احيت في الرجاء ضمت الى صدرها طفل حي
 وانعشته بعد ان كاد يموت .
 نفخت فيه من روحها الازلي فتحرك لسانه .
 هو ينطق بما تلقىه اليه من آيات الحب والجمال والحكمة والرجاء .
 اين فصاحتي من فصاحتها .
 الارض لا تنطق الا لتحيي . لا تكلم الا لتزهر وتثمر .
 ما قالت « لا » بزمانها قط . فان كان جوابها ايجاباً « فنعم » وان سلباً
 فسكوتاً ابدياً .
 كل آياتها جميلة كل اقوالها منعشة محيية .
 وليتها تعلم بنيتها القول الثمر المنعش الجميل .
 وليتها تعلم بنيتها السكوت .

* * *

كأني بالارض تقول : ليكن عندك ذرة من الايمان في واعطني ساعة

من العمل فاعطيك عوضها مئة بل الف ضعف من الحب والرجاء
من السرورة واللذة من العزم والنشاط من الحياة البسيطة النقية
التي لا سعادة للانسان الا بها .

* * *

كل جرثومة على غصن الورد الذي غرسته هي لفظة من الفاظ الارض
العذبة . هي رسالة حب من الام لبنيتها .

كل برعم من هذه البراعم هو عقدة من عقد الكون . هو سر من اسرار الحياة .
في اي عصر ولدت ايتها الوردة . اي ارض شاهدهت اول زهرة من
ازهارك واستنشقت اول نفحة من اريجك .

من زرع بذرتك الاولى . من غرس اول فرع من فروعك .
اول غصن من اغصانك الاصلية الاولى — من نقله من الحقل الى
البستان من الوادي الى حديقة الانسان .

ايتها الوردة البرية بل الوردة السرية من اي دغل نشأت وفي اي
سلم من النباتات الشوكية رقيت .

لا تتكلم الارض الا الغازا . الارض لا تأتمن بنيتها على اسرارها .
احترز من شرك العلة الاولى . لا تبحث في اصول الاشياء .

متع نظرك ونفسك فيما تراه وتسمعه وان شئت الدخول الى هيكل
سر الاسرار فتجرد عن الجسد قبل ان تطأ اسكفة الباب .

* * *

اني لأجد لذة شهية غريبة في مشاهدة هذه البراعم الجديدة وفي
مراقبة نشوئها ونموها.

عددتهم والله مراراً كما تعد الام اسنان طفلها.
افتقدتهم مراراً كما تفتقد الطيور عشوشها
تلهفت واي تلهف على برعم واحد نثرته الرياح منها.
ولكن زمن السرور قصير. تكاد زبدة الاشياء تذوب قبل ان تجمد.

* * *

اواه صرت اخشى الاقتراب من وردتي فقد ائت فروعها والتفت
اغصانها وقسيت اشواكها.

اواه صرت انظر اليها بغير العين التي شاهدت نشوُ براعمها ونمو فروعها.
لهفي على وردة الحياة. تريني الف شوكة قبل ان تفيح بنفحة واحدة
من شذاها

تجرحني مئة مرة قبل ان تعطيني زراً واحداً من ازرارها



فؤاد^(١)

١

عند مرقد الربيع

عرفتك قبل ان اخضرّت من نسمتك الاولى صدور الحقول وجوانب
الربى .

وقبل ان نور المهد من حر شفّيتك .

وقبل ان بدد نور عينيك غيوم الشتاء فهدأ البحر وانجأت السماء .

* * *

عرفتك قبل ان حاكت تقصورك الجبال طنافس العصفور والاقاحي
والخزاي .

وقبل ان اعدت لسريرك النمارق من الرياحين وريش الصنوبر
وشقائق النعمان .

وقبل ان ملأ واكأ سبك من دهن اللوز وماء الورد وعصير الرمان .

عرفتك قبل ان نصبت لك العاصفة الاخيرة قوس نصر من دمها

(١) ابن اخيه فؤاد يوسف صادر ولد في ٢٧ نيسان سنة ١٩٠٨ وتوفي في ٢٠

ت ٢ سنة ١٩٠٩ فاستقبله بالقصيدة الاولى وودعه بالثانية

ودمعها وزفيرها .

وقبل ان ولت من الغيوم الباقيات واقبلت الضاحكات تجر ذيولها
الفضية فوق صنين .

وقبل ان لحفتك شمس الضحى باشعة الحب والحنان .

وقبل ان رفعت فوق سريرك عند الغروب قبة من نورها الوهان .

* * *

عرفتك قبل ان سدلوا على وجهك نقاباً من الغمام ليحجبوا هناك هنيهة
رب الانام .

عرفتك قبل ان عرفت عيناك معنى الدموع واسرارها .

وقبل ان ذابت عن اهدابك الشاجة الاخيرة وسقطت عليها القطرة
الاولى من ندى العشق والحياة .

عرفتك قبل ان نور في خديك الورد وتلاأت على شفتيك الابتسامة .
وقبل ان غردت في الغابات اطيارك وعطرت الآفاق رياحينك
وازهارك .

عرفتك قبل ان سمعت اذنك هتاف الانهر وعويل الرياح .

عرفتك قبل ان عرفت من الحياة الغسق والليل والصباح .

هزرت سريرك بانفاس كانت لهيباً قبل ان صارت نسيماً .

واصبحت حياة بعد ان كانت سديماً .

وكان ربك بذلك عليماً .

هزرت سريرك باليد التي احترقت مرأفاستحالت مسكاً وبخوراً حول
السريـر الكمين .

باليد التي اكتسبت زغباً تحت رأس امير الـياحـين .
باليد التي نور في اناملها الجـلنار وفي راحتها النرجس والياسمين .

هزرت سريرك قبل ان نما الفؤاد مني آسأ وغاراً تحت قدميك .
وقبل ان فاض ابتسامي نوراً فوق عرشك .
وقبل ان هطل غيمي دمعاً حول سريرك .
هزرت سرير طفل الربيع قبل ان سار كليّ قسماً من سريره .
هزرتة في الاعماق ففاح اريجـه في الآفاق .
هزرتة في اعلى عليين فغردت بلابلـه في الرياض والبساتين .

عرفتك قبل ان ودعتك السماء وقبل ان عرفتـك الغبراء .
ولكنني استغربت صراخك يا ابن الربيع ويا ابن السماء .
ان اني بكائك سرأ لا تذيـعه الازهار .
وان اني سكوتك لغزاً حفظته النجوم والاقمار .
وان اني نظراتك المبهمة الندية شيئاً من غوامض البحار .

فهل جئنا من ألم الفراق باكياً ام جئنا الوحشة شاكياً .

اين منك الروح التي تلقي في العيون سحراً حلالاً فيذوب حباً وجمالاً .
 اين منك الادراك الذي يلتهب في العالم نجماً فيشع في الشاعر خيالاً .
 بل اين من نفسك الان ما حير البرية في الانسان .
 اين منك تلك القوة التي اغلت الصاعقة واذلت البحار واسترقت
 الرياح والكهرباء والنخار .

* * *

اتحلم ملائكة السماء بفراش الارض وخفافسها .
 او تذكر الفراشة يوم سارت تحت جناحها الشمس .
 افي خطوط هذه اليد الصغيرة البضة آثار حبك النجوم واسرارها .
 او تحت هذه الاهداب الناعمة قبس من نورها ونارها .
 اتذكر شفائك الكاس الذي سقتكه زنبقة الوادي .
 اتذكر الغدير الذي كان يغسل قدميك يوم كنت مضطجعاً مع الدفد
 تحت ظل الدلب والصفصاف .
 اي ابن الوادي ان فيك من بهاء الربيع ما فيك من مجد السماء .
 ابني لفي هذه الوردة البشرية جذوع الماضي واريح الحاضر وبذرة
 المستقبل .

اقبل رجلك لانني لا انكر الماضي ولا انبذه .
 واطبل عينيك لانني اراك شاخصاً الى العلاء .
 واطبل سرتك لرمز فيها بليغ جميل .

ففي السرة سلسلة الحياة التي لا تتم حلقاتها ان لم تقطع .
يقطعها الانسان فيعيد وصلها الله .

فاذكر قبلاتي الثلاث ان عدت في مستقبلك البعيد الى ماضيك
هذا القريب .

واذكر ايضاً ان في كل قبلة حسرة ما زادها العلم الاشتعالاً .

عرفتك قبل ان ودعتك السماء وما عرفت من سر هذا الوجود سوى
الحاء والباء .

عرفتك قبل ان عرفت الربيع وقبل ان هزرت سريره الخفي .

عرفتك قبل ان اسرنا فصرنا بديع قوافٍ لشعر الهي .

نظمتنا الآله واودعنا سرّاً من اسرار بيانه الازلي .

وقال عليكم بنجم سريع فهو فيكم ومنكم يضي .

بهاء الحياة ومجد الحياة اليكم بنوري اليكم يدي .

فجبنا نجوم النفوس عراة وفينا الخجول وفينا الخليع

اشدنا هناك بسعد تساوى الملاك العصي به والمطيع

شهدنا هناك ظلاماً تلاه بهاء تلاه ظلام سريع

وقفنا حيارى وفي الظلمتين ضياء الحياة يضي ويضيع

شهدنا الدياجي وفيها الاحاجي فهذا الاله وهذا الربيع

ذهلنا فقلنا اربي لماذا فقال اسقطوا من مقام رفيع

(٢٠)

وقفنا دهشنا سألنا سقطننا فجئنا وسر القريض نذيع
فديوان ربك هذا الوجود وفيه السخيف وفيه البديع
وانت ابن أختي بيت القصيد وخالك شاعر رب الربيع

٢

عند حمد الربيع

ومثل خيالي اشرقت يوماً وغبت قبيل الصباح فؤاد
ومثل خيالي انسيتني نعيم الحياة وبؤس العباد
ومثل خيالي أسكرتني فقلت «اليراع» فقلت «الحداد»
ومثل خيالي حيرتني رحلت وسرك في ذا الجداد
بهاء جمالك في تربة عجبت لترب جمالاً يعاد
ونور عيونك في ظلمة عجبت لنور شديد السواد
وبلبل نفسك في وحشة — بل بلبل نفسي في تي البلاد
وحلوا بتسامك تحت الازهار البس روعي شوك القتاد
فراحت الهة حبي تهيم وتبكي فؤادي في كل واد

* * *

لله انت من وردة سرية ناطقة فرطتها يد القضاء
لله انت من شعاع فهم عيب زال كالظل في البيداء
لله انت من طير اسف فوق بحر الحياة فذاق ملحه وعاد الى الفضاء

لله انت من طفلٍ سجدت له اطفال السماء
ايه اطفال السماء ا وهذا ربيعي اصبح ثاجاً فايت الربيع بل ايت المعاد
وليت النجوم تحدث عنه فهذه تجاليد في جماد
وحلو ابتسامه تحت الازهار ألبس روعي شوك القتاد
بنات خيالي انيري حول خيال فؤادي في كل واد

* * *

كشفق من اشفاق الايام . حلم من جميل الاحلام كوميض برق لاح
في الظلام - كذلك كان ابتسام الحبيب
كنفحة من نفحات الجنان . مرت مع نسيم الفجر في البستان فرنحت الورد
واليلسان وايقظت الشوك في القرقفان - كذلك كانت حياة الحبيب
كفراشة مختبئة بين الرياحين . امسكها عدو كمين . فدفعها الى جهالة
ظالمين . سمعت أدواتهم الانين . فبكت حظ مثل هولاء البنين -
كذلك كان نصيب الحبيب
ويلاه من طب اجهز على الحب
ويلاه من طب هو الشوك في نبت غمنا . ومن طبيعة هي امنا . ومن
قبور هي لحننا ودمنا

بهاء جمالك في تربة عجبت لترب جمالاً يعاد
ونور عيونك في ظلمة عجبت لنور شديد السواد

ركضت حولي في الدار فعلمتني حب الصغار . حباً طاهراً صافياً كله ازهار
 وقفت الى جانبي في عزلي فكنت حبيبي وسيدي ومعلمي
 فتحت امامي ابواباً عجزت عن فتحها يد حكمة الحكماء . وسدتني بما لا تضاهيه
 شوكة الملوك والامراء . وهديتني سبيلاً ضلت في سبيله العلماء
 انكرت سلطة المسيطرين . فجئتني وسلطتك من اعلى عليين
 لله من اطفال هي ملوك في قلوب الرجال
 لله من ضعف صولجانه فوق صولجان ملوك الزمان
 كفرت بحب الاطفال فبعثك الله الي رسولاً
 وصرت عندما اشاهد طفلاً احبيه باسمك ساجداً واقبله واجداً
 انما هولاء رسل الله في الناس
 رسل هم الاطفال - رسل الحب والحنان والواجب والجمال
 رسل كلماتهم سلام . وسيوفهم ابتسام
 لله من رسول انت اخلصت لك الايمان وكنت لك اطوع من البنان
 ولكنك اليوم حيرتني رحلت وسرك في ذا الجماد
 ومثل خيالي اشرقت يوماً وغبت قبيل الصباح فؤاد

اقم في وادينا صيفاً واحداً كنت فيه الصيف والربيع وكتبت في
 قلوبنا آيات هي خلاصة البيان والبديع
 نظرت الى السماء مساءً فادهشك كوكب هناك

مددت يدك الى القمر كأنه راحة في ذراك
سمعت انغام الموسيقى فطربت لها كأنها بنات بديهاك وذكاك
عطفت على الازهار واحببت الرياحين كأنما صنعتها يداك
حسدك الحسنون على زقزقتك • والحمام على حركاتك والورد على شذاك
حييت كل عابر طريق بائساً وفي كل امرئ حيت اخاك
كدت تشعر بالخطوب قبل حدوثها فادمعك قبل ان يدم منا بلاك
كللناك بالورد والغار يا حبيب الرياحين والازهار
وفي ربيع السماء الخالد دموعنا تلم في الجملنا
بل زهور في افلاك تدار
بهاء جمالك في تربة عجبت لترب جمالاً يعاد
ونور عيونك في ظلمة عجبت لنور شديد السواد

* * *

من هضاب جلالتها السماء الى مدينة خيم فوقها البؤس والشقاء
حملناك والغم يحملنا الى منبت التمويه والتليس والادعاء
الى حمى الاطباء
ضربت في موطن الفهم والنور • فكان داوئك ذكاك دماغ هو
النبراس في غشاء هو القرطاس
ويلاه من هذا الشهاب • وهذا الالتهاب
في فترة من الزمان سقيت من مر الحياة مما يغص به جبابرة الزمان

يوم اسففت وقعت فكنت احجية في داءك كما كنت احجية في ذكائك
قال المداوون وقالوا . وضر بوا في ميدان الخدس وجالوا . وانت بعيد
عن جهل هو عندهم اليقين .

مددوك على لوح التشریح وانت مسرع الى من لا يحدس في شؤون العالمين
اشمموك المخدرات وانت في غنى عن هاته الترهات كيف لا وقد اشاك
الداء وخدرك الدواء

جاء الجزار واعوانه بادواتهم وعقاقيرهم . واحاطوا بك ايعدوك عن
ملائكة اسرعوا الى نفاك

بضعوا الجلد . كسروا الجمجمة . اجالوا ادواتهم في الدماغ - ويلاه
من اطباء يخبطون بل من جزارين يحربزون

قطبوا الجرح . افواراك بالشاش . كفنوا وجهك الاصفر باوهمامهم
ضمخوك بروائح العذاب والموت . وتركوك على سريرك .
لامك لايلك لخالك . لربك

كفناك باغشية قلوبنا وكنناك بالورد والرياحين . بكيناك باسم كل
ما احببته واحبك في وادي الامين

بهاء جمالك في تربة عجبت لترب جمالا يعاد

ونور عيونك في ظلمة عجبت لنور شديد السواد

وحلو ابتسامك تحت الازاهر البس روعي شوك القتاد

فراحت آلهة حي تهيم وتبكي فوادي في كل واد

النفس الراحلة

تذكراً لسراويل دربان المنوفاة في ١٣ آذار سنة ١٩١٠

على ابواب الجنة تنتظر الارواح احبابها

بل تنتظر الاحباب ارواحها

آه على المحبين . المودعين والراجلين

* * *

اقف عند جثماني . لاودع اصحابي وخلافي

ومن فوق نعشي . احبي الاعزاء المودعين

تخذت الموت منبراً . فرأيت من علاه مالا ترون . وسمعت مالا

تسمعون

جموعٌ مثلكم يعولون في شمال الارض وجنوبها . وارواح مثلي ينتحبون

في السفينة التي تعبر نهر الموت والحياة . من ابناء الارض عظماء

وعظيمات

هم رفاقي الآن الى الجنان

فلا تيأسوا . ولا تجزعوا

الموت خرافة مرهبة . الموت صورة فانية . الموت منبر الخلود . الموت

هو الدرجة الاخيرة من سلم العذاب . فلم تحبون . ايها الاحباب

على ابواب الجنة تنظر الارواح احبابها

بل تنظر الاحباب ارواحها

آه على المحبين • المودعين والراجلين

* * *

ما بالكم لتحبون • او اه ودمعة الفراق من يكفر بها دمة الوداع من
يجعلها ؟

دموعكم كالوايل المتساقط على بحر هاجت امواجه

دموعكم تسكن الرياح

دموعكم تنور حول الراجلين زهراً وتكون في صدف الحب لؤلؤاً
ودراً

دموعكم نور يضيء ساعة الفراق المظلمة الموحشة

دموعكم نقط كلمات سفر الحياة

دموعكم ازهار على ضفتي نهر الاحزان ودموع الراجلين طلّ في

كوؤوس هاته الازهار

آه على المحبين المنتجبن • المودعين والراجلين

* * *

ساعة ازمنت الفراق • بدت لي اشياء من هناك — من وراء الكواكب

والاقمار

ساعة على صيحة الاحباب • رفعت اليّ اعلام جميلة من خلال الضباب

على ضفاف انهر الابدية • في ظلال الصدر الندية • رأيت الراحلين •
 على فرش من السوسن متكئين • وسمعت اطيئاراً تغرد حولهم •
 « الى حين ايها المنتظرون الى حين »

في تلك الظلال احبابي حيث الورد لا يذوي والربيع لا يزول
 حيث الحب يلعب متلهياً عن التناهي في جمع اصداق الحزن ولؤلؤ الرجاء
 هناك على احدى الروابي • انتظر احبابي
 وانسج لهم من ازهار الدموع والسرور • اكاليل مجد لا تبور
 وادخل واياهم بيتاً جميلاً خالداً من الحب والحبور

* * *

على ابواب الجنة تنتظر الارواح احبابها
 بل تنتظر الاحباب ارواحها
 آه على المحبين المنتهين • المودعين والراحلين



معبدِي في الوادِے

ایہ ام الطبیعة بل امی • جئت اجدد معك آمال الحياة وسرورها •
 جئت اجدد عهدي وایمانی مع كلاء الحقول وزهورها •
 جئت اردد تحت هذه الافنان الخضراء • ابتهاج ابنائك الانقياء •
 وقفت على ضريح الشتاء ليلاً • فشاهدت هناك مشهداً جليلاً •
 شاهدت ربة الربيع تقبل جبين ابیها • فينور الاقحوان تحت شفتیها •
 رأيتها تكتب بدموعها سفر الخلود • فيردده العصفور في الجلود •
 ورأيت الاولاد في الحقول حفاة • يقطفون الزهور لخير من تألم في الحياة •
 فقلت في نفسي ونعم الايمان • في قلوب الصبيان •

ان في قلبي اليوم شيئاً مما في قلب جاري • وفي قلب الغاب اثرًا من
 اثارِي •

ألا ان قلبي في عقل هذا القروي وعقله في قلبي الخفي • والذي يراه
 تحت الكلاء اراه انا في السماء • والذي يراه في الارض المنبثق منها
 نور العالمين • اراه في اكمام الورد او في براعم الياسمين •
 فاذا كنت ارى ذلك في الحقل فلماذا ابرح الحقل ؟
 ألا سمع في الكنيسة وعيد من لا يعرف من اسرار الحياة سوى ما

قرأه في كتب اللاهوت والصلاة .

ان في ورقة من اوراق التوت . سرّاً لا يكشفه اللاهوت .
الى الوادي اذاً . هناك بين اشجار البطم والزمزريق وتحت ادواح
الصنوبر والسنديان . اشيد هيكल الايمان

اراني هنا في بيتي . بل في بيت الطبيعة . بل في بيت الله .
ورفقائي هم حقاً احبائي . هم اخواني . حباً بحبي وايماني .
ان هيكلي لقريب من سلسبيل فضي ذهبي يجمع بين الدم الجاري
في العروق والصيب المتصاعد في الاشجار واللبن الذي يجدد في
النبات حياتها وفي الازهار اريجها وانورها . ومنبر مرشدي هو
مرسخ الانشاد والتغريد . لا منصة التحذير والوعيد .
اسمع همس الافنان . وهي تسبح في قلبها الرحمن . وقد احياها النسيم
الليل الذي جاءها اليوم من بلاد الجليل

* * *

سماع . قد بدأ الدوري بلحينه والسنونو بانشاده .
سماع . ان من حلق الحسون الذهبي تندفق الانعام الفضية
ان الاطيّار تدعوك الى تجديد ايمانك وامالك في الحياة .
هي تفتح لك ابواب السماء مفردة . ولا تبعدك عنها متهددة .
هي تدعوك الى العمل . وتنفخ فيك روح الجد والامل .
اي ربة الغاب ان رؤساء هيكلك يرددون صدى نشيد الربيع لا صدى

منطق « الغوري » والمعضلات .

وشتان بين « الغوري » والدوري . وبين الحسنون والخورى .

* * *

في ظل القويسة والغار . وبين الصعتر والوزال والخنشار وبالقرب من
ضحضاح يشف عن نباتات حية تحت الماء وفوق النهر الجاري تحت
قدمي هذا الوادي الرهيب ابني لك ايتها النفس هيكلاً من
من الايمان يؤمه في المستقبل البعيد من اخواني والقريب .

بل اقيم فيه تمثالاً للوداد والاخاء وادعو اليه كل بشر تحت السماء .

فيه احيى اليوم انفس المستقبل ومستقبل الانفس العظيمة
وحياتي لا تزري بحياة الخنافس والدبابات . لان الناموس الذي
يحركها تحت الكلاء يحرك النجوم في حركها والسيارات في بروجها .

* * *

ان الاربع المنتشر من هذه الادغال هو البخور الذي يحرقه الربيع على
مذبح الحياة والايمان

هو اريج الزعرور والقندول المختبئة اشواكها الآن تحت نقاب جميل
من الازاهر الصفراء والبيضاء

بين هذه الادغال الشدية وتحت شعاع ابتسامة الاشواك يلذ لي التأمل
في من مات ليحيى الحب والوداعة في الناس

بين هذه الاشواك تحماني تصوراتي الى حيث وضع الاكليل على

رأس رأس الشهداء

على ان الزمان لم يبق منه سوى الازهار التي تنور كل عام في قلوب
الانقياء مثلما ينور القندول والزعرور في الغابات
باسمك ايتها النفس الالهية اصنع لايماني اكليلاً من ازهار الزعرور لا
من اشواكه

باسمك أشيد لحبي هيكلاً من خشب السنديان وازينه بالصنوبر
والنيلوفر وبقمار البيلسان

والى اتباع الذي صلب وبني الذين صلبوا اقول : تعالوا نسبحه اجمعين
في وادي المسرة لا في وادي الدموع . تعالوا نتصافح تحت السماء .
حيث لا حاجز يحول دون الحب ولا ما يحول دون الاخاء .



انا غريبنا ههنا

او

جمعة الآلام

كلمة همسها النسيم في اذن رعاة الجليل فسمعتها الدهور ورددتها الاجيال
كلمة من اغصان الزيتون في اورشليم زلزلت العروش واسمعت ملوك
الارض صوت ذي الجلال

كلمة زرعتها دموع المرأة تحت الصليب . فنورت في السماء وكان فيها
مسك ختام النحيب

هي كلمة الربيع في كل عام . بل نشيد الاطيار على الدوام . بل اغنية
الازاهر في الحقول والاكام

وان انفس الناس النبيلة . لتجسد في مظاهر الربيع الجميلة

ان في كل نفحة من نفحات الربيع . روح بشر عظيم وديع

ان العام في هذه الايام . يحتفل بفوز امراء الحب وملوك السلام

وان اكليل الشوك لاعظم من نيجان القياصرة . وكأس المر لا طيب من

خمرة الاكاسرة — وقد يدرك هذا الانسان . فيظل من عبيد الزمان

بل من اسراء الغرور والبهتان

جئت الكنيسة لاردد اليوم مع الناس . ذكر امير الناس . بل ذكر
الحقيقة التي يعز نصرها بالعذاب . وتحلو بمر الشراب
دخلت الكنيسة وفي نفسي من احد النخل والزيتون ما لا ينسيني اياه
يوم الجمعة الاليم

بل في نفسي من السرور والابتهاج ما لا يضاهيه فرح الناس في العيد العظيم
ان في هذا اليوم يجتمع القمر والشمس . فيشرق الغد على المستقبل .
ويشرق على الحاضر الامس

في مثل هذا اليوم ولد على الصليب الكريم . روح بشر صميم
انه ليوم حبور ايها الاثقياء . لا يوم حزن وبكاء . بل لبس ورياء

* * *

وانما نحن في جنازة المسيح . وهذا وربي تجديف قبيح
ان وراء ذلك الستار الاسود الصليب . وامامه الالباء ووجه كل
قطوب كئيب

هم يجتزون من لا يعرفون . بل يدمدمون وينعبون . والناس اليهم
شاخصون

ويلاه انا الوحيد الذي لا يرى ما يراه الالباء . ولا يشعر بما يشعر به
هولاء الاثقياء

ها قد مشى في الجنازة المدمدمون . وهم في الكنيسة يطوفون
وهذا الصليب . وقد تصاعد وراءه النحيب . وامامه البخور والطيب

وصل الموكب اليّ . فما جثوت على ركبتي
 سرحت في الناس نظري فرأيتهم كلهم ساجدين . ورأيت بمقرب مني
 رجلاً آخر من الواقفين .
 فقرأت في وجه هذا الغريب . ما خالج قلبي الكئيب . وصرخت
 ساكتاً - الهنا . انا غريبان ههنا .
 ثم كلمت الغريب فقلت - ولم الجناز . ومن صلب قد فاز .
 ولم هذه الصلوات المبكية . وقد اشرقت على الارض ابتسامة آلهية .
 فمال بالنظر اليّ . ولم يجبني بشي .

* * *

ها قد دفنوا الصليب تحت الزهور . وانجالت غيوم البخور .
 وطفئت الشموع . وكفكف المدمدمون الدموع .
 خرجنا من الكنيسة انا والغريب . ونفسي تناجي ذاك الحبيب .
 فسرنا معاً الى بستان من الزيتون خارج المدينة .
 وجلست تحت شجرة هناك فجلس الغريب الى جانبي .
 نظرت اليه ونظر اليّ . وقد استولى علينا السكوت والعي .
 فكاننا حبيبان . فرق بينهما العرفان . فجمعهما الحب والحنان .
 وفي مثل هذه الساعة تفسح للحاظ . عما تعجز دونه الالفاظ . على
 اني حرت في امره العجيب وقلت في نفسي من ياترى الغريب .
 وما كاد يخطر ذلك في البال . حتى وقف امامي كالخيال .

فعرفت الطيف في الحال • وقد انكرته في شكل الرجال •
 وناديت به مدهوشاً اخي - رفيقي - سيدي - هذا فؤادي ها يدي •
 نفحة من جنانك كلمة لآخوانك
 اسمعت خدامك ينعبون •

التمثالك الناس يسجدون • وهم عنك بعيدون •
 سيدي دعني التي على كتفك رأسي • فيذوب ثلج فتوري ويأسي •
 اقربني من فؤادك • لأترود من الحب الذي لا يعرفه احد من عبادك •
 سيدي اسقني من الحرية والحق والاخاء ما لا يشوبه الخوف والرياء •

* * *

وبين انا الكلمة في البستان • طل البدر من شرفة لبنان •
 فتركي ذو الجلال • مكانه كالخيال • وذاب في القمر فوق الجبال •



عشيت رأس السنة

قم ايها الناعس المنقاس . قم ايها اليأس من الحياة
 قم ايها العالم الفاتر الشعور القليل الاكتراث
 قم ايها البخيل النائم على الصكوك والاوراق والكواغد
 قم ايها المقامر العبوس المكتئب وقم انت ايها المسرور المحبور المبتهج
 قم ايها الساخر بافراح الشعب البسيط
 انهضوا كلكم واخرجوا معي الى اسواق المدينة هذه الليلة
 انهضوا من رقادكم . اخرجوا من سجونكم . اطلقوا النفس من قيودها
 أحيطوا بهذا الجسم النحيل . اعطوني اياديكم ولا تخافوا
 تعاونوا معي ولا تأسفوا على شيء فات او مضى
 اسمعوا اسمعوا . ان الابواق تناديكم باصواتها والاجراس تستقبلكم
 بالحنانها . والليل يتسم ابتساماً لخروجكم

نعم نحن في منتصف الليل
 ولكن شمس تموز في رابعة النهار لا تثير الارض كما اثارت المدينة ليلتها هذه
 ازاهر ايار كلها لا تبهج النفس وتفرجها كازاهر هذه الانوار
 كيف لا ومن اصوات السرور في الليل ينور الاثير في الفضاء وتزهر
 جنان الجوزاء

تعالوا واياي الى اكبر شارع واجمل جادة اريكم هناك جمعاً عجيباً من
البائسين والبائسات يموجون كالبحر الهائج ويهتفون هتافاً عظيماً جميلاً
وما هذا الشعب بشعب ثائر . بل هو مجبور فاز بالحياة ساءة بعد ان
عاش في حياض الموت خلال العام المنصرم

الي لنرى احقر الاكواخ واظلم المضايق واقدر ازقة المدينة اريكم هناك
اغنى الناس واكيسهم . ارفعهم واشرفهم
قد جاءوا هذه الليلة ليا سوا الفقراء ويعزوهم جاءوا ليتفقّدوا شوؤن البؤسا
ولكنهم قصدوا الاكواخ والمضايق والازقة فوجدوها خالية خاوية
في هذه الليلة يخرج الغني من قصره . والفقير من كوخه . والبائس
من سجنه . والعبد من قيوده . في هذه الليلة يتحرر الانسان

اليكم ايها الساخرون بافراح الشعب البسيط
تعالوا معي الى الملاهي فاراكم انها مهجورة والى رداء الرقص فاراكم
انها مظلمة . والى مجالس الانس اتروا كيف هي فارغة والى بيوت
الشعب فتشاهدوها مزينة باغصان النخل والشربين والانوار الصينية
المنوعة الالوان . في هذه الليلة يتحرر الانسان .
يتحرر الانسان ولو ساعة واحدة في رأس كل عام .
ولو ساعة واحدة في السنة تتساوى افراد الامة وطبقاتها ويخرج البشر
من السجون التي بنتها البشر

تنطلق الرجال من القيود التي صنعتها الرجال
 في هذا، الليالة لا يذكر الانسان شيئاً سوى انه حرّ سعيد محبوب .
 ينسى الفقير كونه فقيراً و ينسى الغني كونه غنياً و ينسى الشريف كونه
 شريفاً و ينسى البائس كونه بائساً . و ينسى الفاعل كونه عبداً
 ان فرح الناس في هذه الليالة لعظيم . تكاد المدينة تضيق على ما في
 قلوب اولادها من السرور والابتهاج

نعم في مثل هذه الليالة يخرج الانسان من كل ما بناه الانسان وشيده
 الملاهي والحانات والمعابر ورداه الرقص و بيوت اللذات كلها - كلها لا
 تشفي له غليلاً . كلها ضيقة مظلمة . كلها صغيرة واطئة .
 لا شيء هذه الساعة في العالم يستحق ان يقف الانسان تحته متهللاً مجداً
 الا الفضاء غير المتناهي . الا السماء الشهباء المرصعة بالنجوم المزينة
 بالكواكب والاقمار

في هذه الليالة يخرج اولاد المدينة و بناتها و رجالها و نساؤها ليودعوا
 العام المنقضي وليستقبلوا العام الجديد .
 يطوفون في الشوارع متهللين فرحين ناخفين في المزامير والابواق هائفين
 هتاف الصبيان في الاسواق . وهذا ورب الناس جميل .

هلموا اليّ ايها الساخرون بافراح الشعب البسيط
 تعالوا فانظروا كيف يسير الغني بجانب الفقير في هذه الليالة . والشريف

بجانب الفاعل • والصالح بجانب الاثيم • والصاحي بجانب السكران •
والكاهن بجانب الجاحد

تعالوا وانظروا كيف العاهرات المومسات يمسسن بمناكهن مناكب
الطاهرات من النساء والعذارى من البنات
وكلهم رجالاً ونساءً صبياناً وبناتاً يهتفون هتافاً واحداً ويسرون تحت
سماء الله اول ساعة من العام الجديد بين الحان الاجراس واصوات
المزامير والابواق

بين صفوف طويلة من الابنية الشاهقة المنورة المزينة بسعف النخل
واغصان الصنوبر والشرابين
يموج هذا الجمع موجاً في الشوارع والازقة
يموج والكتف الى الكتف وكلهم في الانسانية اخوان واخوات لا
يعرف الواحد منهم الآخر •
بل كلٌّ يعرف الجمع بأسره

لا ضغينة هذه الساعة ولا بغض ولا حسد
لا حقد هذه الليلة يكدر صفاء قلوب الناس
نعم يسير الشريف ازاء الفقير ولا يتقزز من رائحة ثيابه
يسير الصاحي قبالة السكران ولا يشتمئز من رائحة فمه
يسير الجاحد والكاهن ولا احد منهما يعفر خذه ويشخ بانهفه
يسير الصالح والاثيم معاً مبتسين

تسير العذراء قرب الزانية ضاحكة مستبشرة
والكل يهتفون هتافاً واحداً ويفرحون فرحاً واحداً

* * *

رحمكم ايها الساخرون بفرح الشعب الغام
عودوا وايائي الى زمان الصبا والطهارة
ان بين هذا الشعب المزدهم ولداً سورياً غريب السحنة نحيل الجسم
اسمر اللون مفاطح الرأس طويل الارنبه غليظ الشفتين
يفتح بكبيه طريقه ويتقدم مع رفاقه الاولاد الاعاجم هاتفاً هتافهم
ناتفاً مثلهم في البوق . مردداً اغانيهم ونكاتهم قاسماً ايمانهم لاعناً في
الاحايين لعنائهم

* * *

من لا يأسف على زمان الفتوة وايام اللهو والسرور الطاهر
من لا يقول هذا القول المبتذل ويردد مراراً في ايام الكهولة هذا
الكلام المطروق

ويلاه ا من اليوم اندب الصبوة . اتخذعنا السنون نحن شبان هذا
العصر اتسقيناً كأساً واحدة ونتقاضانا ثمن خمسين ومئة
أ تكسر الهة الشباب الكأس بعد ان ترينا اياها
اقسم بالله ايها القاريء ان الساعات التي قضيتها في تلك الليالي لأنت
واجمل ساعات شبابي

بل هي ألدّ ساعات قضيتها حتى اليوم - ساعات سرور بسيط طاهر صبياني
ولكن الساقى كسر الكأس وحطمها

اواه سحق الساقى الكأس وسقاني مسحوقها

وان طعم هذا المر ليدكرني اليوم بتلك الكأس الواحدة العذبة
يدكرني اليوم بتلك الليالي فاضحك عندما أتأمل فيما كنا نقوله ونفعله
انا ورفاقي الاعاجم

اي والله حتى اني لم ازل اذكر اسماء بعضهم من صبيان وبنات
واذكر كيف كنا نخرج لنودع العام المنقضي ونستقبل العام الجديد
وكيف كنا نقف على منعطف الشارع كل مع حبيبه ونعيد الوعود
ونعقد العهود

رحم الله الاحباء وودادهم . رحم الله الحبيبات وعهودهن
والآن ولا سمير للروح سوى الطبيعة ولا رفيق غير الكتاب وبعض
الاحرار الصالحين الذين تهوهم الاذن وتشوق الى رؤياهم العين
غير ان المناجاة تغني في الاحابين عن المصافحة
وياما احبلى من نتعشقهم عن بعد قانعين صابرين

فهرس الكتاب

صفحة		صفحة
٣	في الباب	١٥١
	الخطب	١٥٥
٧	في العزلة	١٦٠
٢٤	هنا وهناك وهناك	١٦٤
٣٣	الحرية والتهذيب	١٧١
٤٢	الثورة الادبية	السهر المستور
٥٦	المدينة العظمى	١٨٣
٦٦	قيمة الحياة	١٨٦
٨٣	هملات وشكبير	١٩١
٩٢	حول المساواة	١٩٣
٩٧	الشعب والسياسيون	١٩٧
١٠١	في وصف بيروت	٢٠٥
١٠٥	في لبنان	٢١٥
١١٣	التساهل الديني	٢١٨
	المقالات	٢٢٢
١٤٣	وصية فؤاد باشا السياسية	٢٢٦
		تركيا الجديدة وحقوق الانسان
		فاتحة مباركة
		العفو العالي
		الحرية وحدها لا توحدنا
		رجل الشعب
		الثورة
		ريج سموم
		تحت الرماد وفوق النجوم
		داويني ربة الوادي
		غصن من الورد
		فؤاد
		النفس الراحلة
		معبدي في الوادي
		انا غريبان ههنا
		عشية راس السنة

